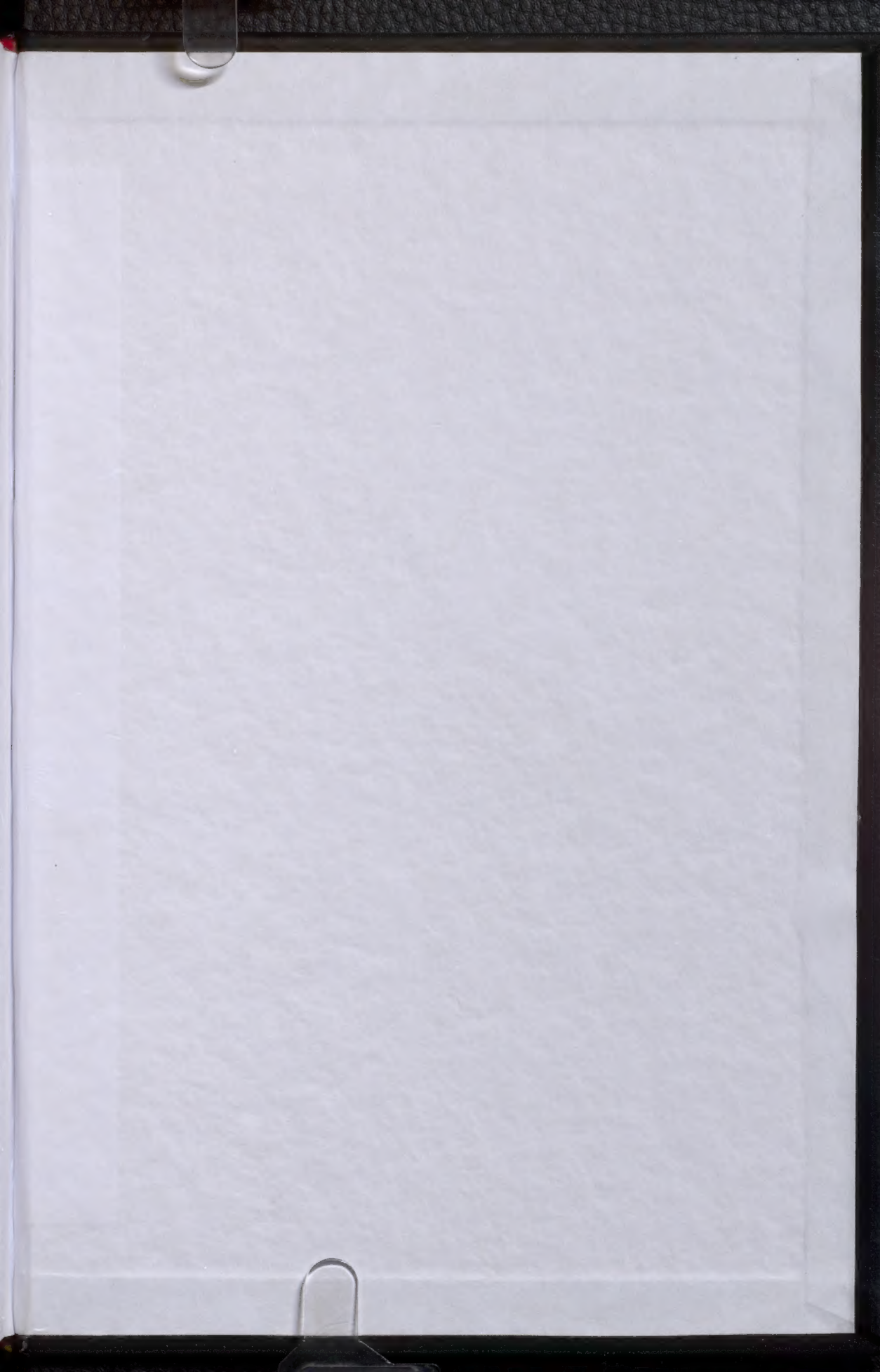


McGill University Library



3 103 484 940 3





578120

ishm

v.35: no. 4-6



بُزِيَ الحُكْمُ مِنْ بَيْتِ
وَمِنْ بَيْتِ الحُكْمِ فَفُتِحَ
أَوْقُ قَبْرِ كَثِيرٍ وَمَا
يَزِيدُ إِلَّا أُولَ الْأُولَابِ

الْمُنْتَخَلَا

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَفْئِدَةً
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولَ الْأُولَابِ

أَنْشَدَ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضري « وضار » كضار الطريجة

٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

٨ محرم سنة ١٣٥ هـ

المستشرقون والاسلام

بقلم الدكتور حسين السهرراوى

مفتش صحة مصر القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه وسلم

من احمد نسيم الشاعر

الى الدكتور حسين الهراوي

قف وقفة بين اجلال واكبار واحد دفع طيب الحي والدار
 جلي «حسين» بشوط راح ينبيه شأن الجواد إذا جلى بمضمار
 ما أنفك يهدي إلى الاسلام منكزه والحق أبلج لا يخفى بأنكار
 يقظان ما هدأت يوما شفاشفه كالفعل يتبع نهذاراً بنهار
 في كفه قلم لو شاء أنرعه سم الأساود أو شهداً لمشار
 مرقق الحمد مبري له جسدل يرضى النبي ويرضى الخالق الباري
 يراعه كقناة الخط يرهبها سنان كل أصم السكب خطار
 تجري على الطرس آيا حين تقرأها يجري دم الرشد بالبادي وبالقاري
 قومه في ارتباد الحق أشرعها للأخذ بالحق لا للأخذ بالثار
 تدفع الصدق من حيزومها صيباً دفع الخضارم تياراً بنيار
 من عترة رسول الله مشرقة مل النواظر من زهر وأفار
 الله أنزل في الأحزاب أنهم من أهل بيت كرام الخيم أطهار
 ذا ارتضوا زعات الأصر مائة ولا أرتدوا برد آثام وأوزار
 ولا تقطع أمر الله بينهم ولا أصيب بنقص بعد أمرار
 أعظم بهم في مجال الدين من نفر مهاجرين ذوي عزم وأنصار
 قم يا حسين فاطمي كل مشقة من الضلال تلتظي زندها الواري
 عجل لهم قطعهم خزيًا إذا حسروا عن أوجه سفرت سوداء كالقار
 مدوا بأيديهم البطل فاندحروا قهراً أمام متين الأيد قهار
 لولاك لانفست في الكفر ناشئة كادت تفل بجحاد وكفار

سر في طريقك وادفعهم بحرقه بقي ندوبا ذات آثار
 مستضعفون إذا ذلوا فان قدروا جاءوا بمكر خفي السكيد كبار
 شريعة الله والمختار هازنة بمقتدين على الاسلام أغرار
 مستشرقين أناروا نعم حملتهم حتى كأنهم طلاب أوتار
 يخفون تحت ستار البحث كيدهم وهم على دين قسيسين أخبار
 قوم أحق بليس النمل مشرقة ولبس منطقة شدت بزناو
 تعصب وأكاذيب ملفقة من مقذعين وقح النقد أشرار
 ما بهم نقدوا القرآن وانصرفوا في تقدم عن أصحاب واسفار
 واجهل الناس من يني عقيدته على شفا جرف من زينه هار
 وكيف تطلب منهم رشدة وهم في الدين عمي قلوب عمي أبصار
 ان أبصروا الخير أخفوه وان ظفروا بالشرا أبدوه في جهر وإسرار
 ولذين استباحوا البغي ساهرة مشبوبة الوقد من ناس وأحجار
 في كل يوم ترى منهم أذا خطل يقول أذعن غير مختار
 ضلت برأته في نفس باطله كما يضل السرى في ظلة الساري
 بشراه بالخزي في دنياه ممتطياً متن الضلال وفي أخراه بالنار
 لا نضر الله داراً بات ما كنها ولا سقاها حيا وطفاء مدرار
 إن كان للعالم تضليل وشموذة فالعلم أقبح مدعاة إلى العار

« • »

حسين هل لك في حمد يردده فم الزمان اذا أدلى بأخبار
 كأنه باقة في روضة أنف شق الازاهير من ورد ونوار
 جادت عليها المزالى فعي زاهرة وكل ناضرة الاكام معطار
 قصيدة تضرب الدنيا بسنبكها فتنه الذكر في يد وأمصار

انى نسر ترك الافاق مشرقه
 ككوكب مستفيض الضوء سيار
 ضمها بمروتك الوقى ممطرة
 كأنها وردة من ورد آذار
 حسبي بمدحك أعلاء و تزكية
 فبالشريف تعالى شعر مهبّار
 جزاك ربك في آلائه نعماً
 موصولة بعشي بعد ابسكار
 أعدك الدين للجلي إذا اشتجرت
 اعداد ليث قوي الزند زار
 دين من الله جلى كل واجبه
 يوم استهل بأضواء وأنوار
 كالشمس ما أشرقت ببيضاء مسفرة
 تحتال ما بين أشراق وأسفار
 وبعد فانظر الى نفسى وما احتملت
 من حاسدين لاهل الفضل أغار
 عمرت فيهم فضاقت مدة سلفت
 عدتها بينهم من شر اعماري
 صدوا عن الشدو آذاناً مصلمة
 ليست قصيخ لورق فوق أشجار
 ان أنكروك فلا تمحزن فقد نكروا
 من قبل فضلك آياتي واشعاري

احمد نسيم

الفصل الاول

أسباب ونتائج:

يحدثنا التاريخ أن جزيرة العرب عامة ومكة خاصة ، لم تكن قبل الاسلام مستعمرة لأحد ، ولم يفتحها فاتح قط^(١) وكان العرب مدى تاريخهم أحرارا وكذلك يحدثنا التاريخ أن العرب قبل الاسلام لم تكن لهم ثقافة ، أو دور تعليم ، ولم تكن لهم مدنية ولا تاريخ مكتوب غير ما كانت تتناقله الألسن راوية عن راوية ، وتلك هي ثقافة الفطرة ولم يكن للعرب هيئة اجتماعية ، أو نظام حكومي بالمعنى الذي نفهمه الآن . وجل تفاخرهم كان بانتصار قبيلة على أخرى ، أو بتجديدها ، فكانوا أشتاتا من القبائل لا تجمعهم إلا ميادين الحروب أو أسواق التجارة أو مواسم الحج ومن البين أنه لم تكن هناك أية فكرة أو ظن بينهم لجمع شتاتهم وتوحيد مجتمعهم قبل الاسلام

ومن وسط هذه القبائل المفككة أو من أسحق الامكنة فيها سطعت أشعة الاسلام ، وفي مدى عشرين عاما من حياة النبي العربي الكريم ﷺ ، تكونت أمة تشعر بوجودها الادبي وتقوم برسالتها في الأمم المجاورة ، فتكتسح المتفادات البالية ، وتقضي على ملك الفرس والرومان وترثه

(١) مواقف حاسمة الفصل الاول لعنان

وليس لهذه النهضة الكبرى ، والثورة الفكرية العظمى سوى مصدر واحد هو القرآن ، وأداة واحدة في تأدية الرسالة هي شخصية سيدنا محمد ﷺ ، ومهما يكن من الظروف التي ظهر فيها الاسلام ، وأحوال العالم في ذلك الوقت ، فإن ظهور الاسلام من أجذب وسط في العالم ، ومن أوحش صحراء ، ومن أبعد الامكنة التي يظن أن العالم ينقذ على يدها - هذا كله - يعد معجزة لا شك فيها وإذا كانت النهضة العربية ومصدرها الاسلام وحده تعد آية فإن اكتساحها للعالم والمعتقدات وتكوين دولة ترث الرومان والفرس في مدى ثمانين عاما بعد مرآ ليس من السهل أن يمود ، ومن المستحيل أن تجد له مثلاً في التاريخ (١) خصوصاً إذا لاحظت أن هذه الثقافة الجديدة قد هضمت الدول كلها وطبعتها بطابع خاص هو الطابع الاسلامي

بل التأثير للدهشة والمجب أن تظل هذه الثقافة الى الآن راسخة ثابتة رغم العواصف التي واجهتها ، والحروب التي عملت على فنها

*

* *

والتاريخ يحدثنا عن تنازع البقاء الدولي بين الشرق والغرب ، ويصف لنا من الحوادث مدها وجزرها ، وكيف بسط الشرق سلطانه وساد ، ثم كيف قاومه الغرب وردده واكتسحه أو كاد

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات ، فالاسلام ديننا وقانوننا وثقافة اجتماعية وأخلاقية ، ثبت لكل هذه الموجات والعواصف والتقلبات ثبات الصخر على الشاطئ ، فذهبت كلها بذهاب الزبد على سطح الماء

والواقع أن أهداء الاسلام لم تهدأ نائرتهم ، ولم يفت في عضدهم بقاء الاسلام

(١) فتوحات الاسكندر و نابليون استغرقت زمناً يسيراً وأولسكنها ماتت بموت أبطالها

قويا مكيئا على الرغم من الحروب والذرائس في البلاد الاسلامية التي أثاروها ، بل كان ذلك بما زاد المسلمين يقيناً وثباتاً واستمساكاً بدينهم ومحافظة على بقيتهم ، لأن الاسلام يحفظ القومية ، ويشعر الناس بواجبهم نحو أنفسهم ، ويجمعهم في دائرة واحدة من العاطفة ، ويوجههم كلهم إلى قبة واحدة ، هذه القبة التي تفتي أزالها القوميات والشعبيات ويتساوى فيها الناس أجمعون من جميع الاجناس والأوساط

أضف إلى ذلك أن الاسلام هو أول مطلع للتفكير الحر ، والتحلل من قيود التقاليد ، وهو الذي يحث على الاسفار وجوب القفار والمشي في مناكب الارض ابتغاء الرزق . وهو في تعامله ينافي الاستعمار ، وينافي الخضوع لكائن من كان إلا الواحد الديان

وفضلا عن ذلك فإن الاسلام عطف على الاديان الاخرى ، وطبع الشعوب التي انتشرت فيها بطابع آخر هو الطابع العربي . فترى معتققي الاديان السابقة له والذين يعيشون في البلاد الاسلامية يجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة ، ويمطفون على الاسلام بداعي العروبة ، والعروبة هي الطابع الثاني للاسلام لغير أهله . بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الاديان الاخرى وتقوية روابط الامر ، ونشر روح الوئام بين الجماعات ولذلك اختلطت الانساب وتنوشت ، ولكن الشائع في البلاد الاسلامية هو الاصل العربي سواء كان الشخص مسلماً أو غير مسلم . فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة ، فطوراً يسمونها الاسلامية وطوراً يسمونها العربية

تلك حقيقة ، وذلك واقع ، ولم يخف عن الغرب ، وليس في حاجة إلى دليل وليس من المستطاع انتزاع تلك المواطف من أفئدة الناس ، وكليس من الممكن استئصالها بحملة عسكرية ، أو انشاء محكمة تفتيش أندلسية جديدة لمحاربة آراء الناس ولغاتهم وضمائرهم وعلاقاتهم

فالمسألة كلها فكرية وعلمية ، ومحاربتها يجب أن تكون على أسلوب نشأته
ثقافة وغزوة فكر

من أجل هذا نشأ الاستشراق في بلاد الغزب ، وأخذ جماعة من الغربيين
يمكنون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكاراً وحفظاً وتحقيقاً
وتغلقاً في البحث

هذا هو منبع المستشرقين ، وهذا هو مصدرهم ، وتلك هي الغاية التي
يعملون لها .

والباحث في هذه الموضوعات لا يعدم موضوعاً جديداً علمياً ، ولا يعدم
كتاباً قيماً مدوناً ، يعيد نشره ، ويحكي ذكره ، ليصبغ نفسه بصبغة العالم البري .
ومنها اصطنع اسم المستشرقين بصبغة علمية

غير أن اتواحي الاخرى التي عكفوا عليها وهي غزوة الفكر الشرق في
قوميته وافته ودينه كانت واضحة جلية في أعمالهم لأنها الهدف الاول والغاية القصوى
والمستشرقون هم من أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات وطلبتهم من أبناء
وطنهم ، وهؤلاء الطلبة يعدون أنفسهم للعمل في المستعمرات في الشرق ، وكان
لابد من المحافظة على قومية هؤلاء الطلبة . ولا بد للعناية بتربيتهم أن لا يكونوا
أداة عطف على الشرق أو مصدرراً لاذاعة محاسن الاسلام ، ولادراك ذلك لابد
من تصوير الشرق بصورة بشعة قبيحة في أخلاقه وعاداته وآرائه ، ولا بد من
تصوير الاسلام في صورة منفرة ، وأن يكون هؤلاء الطلبة حرباً على الشرق
والاسلام .

كلا بد من أن يقوم هؤلاء المستشرقون بدورهم في تغذية جمهور أممهم بمثل
تلك التعاليم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة . ويصمون الاسلام
بكل المخازي التي هو منها براء

ولذلك أصبحت الهوة بعيدة بين عواطف الغربيين والشرقيين ، وأصبح
التفاهم أبعد منالاً بما يجب

وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية ، وكأنه من هذا التجريح والقشنيح
شمر بضعفه أمام الغرب وألقى فريق من ضعفاء النفوس سلاحهم ، فاعتقد
الشرقيون أنفسهم أن عاداتهم وأخلاقهم وقوميتهم وشعوبهم في مستوى أدنى
وعقلي أقل من المستوى الاوربي ، وأصبح الشرقيون لا يثقون بأنفسهم في
التفكير ولا في العمل الحر ولا في إدارة الاعمال ، وأصبحت تراهم إذا قرأوا
في الجرائد أي جريمة عادية أو خبراً صغيراً ثاروا وقالوا إن ذلك مستحيل
حدوثه في الغرب ، ولذلك أخذوا يقلدون الغربيين في كل شيء . في المعنويات
وفي الماديات

أما في المعنويات فقد شاهدنا اختلاط الاسن في الامر والبيوت ، ونبذ
اللغة القومية في الطبقات المتفرجة ، وكذلك في الزي النسائي ، واستحداث
الاخلاق ، وضاعت تلك المودة القويمة وصلة القرى ، وأصبح الشخص ينظر
إلى امرته المصرية الصميمة من أعلى إلى أسفل ، يحاول خدع نفسه بأنه غربي ،
وأهم شرقيون ، ورأينا تياراً جارفاً من الادب الغربي يكتسح التفكير الشرقي
والقومية الشرقية ، وانتشرت القصة العربية ، وهي قصص لا تخرج عن معاني
الحب الساقط ، والفاظ الخنا ، وخيانة الزوجة ، ونهوس الشباب ، وسقوط المرأة
التي يقابل الزوج زلتها بالعفو والصفح والغفران

كان هذا من أثر الدعاية أن العربية ينقصها أدب القصة ، فلا العربون هذا
الفراغ بقصص لا تلتئم والشرف الشرقي ، ولا الغيرة الاسلامية ، ولا الآداب
القومية . ثم هجم جماعة المبشرين على معاقل الاسلام ، مزودين بالمال والعلم
والرجال ، فأصبحنا نرى المحازي والاغراء والقبائح ترتكب باسم الاديان ،

وأصبحت الاسرة الاسلامية يقتنص بعض أفرادها بالمال أو بالاغراء أو الاستهواء أو التنويم المغناطيسي باسم الدين . وترى ذلك متجلباً في دور التعليم الاجنبية ، وفي المستشفيات الاجنبية التي تحمل على بابها بالخط العربي انها بيثة ووكر للمبشرين في ثوب علمي شفاف . طرق لا يقرها عقل أو ذمة أو ضمير أو وجدان أضف إلى ذلك أن كل بلاد شرقي استعمر كان لا بد له من طلائع نجوم الديار ، وتستكشف الآثار ، وتكتب التقارير

وكان لا بد لهذا الجاسوس أن يلبس ثوب العالم باغة البلاد ، وأن يصطنع بحث العلمي

وفي حالة دخول الجيش الفاتح لا بد اقيام صلة بين الاهالي والجيش المهاجم والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء كلهم من المستشرقين

أما في حالة السلم فلا بد من وضع سياسة لمعالجة هدم الاسلام وتفريق كلمة أهله ، وإعداد النفوس لقبول التغييرات التي تدخلهم تحت النير هذه مسائل علمية محضة ، ويقوم بها المستشرقون

فلتغيير الدين يجب أن يقال إن الاسلام دين مخترع ملفق ، ولهذا الرأي شيعة من المستشرقين ، وللسخرية من الاسلام يجب مهاجمة شخصية النبي الكريم ولهذا أيضا شيعة من المستشرقين

ولتفكيك روابط العرب يجب أن يفهم الناس أن العربية الفصحى لا تصلح لشيء . وأنها لغة قديمة وأن اللغات الدارجة أنفع منها

ولتفكيك روابط القومية والهيئة الاجتماعية الشرقية يجب أن يعزى كل شعب إلى أصله ، لان العرب لم يكن لهم فضل في ثقافة أو تاريخ

ولا ضماط الروح القومية وقتل الاعتماد على النفس يجب أن يفهم الشرقي أنه غير مؤتمن الجانب ، وأن الاختلاص غريزة فيه ، وأن الشرف بعيد عنه ،

وأن بلاده وتربيته لا تصلح إلا للزراعة ، وأن عقله غير مكون تكويناً تجارياً ، وهذا كله ليحتسبوا التجارة والصناعة ويتركوا البلاد المستعمرة المعمل الزراعي الشاق الذي لا يدر إلا الخير القليل

كل موضوع من الموضوعات التي ذكرناها نخصص لها فريق من المستشرقين وقد أصبحنا نعرف وجهة تخصص كل واحد منهم ، ويمكننا أن نعد أمماء المحصنين لكل موضوع من هذه الموضوعات كما سيمر بك في هذا الكتاب ، وكل هذه الموضوعات ذات مرمى سيئ ، وليست من الحقائق العلمية في شيء ولذلك فإن هؤلاء الناس قد ألبسوا موضوعاتهم الثياب العلمية ، غير أنه لم يتعرض لم أحد بنقدها وإظهار ما فيها من غش وخداع وتلبيس ، حتى إن كثيراً من القراء قد خدعوا بها ودخلت الحيلة عليهم

ولذلك يجب تحرير الفكر الشرقي من تلك الغزوة التي طال أمدها وسمننا تكرارها ، ويجب أن نبرهن لهؤلاء الناس أنهم خادعون ، وأن الأخلاق الغربية لم تبلغ إلى الآن المستوى الشرقي ، وأن الزخرف البراق من المعاملة والاطلاع الخارجي للمعاملات العادية لا يغير الواقع فالبلاد الغربية كالبلاد الشرقية فيها أخط الأخلاق وأشنع الجرائم من كل نوع

وليس الفكر الشرقي بأقل في مستواه من الغربي ، وإنما في استقلال المواهب نتيجة التربية الاستقلالية التي امتاز بها الغرب ونتيجة لازمة لحرية الشخصية والمساعدة الحكومية التي حرمتها الشعوب الشرقية ، إلا أن أول دعامة في تحرير الفكر الشرقي أن يعرف أسرار استعباده فيقف دونها حائلاً ، ويطلع على الصواب فيستزيد من مناهله ، ولا يقبل التفرير ، وأن يواجه هؤلاء المستشرقين بحقيقتهم ويعلم أن بضاعتهم معشوشة ولأغراض غير بريئة ، وهي بضاعة زائفة صنعت في

مما لم التفرير ، ولذلك عمدنا إلى الرد على بعض المستشرقين في هذا الكتاب
وجعلنا الرد في أسلوب علمي ليعرف القارىء الحقيقة

والذي دعانا إلى وضع هذا الكتاب هو تلك الحادثة المشهورة التي اضطرب
لها عقلاء المصريين ، فانه لما صدر المرسوم الملكي بتأليف المجمع اللغوي الملكي
بالقاهرة ، ووجدنا اسم فنسك من ضمن أعضائه نشرنا شيئاً من مباحثه ،
ورددنا عليه ، وانبنى على ذلك خروجه أو إخراجه من المجمع اللغوي وحلول
غيزه مكانه ، وبذلك انفضح جانب عظيم من أعمال المستشرقين وحقيقةهم بما
سيجلى عند قراءة هذا الموضوع في الصفحات المقبلة

أضف إلى ذلك أن هذا البحث الذي خرج من أجله فنسك كان بعض
الناس سرقة ونسبه لنفسه في كتاب ادعى أنه بحث في الشعر الجاهلي ، وبذلك
اتضح آفة أخرى من آفات المستشرقين هي أن بعض الناس من المسلمين
يجارونهم في تفكيرهم ويقتبسون آراءهم بغير نسبتها إليهم ليقال إنهم من العبارة
وفوق ذلك فقد عثرنا على بعض سفسطة المستشرقين من أن محمداً كان
على علم بالاديان السابقة وأنه اتصل في سياحته للشام بأهل العلم بما دعاه إلى وضع
قرآنه وتلك الفرية قد اتخذت سبيلها في التفكير الشرقي ورددنا على ذلك في
حينه كما سنزيده شرحاً في الفصول القادمة

والخلاصة أننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الاستعمار . ومصدر تغذية المبشرين
وأدوات أذلال الشعوب الشرقية وتفريقها . ونشيتها . وثبت أن هذا كله
من المستشرقين .

ولا ندعى أننا ندافع عن الاسلام بهذا السكتيب . فنحن أهون أن تكون
لنا هذه المنزلة الرفيعة . ولكننا نريد أن نهتك سترهم ونظهر حقيقتهم دفاعاً عن
قوميتنا . وعقولنا . وقد يما قال عبد المطالب أما الجمال فسأدافع عنها ، وأما البيت
فله رب يحميه

الفصل الثاني

مجلد قبل البحث

من الدين أن يجيء القرآن ، وأثره في النهضة الفكرية العالمية كما رأيت - مسألة مدهشة حقاً .

وقيام شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ . هذه الدعوة الناجحة التي اكنسحت العالم مسألة موجبة للحيرة ومعجزة بلا مرأ .

والمتشرفون يقفون أمام هذه الحقائق ذاهلين ، ويحاولون الدخول إلى هذا الصرح العالي من باب التشكيك والتضليل . أو باب الاستنباط والقياس . والتاريخ يعلمنا ويعلمهم أن حياة العظماء لها طريقة في البحث والدرس ولها طريق مألوف وهو الابتداء بدراسة الوسط الذي نبغ فيه الرجل العظيم والظروف المحيطة به . ثم دراسة طريقة انتزاعه لسلطة أو قيامه على قيادة الأمة . ثم يأتي بعد ذلك دور تكوين الشخصية وأثر الثقافة المحلية والعالمية في نفسه وأثر هذه الثقافة في أعماله .

وقد أرادوا أن يطبقوا كل هذه النظريات والمباحث على حياة النبي الكريم ﷺ كما يدرسون مثلاً حياة نابليون والاسكندر وغيرها .

وأول ما صادفهم من الحيرة والفشل أن الوسط الذي عاش فيه سيدنا محمد ﷺ كان وسطاً فطرياً ساذجاً . ولكن هناك في محيط ذلك الوسط وجد بعض النصارى واليهود .

ووجدت ظروف بسيطة في حياته ﷺ من سفره مرتين إلى الشام يمكن أن يبنوا عليها القصور العالية من الأوهام

ولا بأس من أن يجمعوا من هاتين المسألتين - وجود نصارى ويهود في
الحجاز وسفره إلى الشام مرتين ثانياً - موضوعاً للتشكيك والتضليل
ولذلك نقبس لك أسهل طريقة وأبسط تضليل من كتاب درمنجهام
الذي نشر في السياسة الأسبوعية ورددنا عليه لأنه كان أول مثار للبحث (١)
(والواقع أن محمداً منذ الساعة الأولى بل قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحي
كان أشد ما يكون نفوراً من الوثنية التي نشأ ونشأ أهله من قريش فيها وأشد
مبلاً لهذه المعاني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود من أهل الكتاب
في أنحاء شبه جزيرة العرب ممن كان يتصل بهم في أثناء ذهابه إلى الشام وإلى اليمن في
القوافل قبل أن يقوم بتجارة خديجة وبعد أن قام بها

وهذه المعاني الروحية في اتصالها بنفس محمد ﷺ المتوثبة منذ صباها للكمال
هي التي دفنته إلى تحته بفار حراء شهراً أو أكثر من شهر
إن الله تعالى رضى للناس الإسلام ديناً مع بقاء الأديان السابقة . للقرآن
وحده مندجة في هذا الكمال الروحي - أي الإسلام - اندماجاً أشار إليه القرآن
في قصص أصحاب هذه الأديان وما جاءوا به من الحق من عند ربهم وأشار إليه
حين أراد أن يثبت محمداً ﷺ في أمر ما جاءه كما جاء في سورة يونس (فإن كنت
في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين)

وفي هاتين الفقرتين ملخص لآراء المستشرقين الذين يظنون أنفسهم أهلاً
للبحث والاستنتاج دون أن ترميهم بشيء من سوء النية . ولعل ذلك أهدأ
أنواع ضلال المستشرقين

ولما تسربت هاتان الفقرتان في الصحافة المصرية وعلى أيدي باحثين مسلمين

رأينا توضيح هذه الطريقة و اظهار ما فيها من خطأ في تطبيق ما يقال عن عظمة القرب على حياة نبي عربي عاش في بيئة خاصة وفي محيط لا زال يتمسك بمبادئه وأخلاقه إلى اليوم .

ولسنا نتهم هذا الرأي بأقل من أنه استنباط غير موفق ورأي خاطئ .
نتيجة الجهل والخطأ في الحكم

فأنت ترى من هاتين الفقرتين أن سيدنا محمداً تعمق في درس الأديان وتلقى مبادئها على الربان في سياحاته وأن ذلك العلم هو الذي دفعه إلى التحشيش . أما أنه خالط الربان وقشع بمبادئ الأديان السابقة فذلك ظن ليس له من مؤيد ولو أنه كان كذلك لكان في كل عمل من أعماله دليل على ذلك وقد أحصى القرآن الكريم كل ما وجهه أعداء الاسلام وأعداء محمد ﷺ من التهم ومنها الكذب والسحر والشعر . وكل ما شئت من صنوف السب والشتم والتهمم والضرب بالحجارة والتحدي للقتال كل هذا قيل ولكن واحداً منهم لم يجرؤ أن يقول له انك تعلمت هذا العلم على فلان . ولو كانت هذه الجملة قيلت لكاننا على الأقل وجدنا عليها رداً في القرآن

ولو أن نفس محمد عليه السلام اعتنقت ديناً أو مالت لأي دين قبل الاسلام لوجدنا لذلك أثراً واضحاً في الحديث وقد سأله الناس كل أنواع الاسئلة بلا خجل وكان يرد عليهم بالصدق والأمانة التي اشتهر بها . ولم يرد ما يؤيد هذا الزعم ولذلك استنبطنا وكنا محققين في هذا الاستنباط أنه عليه السلام كان خالي الذهن من جميع الأديان وأنه اشتق طريقاً في العبادة لنفسه كما سنبين ذلك في التحليل النفسي لحياة

أما الرجل والاسفار في التجارة أو مع عمه فقد كانت رحلته (١) الاولى مع عمه إلى الشام وهو ابن تسع سنين ولم يكن هناك مجال ما لتلقى هذه العلوم فليس ثمة جامعات وليس للرهبان حلقات درس كما أنه لم يكن يومذاك جماعة من المبشرين الذين نراهم اليوم يغرون بالناس ، وكل ما حصل من الراهب بحيرا أن تبنياً لهذا الغلام بمستقبل ديني وتوسم فيه استعداداً خاصاً لهذه الرسالة الكبرى والرحلة الثانية كانت وهو ابن خمس وعشرين من مكة إلى بصرى ومدة هذه الرحلة كانت ثلاثة أشهر

إذن فلنشأ في هذا الطريق نفسه ، ولنر ولنستنبط ما يمكن استنباطه ، ولنتعرف عادات العرب وأخلاقهم فأول ظاهرة خفيت عن المستشرقين من عادات العرب أن صفارهم لا مجالسون كبارهم ، ولا يمكن شاب حديث السن أن يجلس في مجالس الكبار ولا يناقشهم ، ولا يباح له أن يتحدث في مجالسهم

ولم يخبرنا التاريخ أن محمداً ﷺ شذ عن هذه القاعدة ، وهذا دليل على أن كبار الرهبان وغيرهم لم يكن لهم من وسيلة لقاب عقيدة هذا الفتى كما يفعل المبشرون من أذئاب المستشرقين في هذه الايام

وأما الرحلة نفسها فيجب أن نلم بعمل التاجر الذي تكون مهمته من نوع عمل سيدنا محمد ﷺ ، والعادة الجارية في بلاد العرب إلى يومنا هذا هي أن يقوم التاجر ببضاعته حتى يصل إلى المدينة التي سيبيعها فيها

ثم يذهب إلى منزل وسيط التجارة فيمكث في منزله بضعة أيام حتى يعصرها الوسيط ويعطيه الثمن ثم يعود قافلاً

(١) تحقيق الطريق ومسافته وعادة العرب هذه رجعتنا فيها إلى فؤاد باشا الخطيب وزير خارجية الحجاز سابقاً ورئيس ديوان شرق الاردن الآن

فعمل التاجر في هذا السبيل ينحصر في المحافظة على التجارة في أثناء الطريق ومساومة الوسيط وحمل الثمن إلى أصحاب البضائع والمسافة بين مكة وبصرى تقطع على ظهور الابل في نحو أربعين يوماً ذهاباً ومثلها إياباً ، ومدة إقامة التاجر في بيت الوسيط هي المدة التي تبقى من ثلاثة الأشهر التي قضاها سيدنا محمد (ص) في تلك الرحلة

فالوقت كما يقطع في الطريق وكانت رحلة واحدة ، فأني عقل إنساني أو غير إنساني يمكنه أن يستنبط أن سيدنا محمداً يمكنه أن يتعلم كل ما أتى به أو كل العلوم التي وردت عنه في وقت كهذا ؟

وأي سخف أدعى للسخرية من مثل هذا الاستنباط الملفق القائل أن سيدنا محمداً في أسفاره تعلم من الأخبار

أضف إلى ذلك ما استنبطه فريدريك شولتهنس عندما جمع ديوان أمية بن أبي الصلت وطبعه سنة ١٩١١ (١) وأظهر في مقدمة هذا الديوان مقدار ما بذله من الجهد في جمعه من كتب السير ومن شوارد أخبار الكتب ورأى أن أمية هذا كان قد تهرّب ولبس الماسوح ونظم قصصاً مصدرها التوراة والإنجيل وكان يطمع في النبوة إذ أشيع وعرف أنه سيبعث نبي في زمنه

وبعد ذلك بعث محمد عليه السلام . وأخفقت آمال أمية فناوأة الإسلام وجاهر بمداوة نبيه .

ليس في الامر غرابه فليس أمية بأول رجل في مكة أو بلاد العرب عرف شيئاً عن التوراة والإنجيل وليس هو أول من عادى الإسلام والتوراة والإنجيل والقرآن بين أيدينا شاهد بذلك وفي هذه المكتبة توافق في بعض النواحي التاريخية واختلاف في نواح أخرى فليس من المستغرب أن يعرف شاعر عربي

شيئا عن التوراة والانجيل وينظمه شعراً ولكن المستغرب حقاً أن يقول شولنهمس هذا إن محمداً عليه السلام استقى تلك المعلومات من المصدر نفسه الذي استقى منه أمية .

وليس أدل على الجمالة والتضليل في هذا القول وعلى التعصب الاعمى وقلة الخبرة من أن القرآن ليس بقصصه ولكن بأحكامه وبقانونه وبأعجازه ، وبآثره الاجتماعي والفكري . فهل اجتمع كل هذا في احد ؟ كلا . ولكن مستشرقاً يظن نفسه في منزلة علميه يطلق لنفسه العنان ويصدر الاحكام فيتألفها طاعن من طاعن ومبشر عن مستشرق للتشكيك في مصادر القرآن

ولو طأوعنا هؤلاء فيما زعموا ، وبجشنا عن كل حكم من احكام القرآن ومصدره ورأينا حكماً منها من السند والآخ من الهند والآخ من فارس ومن مصر ومن أثينا وروما للزم لهذا النبي الكريم آلاف الاسفار والاشتغال بالجامعات عدة قرون قبل أن يأتي بكتاب لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

مثل هذا التفكير المزري يقول به المستشرقون وتهضم عقولهم أن محمداً آتى بما أعجز الانس والجن في سفره الى الشام ثلاثة أشهر منها ثمانون يوماً ذهاباً وإياباً وعشرة اقامة

ولكنها طريقة من طرق التشكيك وضرب من الهوي لا نشك أن القارىء عرف مغزاه

الفصل الثالث

التحليل النفسي لحياة محمد قبل البعث

نحن نشكر إنكاراً تاماً أي أثر للأديان السابقة للإسلام في نفس سيدنا محمد ، وسواء سمع بها ورآها أو خالط أهلها وتعرف بهم ، فإن ذلك لم يترك في نفسه الشريفة أي أثر ، ولم يملق بذهنه من مبادئها وتعاليمها ما يجعله يفكر فيها أو يفضل أحدها أو يقلدها

وليس أدل على ذلك من أنه لم يرد في القرآن الكريم الذي أحصى كل النعم التي وجبها أعداء الإسلام لنبيه الكريم ما يؤيد هذا الزعم (١)

ومسألة التحنث في الفار والطواف بالكعبة وتوزيع الصدقات هي نوع التعبد الذي كان يتخذه عليه السلام قبل بعثه

فإذا قلنا إن التحنث في الفار له ما يشبهه في الأديان الأخرى فالطواف بالكعبة لعلاقة له بأي الدينين النصراني أو اليهودي الذي يعمل جماعة المستشرقين الأسباب ويخترعون الوسائل لقول باقتباس الدين منها

ولقد طبقنا حياته الشريفة على علم النفس الحديث لتعرف أي سبب دعاه إلى هذا النوع من العبادة إذا صرفنا النظر عن العامل الإلهي الأكبر في توجيهه إلى هذه الوجهة

ولكي يمكن فهم هذا الموضوع سنقدم للقارئ مقدمة وجيزة في علم النفس والتحليل النفسي لكي يفهم أمنا تطبيق حياته على علمي النفس والوراثة

(١) بل وجد فيه وصفه بالأمي ووصف قومه بالأميين ، ووجد فيه (وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطون)

لقد قسم فرويد العقل ثلاث مناطق

١ - العقل الظاهر . أو الواعي . أو منطقة الوعي

٢ - الذاكرة

٣ - العقل الباطني . أو غير الواعي . أو منطقة اللاوعي

فالعقل الظاهر أو منطقة الوعي تحتوي الأشياء التي يدركها العقل في وقت

معلوم ، وهي التي تهيمن على الإنسان في حالة صحته وعمله

والذاكرة تحوي الذكريات الماضية أو مامر على الإنسان أو حفظه

والعقل الباطني يحوي الأشياء الممنوعة من الظهور بواسطة الوقيب العقلي

وفيها جميع الغرائز الموروثة ورغبات الإنسان التي تدفعه إلى رغباته المتعددة

ولكن بمنعها من الظهور قوة حاجزة تسمى بالرقب ، لان كثيراً من رغبات

الإنسان لا تتفق و لوسط الاجتماعي

والغرائز الموروثة في الإنسان تتجلى فيه من السنة الثانية من عمره باظهار

رغباته ككل الاطفال ولكنه يجد المقاومة لتلك الرغبات من الوسط المحيط

به والذي يختلف باختلاف السن والوسط

فان الوالدين أو المربين والأستاذة هم الذين يتوفون ارشاد الطفل في مدى

سنه الاولى وبذلك يبتدىء التعادى بين غريزته الاجتماعية والغرائز الاخرى

كالمهسية والابانية ، فبطبيعة الحال يصبح مضطراً حياً في استمرار الالفه بينه

وبين المجتمع إلى اتباع خطة مواجهة الواقع فيتنازل قهراً عن الأشياء التي يريد

هـ . و ستمجنها الناس .

من العناصر الأساسية لنظرية فرويد أن الرغائب والميول التي تفتح وتبعد

إلى العقل الباطني أو غير الوعي لا تمنح بل تبقى حية ولها أثرها في حياة الشخص

تؤثر تأثيراً واضحاً من مظاهر الوعي بطريق غير مباشر فإذا كانت هذه الغرائز

القموعة سيئة أمكن تهذيبها بالقوة الدافعة المرافقة لتلك العناصر المفترية التي في العقل الباطني وتوجيهها إلى طريق نافع يساعد على تقدم الشخص ويكون تأثيرها في الوعي نافماً - هذا ما يحصل في الاحوال العادية ولكن لنقص في التربية وخصوصاً المنزلية قد لا يحصل التهذيب في تلك القوة الدافعة وقد تستعمل في الاضرار بالتطور العقلي من الطفولة إلى المراهقة، مثال ذلك إذا تعلق الطفل بالديه - خصوصاً اذا كان وحيداً - فيكبر وليس لديه أي اعتماد على النفس وتكون النتيجة رسوخ هذا الميل عنده فلا يقوي على احتمال صعوبات الحياة وحده فاذا اضطر إلى ذلك اضطرراً أصابه الحنين وكانت عملية القمع - أو تخفيف لوعة فراقه - مسألة شاقة ومؤلمة وذلك لأنه بعد أن تعود الاعتماد على والديه رى نفسه قد كبر وأصبح في سن خاصة لا تتفق ومركزه وكرامته أن يكون عالة ويتسبب عن ذلك ظهور أعراض مرضية في العقل الظاهر كالبكاء والحزن وكذلك قد تصيب الشخص في حياته وهو صغير صدمات مؤلمة يضطر إلى قمعها في العقل الباطني ولكنها تبقى فيه طول الحياة، وقد تظهر أعراضها في ظروف مختلفة إذ لم يستطع الرقيب قمعها تماماً فاذا فشل الرقيب في قمع هذه الصدمات يما ظهرت بشكل أفكار تجول في خاطر الشخص أو اعمال لا فائدة منها هذه مقدمة سطحية جداً في علم النفس يمكنك أن تفهم منها النتيجة الباهرة التي وصل إليها فرويد وهي أهمية الفرائز في احداث ظواهر عقلية خاصة في تصرفات الشخص في الحياة.

وبنظرية العقل الباطني وأثره تفسر الاحلام وتحلل نفسية الاشخاص، ومهما يكن من تنافر الآراء بين علماء النفس فإن الجميع (فرويد وبنج واولر) يعترفون بأن العوامل الخلقية والوراثية لها كل الاثر في الامراض النفسية - وكفايات الشخص

أما قوانين الوراثة فلم يوضع لها إلى الآن حدود وقواعد ثابتة يمكن تطبيقها بسهولة . وهي وإن كانت تفسر لنا الأحوال النفسية التي بين أيدينا إلا أن اختلاف طرق الوراثة في سلالة واحدة لا زال محتاجاً إلى تفسير ومشرح كأن يكون الاخوان الشقيقان مختلفين في الأخلاق .

إلا أن ذلك لم يمنع المشتغلين بتأصيل الحيوان من تتبع سلالة المهجين وإمكانهم أن يستخلصوا منها بالتناسل سلالة ققية . فانه من الممكن ومن الأمور العادية جداً أن تحصل على جواد عربي أصيل من أم وأب هجينين بتقوية الدم العربي في كل سلالة وذلك بانتقاء الأقرب إلى الأصل الذي تريده .

هذه مقدمة لبحث التحليل النفسي لحياة سيدنا محمد قبل البعث، وسرى أنه يستنبط منها أنه كان في ذاته وشخصيته وحدة كمال مستقلة ولم يكن في نفسه أي أثر للاديان الأخرى وأنه كان نسيجاً وحدة .

فقد رأيت مما شرحناه لك أن العوامل النفسية في العقل الباطني هي الفرائز النفسية الكامنة أو التي قمت وإن لها أكبر الأثر في تصرف الشخص .
فلنطبق ذلك على حياته الشريفة .

فسيدنا محمد كان يعيش في وسط عبادة الاوثان . أو ما تقدم الاسلام من الاديان، فكانت هذه هي القاعدة الأساسية في المجتمع الذي كان يعيش فيه، فإذا كان محمد ﷺ قد ورث في نفسه عوامل نفسية تخبره على كراهيتها كان له أن ينتمى أو يعيش بها، ولكن عمليات القمع بواسطة الرقيب العقلي وغريزة الاجتماع وآداب العشرة نهته أن يعادي الناس، فإذا كان شأنه مع نفسه؟ هذا ما سوف نتطوره من نتيجة التطبيق العلمي على ما أثر من حياته الشريفة في كتب السير المعتمدة .

الحمل والطفولة

إن سلسلة نسبه الشريف تنتهي الى اسماعيل و ابراهيم من جهة الوالدين وهو نسب معرق في النبوة . والعمل على تطهير العقائد . وسئل النبي عن نفسه فقال — أنا دعوة ابني ابراهيم — (ابن هشام ص ١٥٥)

ونسبه صلى الله عليه وسلم بانتهائه الى اسماعيل و ابراهيم ونوح المعترف بنبوتهم من الاديان الاخرى يجعلنا نطبق قوانين النفس والوراثة الاخلاقية على شخصه الشريف . ولو كانت قوانين الوراثة واضحة تماما ومحدودة في حدود علمية تامة — امكن في تطبيقها أكبر لذة علمية . ولكن الناس يعرفون منها اليوم قوانين وتائج لاشك في صحتها فيقولون عن السبع أنه يموت عطشا ولا يبلغ من ماء ولغ فيه السكب .

وينقلون عن أبناء الملوك المعرقين قصصا طويلة ونوادير عن الانفة واحترام النفس فلا تنتظر من مثل ذلك النسب الا وراثة غرائز أرقى من مجموع مستوى الناس علي الاقل مما كان يتجلى في آباءه وأجداده . فانهم لم يشتهروا بالثروة والغنى . ولقد ولد عليه السلام في إملاق واسكن آباءه اشتهروا بالشرف والنخوة وعرف عن أهلهم شدة المراس والصلابة فيما يعتقدونه حقاً . ولم يرث عليه السلام من آبائه إلا شرف النفس . وهو ما نعبّر عنه باللسان العلمي بالغرائز والالهامات الراقية العالية .

يدلنا علي ذلك أخلاقه قبل البعث ! وقار وحشمة . واحترام لنفسه ولم يوتكب زلة أدبية مما كانت تبيحه عادات الجاهلية . فلم يسكر ولم ينهب ولم يقتل الي غير ذلك . مما كانوا يعدونه من ضروب الشهامة . وكانت أخص صفاته احترام النفس والغير . فلم يعتد على أحد ولم يطلب عنده حق لغيره .

كان هذا قبل النبوة . وقبل أن توجد عداوات وحزازات . شهدت بها وفود أعدائه عند ملك الروم . وهذا أرقى انواع الغرائز والالهامات .

ولتتمش قليلا بعد ميلاده . فتراه ولد يتيما الأب ولم يلتصق بأمه بل بعث به الى الصحراء .

مسألة غريبة في هذه الحياة الحافلة . فقد علمت ان الالتصاق بالوالدين فيه مضیعة للاعتماد على النفس . وفيه معنى من معاني الرخاوة في الطباع وقد يكون في الالتصاق باحدهما مفسدة للأخلاق .

ولقد يتيم من أمه طفلا فلم يكن له أمل في الاعتماد على أحد من الناس اعتمادا قد يقتل من عزمه : أو يفسد من طباعه ولتنظر الي اليتيم وأثره في النفس .

أنا شخصا جربت ذلك ، فقد ولدت يتيما الأب وفي كفالة الأم وقد أوردني ذلك عوامل نفسية مؤلمة . ما تحدث بها الا أمضني الحزن والألم .

ان أول ما يشعر به اليتيم متى شب هو الاقرار بالواقع والاستسلام للقضاء والقدر . والرضا بما قسم له من نصيب محزن . لفقدان عطف الآباء . والمرشد الخبير في أوقات حرجة من ظروف الحياة التي تحتاج الى قرار حاسم من مظم خير . ويكون الدافع النفسي موجها الى الخضوع والوحدة . لا الى حب السلطان والمظاهر البراق . كما تعود النفس الخشونة وعدم العطف . فلا يعود اليتيم التدلل ولا المرح وهما اهم خواص الطفل في سن الصغر ، وذلك كله نتيجة الاخفاق في اشباع رغبات الطفل . والفشل المتوالي في نوال كل شيء يتطلبه أو يتطلع اليه أضف الى ذلك نوعا من الشفقة المؤلمة ، ونوعا من العطف أقتل للنفس من العقاب الصارم ، ذلك هو الحنان الذي يستجدي كأنه حسنة أو نافلة ، اذ ترى قوما يظنون انفسهم على شيء من حسن الصفات يعطفون على اليتيم عطفًا هو اشبه بالصدقة منه بالعطف ويشفقون عطفهم بالإشارة الى انهم فعلوا ذلك لیتيم الشخص .

دعيت مرة الى مهرجان زواج ، وانا غلام صغير فوزعت الحلوى على الرجال

والفلمان وكان كل والد يحضر لنجته نصيبه من الحلوى ، وخرجت من الاحتفال وليس معي غير دمة تفرق ، فلم أصب من الحلوى قليلا او كثيرا ، ولم يلاحظ اخفاقي انسان ، فآليت على نفسي بعدها ان لا اذهب الي مهرجان (١) وتوفيت احدى قريباتنا وانا غلام ، وكانت تحبني لغرابتها من المرحوم والدي وكنت في نحو العاشرة من عمري ، فانسلت وحدي من المنزل لامشي في جنازتها اعترافا بهذا الحنان الذي كانت نظامه نحوي ، وبكيت عليها كثيرا لانها ما كانت تراني حتى تذكر والدي وتبكيه ، وكانت هذه السيدة أصيبت بشلل : فكانت تهتز في بكائها الى درجة اني كنت اشعر ان نوبة اغما تعمرها فاذا افاقت قبلتي فينبال وجهي من دمعها

رايت وفاة لها ان اسير في جنازتها وان اشيعها الى مقراها الاخير بتلك الدموع التي أرهقتها لذكرى أبي

ودفنت ، ووقفت على قبرها أبكي ، وكنت ألاحظ ان الناس ينصرفون في مركبات أعدت لهم ولم يدعني انسان لركبته ، وبعد قليل ، وكانت الشمس قد قاربت الغيب ، وجدتنى وحيدتين المقابر ، لم يعرفني أحد اهتمامه ، ولم يسأل عني سائل

هناك عرفت ان لا نصير لي في الدنيا ، ولا من يسأل عني ، وضربت يدي الى جيبى فوجدتنى خالي الوفاض ، فافترشت الارض انتظرا ما قدره لي الله لولا ان أسمعتم بكمار له حمار أعرج ، يسوقه امامه وسط اقبور ، وهم ينفون بصوت متهرج فواصلتني الى البيت على أجر انفقما عليه

(١) ولعل أمثال هذه الحادثة هي التي جعلت عليه السلام يرضى بالواقع فلم يذهب

الى سمرو لم يحضر ناديا

بعد تلك الحادثة لم أكن أذهب الى مكان الا بعد ان أفكر في طريق

المودة وحدي

هذه العوامل كلها تورث في الطفل شيئا كثيرا من الحسرة والاعتماد على النفس ، وتعلمه الحياة ومعناها وهو طفل فيعوض بنفسه ما فاته من عون والده ولذلك لم أشك في رواية بحيرا حين قال عن النبي ﷺ (ما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا) لان مثله يجب ان يكون أستاذه نفسه ولا فضل لاحد عليه .

على ان هناك عاملا نفسيا قويا يختلج في نفس اليتيم وهو ذلك الشعور الذي يتولاه بانه ضحية القدر وانه بريء مظلوم في العالم ؛ فقد مرح الطفولة وابتهاماتها العذبة ، وسرورها المستمد من عطف الوالدين وارشاد الوالد . فينظر الى العالم بالمنظار الاسود ، ويفكر في الانتقام من العالم لو استطاع الى ذلك سبيلا

هذا امر من امراض بعض النفوس ، ففرصة التخريب والهدم كاملة في النفس . ولكن عوامل الضعف قد تكبر هذه الفرائز ولا يجمعها غير التربية والوسط ، ولم يكن محمد ﷺ في وسط يساعد على تكوين نفسه ولكن الظروف هيأت له ان يكون رقيق القلب وكأني بهذه الظروف ليست بنت المصادفة ولكنها إلهام وتوفيق من قدرة أقوى ، فكيف تهذب نفسه وكيف صار باراً بالعالم والفقراء واليتامى . وكيف استطاع ان يعرف نفسه وكيف تربت نفسه على العظمة ، ولم تفقد كبريائها مع اليم والاملاق

ان (نشأته راعي غنم) هي السر في انتصاره على افكار ثورية عليها الطبيعة البشرية وغرائز الهدم والتخريب وشعوره بظلم الحياة بفقد والديه

فلما كان غلاما تحمل مسئولية رعاية الاغنام التي هي مضرب المثل في الوداعة ، وهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا . وهي أحوج ما تكون لرعايته

من الذئب الذي يهاجمها

ولقد توفرت في هذه الصناعة كل العوامل التي يحجبها اليتيم كما أسلفنا من العزلة عن الناس اتقاء ما يصيب اليتيم منهم من إهمال وعدم عطف والزهو والاعتكاف حتى لا تتأثر النفس بضعفها في الحياة . فهي نوع من التربية النفسية لنمو غريزة المسؤولية ورعاية الضعيف والعطف على الوداعة . والشعور بالسلطان . والاعتماد على النفس

وان محمدا ﷺ يشعر وهو يرعى الاغنام بأنه ملك صغير له رعيته وعليه واجبه . وأهم هذا الواجب هو حمايتها ، من الذئب أو من اللص ، وهو في أثناء ذلك يمشي في الارض ويفكر في الطبيعة بين السهل والوادي ، والجبل والصحراء ، يبحث عن رزق أغنامه ورزقه ، أليس ذلك يصرفه عن البطش بها ؟ أليس يعرف انه مسئول عن ضياعها ؟ اليس هذه مسئولية تربي في نفس كنفه الشريفة كل تقدير للواجب وتعهده أن يكون راعيا كبيرا ؟ يرعى الناس فيما بعد .

« ٥ »

حياته وهو غلام

في حياته عليه السلام أثر واضح للغرائز النبيلة ، وان عقله الباطني كان أنشط من عقله الواعي ، والهامة الطبيعي أشرف من الهامات الناس كافة لقد عاش في وسط ليس للتربية القويمة أي أثر فيه . وقد يكون الوسط العربي في بلاد العرب اليوم مشابها له ، أي إن الغلمان لا يجالسون الكبار ، فلم يكن له فرصة التربية العملية تلقينا أو مشاهدة ، ولكنه كانت تربيته غرائزه الخاصة اذا صرفنا النظر عن القوة الالهية التي نعتقد انها كانت مشرفة على اعداده .

يتجلى لك ذلك في حوادث جمة نسوق لك منها حادتين : الاولى ما ذكره

ابن هشام وغيره نقلا عن الحديث الشريف :

لقد رأيتني في غلمان قريش تنقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تمرى وأخذ أزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لا قبل معهم كذلك وأدبر اذ لكنتي لا كم ما أراه لكمة وجيعة (١) ثم قال : شد عليك أزارك ، قال فأخذته وشدته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وأزاري علي من بين أصحابي

والحادثة الثانية هي الحادثة المشهورة اذ أراد أن يسمر بمكة وتمتها كما جاء في قوله عليه السلام : فخرجت لادنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان زوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك حتى غلبتني فتمت

فما هو التعليل النفسى لهاتين القصتين اذا صرفنا النظر عن العامل الالهى الا كبر - فان هذا الها تف وهذه الكلمة هما نشاط العقل الباطن نشاطا غير معتاد نتيجة الغرائز الشريفة التي أخفاها الرقيب العقلى على حكم البيئة التي يعيش فيها عليه السلام ، فسمعه صوتا وشعر به لكمة وهذا كثير الحصول في الامراض العصبية اذ يرى الشخص أو يسمع أو يشعر بأشياء لا وجود لها نتيجة العقل الباطنى وكذلك تعمل الحادثة الثانية بمغالبة دافع السمر بغريزة الاقتصار والرضا بالواقع ، ومواجهته ، فشغل حتى نام

وايس هناك فرق بين العقل والجنون الا قوة الرقيب فاذا ظهرت الغرائز التي لا تلائم المجتمع سمينا ذلك مرضا ، واذا ظهرت الغرائز التي ترقى المجتمع وتسمو بالشخص الى منزلة رفيعة ومثل أعلى سمينا ذلك شخصية فذة وعقيدة ، وعزونا ذلك الى الغرائز الشريفة الراقية التي لم يستطع الرقيب التغلب عليها بحكم الوسط ، فالوسط القدي كان فيه عليه السلام يسمح للاطفال تمرية سوء انهم أما غريزته فكانت أرقى من ذلك ، ولذلك نشط عقله الباطنى ونهاه عن العري ويمكنك أن تؤول كل تصرفاته وهو طفل على هذا النحو فلا تجد هناك

(١) يظهر أن الرواية بالمعنى والا في استعمال وجيعة نظر

الا تعليل واحد وهو أن غرائزه كانت نبيلة غاية النبيل مما اشتهر به من الامانة والكياسة إلى غير ذلك من جميل الصفات

محل تاجر

هذه الصناعة هي ألصق الصناعات باخلاق الناس ودراسة نفوسهم وفضل السياحات عظيم في تربية الشخص الخلقة . وقد ظهرت لك غرائزه في أمانته . ولنذكر الآن المناظر الجوهرية في هذا البحث وهي صلة محمد ﷺ بالاديان الاخرى وهل هي التي أثرت فيه في التحنث بالغار أم لا ؟ يقول لنا جماعة المستشرقين إن صلة محمد ﷺ في سياحاته بالاديان الاخرى عرفته الشيء الكثير عن تلك الاديان ودراستها وبخيل إليك أنها كانت دراسة عميقة كدراسة الطالب الذي يتخصص في علم الطب والحقوق مثلاً . ومثل هذه الدراسة لا بد أن يلزم الطالب فيها باب أستاذه مدة طويلة جداً من الزمن . نوازي على الأقل مدة دراسة تلاميذ سقراط . ولكن ظهر لك أنه لم يصرف في الرحلة الثانية غير ثلاثة أشهر منها نحو ثمانين يوماً في الطريق . وبلوح لنا أن هذه الرحلة لم يكن الغرض منها سوى التربية النفسية . وتحمل مشاق السفر والمحافظة على الامانة التي عهد اليه القيام بها وهي توصيل التجارة والعودة بالثمن . كما بينا ذلك مفصلاً في الفصل الثاني الذي مر بك .

ولقد ادعى در متجنم وغيره أنه عليه السلام ذهب إلى اليمن ولم تؤيد كتب السير هذا الزعم . ولكنها أضيفت فقط لانهويل .

دين محل قبيل الوحي

فلننظر ما ذكره ابن هشام ونستنبط منه دين محمد قبيل الوحي وهل تبعه له صلة بالاديان الاخرى أم لا ؟

لم يرو لنا أحد من المسلمين وأعداء الاسلام شيئاً عن دين سيدنا محمد قبل الوحي . بل كل ما قالوه هو أنه ﷺ (ابن هشام صفحة ٢٢٤) كان يجاور في حراء في كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والحنث لغة هو التحنث

وقال عبيد - صفحة ٢٢٥ - فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه فإذا قضى ﷺ جواره من شهره ذلك كان اول ما يتدى به اذا انصرف من جواره الى الكعبة فيطوف بها قبل ان يدخل بيته

هذا هو كل ما كان يفعله عليه السلام من التعبد قبل بعثه وانطبق ذلك على علم النفس ايضا .

لقد نشأ محمد عليه السلام في الجاهلية التي كانت تحترم الكعبة وقد اوجدت الظروف التي طرأت على بناء الكعبة فرصة انقسام القبائل على حمل الحجر الاسود فكانت فرصة سانحة له اعطته ميزة الفصل بينهم وان يكون رداؤه بحمل الحجر وان يكون له ميزة وضعه يديه الشريفتين مكانه

فالهامات محمد ﷺ الطبيعية وغرائزه لم تجعله ينفر من الكعبة وهو بحبل ما سيكون لها من الشأن على يديه مستقبلا . وليس في التوراه والانجيل ما يدل على ان هذا هو بيت الله الذي بناه ابراهيم فهو علي حكم البيئه التي نشأ فيها لم يشذ عن احترام الكعبة . ولكنه نفر مما حوت من اصنام . مما كان المجموع يدين به نقف هنا وقفة قليلة لتأمل هذا الفرق الهائل بين احترامه للكعبة ونفوره من الاصنام .

فالكعبة كما رايت لامت بصلة لليهودية ولا للنصرانية . ولكن العرب كانوا يحترمونها احتراماً متوارثاً وكانوا يعرفون أنها بيت ابراهيم ولقد روى الكلبي في كتابه (الاصنام) أن منشأ هذه الاصنام هو شدة تعلق ابناء اسماعيل بالكعبة فكانوا كلما كثروا ورحلوا إلى جهة أخذوا حجراً من الكعبة ووضعوه في مكانهم الجديد وطافوا به تبركا

ثم دار الزمن بهم فعبدوا ما استحبوا ونسوا مكانوا عليه فانت تري من هذا ان احترام الكعبة موروث في ابناء اسماعيل ومنهم محمد ﷺ ولكنه نفر من الاصنام .

وهذا فارق كبير . وتاريخه عليه السلام يكاد يحوي كل صغيرة وكبيرة من تعبد . بل كان يسأل بعد الاسلام من كل شيء . ولم نجد في عمل من أعماله دليلا على اتصاله بالاديان الاخرى

ولكن هناك أمر واحد تمحك فيه جماعة المبشرين بعد أن غداهم به فريق المستشرقين تلك هي القبلة الاولى وزعيم هذه الفرقة هو ستوك هرجرونيه وفنسنت طريد المجمع اللغوي الملكي . وسنين هذه الشهادة عند الكلام عن هذا الرجل الذي وقفنا معه موقفا خالدا في هدم المستشرقين . على أن ذلك كان بعد البعث ولا شأن له بموضوعنا الآن . وعلى أن الأعمال الثلاثة التي كان يدين بها قبل البعث هي المجاورة في الغار وإطعام المساكين والفقراء . فإذا انتهى ذلك الشهر طاف بالكعبة سبعا

فهل هذه الأعمال تمت بالصلة لاي دين من الاديان السابقة ؟

إذا كان هذا التعبد أن صح تسميته بهذا الاسم مصدره الغريزة والالهام وحده فهو على حكم الوراثة من جده الأعلى إبراهيم وإسماعيل قد شق له طريقا وحده

ولم يقل لنا المستشرقون ومن جرى مجراهم أنواع هذه الصلة التي قالوا عنها بل اكتفوا بهذا الوضع للتشكيك لاغيره والا فاني انحدي من يقول بأن هذه الأعمال التي كان يقوم بها محمد ﷺ متخذة من الاديان السابقة اللهم الادين الحنيفية دين الاسلام وملة إبراهيم، ومحمد بفرائضه والهامه شق له طريقا وحده ولم يتشيع لدين ما قبل بعثه . وإلا لكان الكافرون من أهل زمانه حاجوه بما كان يعترف به أو بعمله وليس في القرآن إشارة ما إلى ذلك مع أنهم حاجوه بكل أنواع الحجج وطعنوه بجميع أنواع المطاعن الا هذا . فهل ماخفي عن معاصريه اكتشفه المستشرقون في آخر الزمان ؟

صبحانك هذا بهتان عظيم

الفصل الرابع

محمد ﷺ وروح لا اجتماع عند البعث

رأيت في الفصل السابق ان دين محمد ﷺ واتصرفاته قبل البعث كانت كلها من منبع الفرائز والالهامات العالية

وقديما قال الحكماء ان السر في عدم انجابه ذكرا ان أي ولد يخرج من صلبه كان محتوما ان يكون في درجة من النقاء يصل بها إلى درجة النبوة . وموت أولاده المذكور كان قضا . وقد رأينا لانه ممد لتلك الرسالة العظمى التي ختمت به ويقول لنا درمنجفام ان موت أبنائه قد زرع عقيدة زوجته السيدة خديجة في الاصنام . واتى لنا بقصص كلها خرافية جديدة بان نهملها (١)

والآن نقف وجها لوجه مع جماعة المستشرقين كلهم الذين كتبوا ويكتبون عن حياته كرجل عظيم . ونريد ان يتمشى معنا القاري . في هذا الفصل انري هل كان محمد ﷺ رجلا عظيما فحسب أم نبيا ورسولا ؟ ولو جدت عبقرية عظام الرجال في عصره وفي بيئته كانت تقوم بما قام به أم لا ؟

رأى الباحثون من المؤرخين أن العالم كان في وقت البعث في حالة انحلال أدبي وسياسي عم شطري الكرة الأرضية

في الشرق كانت الصين والتبت تمزقهما الحروب الداخلية، والمهند كانت

(١) يقول درمنجفام ان سبب زعزعة عقيدة السيدة خديجة في الاصنام انها كانت تقدم الذور والحلي لتلك الاصنام طلبا لحياة أبنائها المذكور من سيدنا محمدا لم تفلح هذه القرابين تزعزعت ثقافتها وأعرت سيدنا محمدا بهدم كيانها على ان الواقع ان أولاده المذكور كلهم ماتوا بعد الاسلام فلو كان استنتاج درمنجفام حقيقيا وينطبق على نفسه علة السلام لسكان موت ابراهيم آخر انجاليه سيبا في ثورته عليه السلام على العالم أجمع . ومع ذلك فكل ما قال معاصرو النبي عند موت أولاده المذكور أن الله قلى محمدا فنزلت سورة (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)

في فوضى أخلاقية نتيجة انتشار الذهب البرهمي الذي يعد من أركانه هبة البنات
الابكار للآلهة وأن يقوم البرهمي في دور الآلهة في الاستمتاع بالعداري مما لا
يزال له أثر حتى اليوم ، وبهية البنات للاستمتاع الدني في المأبد وبطلق عليهن
اسم فتيات المعبد

وكان شمال غربي آسيا في حالة ركود وغموض ، وشمال افريقيا في حالة
يرثى لها من الظلم الفاضح على ايدي فلول الرومان التي فقدت سمعتها
الادبية ولم يبق منها الا بقية أنفاس تتردد كما تتردد آخر أنفاس المشرف على الموت
وكانت اليونان تعاني ما تعانيه بقية البلدان لتبعتها للدولة البرزنطية . التي
كانت مشتبكة في حروب مع الفرس الذين كانت جنودهم تبيث في أرض الروم
فساداً حتى انحلت أمة الفرس نفسها



ومن هذا يتضح لك أن العالم كان في غمرة انحلال أدبي وسياسي ومادي
وأخلاقي ولا يمكن نجاته الا بقوة خارقة نهديه سواء السبيل ، على أن العالم لم يكن
خالياً من بذور الإصلاح فقد كانت اليهودية معروفة . والنصرانية لها بابوية
روما . وما زال هذان الدينان منتشرين للآن . كما توجد انقاض المدينتين اليهودية
والرومانية .

هنا نقف بالقاري قليلاً لنستعرض الآراء التي يقول بها منكر ورسالة محمد
ﷺ ونتمنى معهم قليلاً في استباطاتهم لئلا يرى إذا كانت تهي لهم مثل تلك الدوى
قال المستشرقون ومن لف لفهم إن محمداً كان على اتصال علمي بالاديان
الاخرى . وانه استقى معارفه ومعلوماته من سياحته في الشام وباحته كما كنه بن
محضرون إلى مكة للتجارة . وقد زاد الفامزون اللامزون بأنه كان يحسن القراءة
والكتابة (مرجوليث) بدليل الآية الكريمة (اقرأ وربك الاكرم)

وادعوا أن هذا اعتراف بأنه كان يعملها . وأنه قرأ عن كل شيء .
إن تصديق مثل هذا الكلام فيه كل الميث بالعقل البشري ، أما سياحته
في الشام فقد سبق عنها الكلام في الفصلين السابقين

وهناك رأي آخر يقول به بعض المستشرقين وهو أن محمداً كان يقتدي بموسى
عليهما السلام وأن دعوته كانت لحب السلطان .

يقول هذا القول المستشرق مرجوليث في كتاب تاريخ العالم العام ونقول
رداً على هذا إن غرائزه وإلهاماته كانت واضحة تمام الوضوح وانصرفات الشخص
في عصره دلائل على غرائزه وميوله . ولم يكن في غرائزه عليه السلام ما يؤخذ منه
حب السلطان وحب المال والملك أو غرائز الهدم والافساد وحب الظهور وهي
أظهر الغرائز في حياة الاطفال الذين يرجح أن يكون لهم شأن في المستقبل بل
بالعكس كانت غرائزه العاملة هي التواضع والوحدة ونفي الخلاف ، ولم يعرف
عنه أنه استغل سلطانه في الاستفادة المادية وهي أهم ما يطمح اليه المقام .

كذلك لم يشتهر بالشعر ولا بالدعاية لنفسه وهما أقوى المؤثرات في عصره
وفي كل عصر مما كان يهيء له أن يجمع حوله جماعة الانصار يعديها العدة للمستقبل
الذي يتبعها لو أنه شخص ذو مطامع

هذان هما الرأيان السائدان في كتب المستشرقين وهناك رأي ثالث
يستنبطه بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة وهو أن محمداً عليه السلام كان على علم قليل
بالاديان السابقة غير أنه رأى أن العالم محتاج للإصلاح المعنوي والنفسي وأن
لا وسيلة لإصلاح المجتمع إلا بهدم الخرافات والمعتقدات الزائفة فبدأ بالدعوة
لهدم كل هذا

وانك لتجد في هذا الرأي أثراً واضحاً للثقافة والتعليم الراقى ، فصحاح هذا
الرأي ما حكموا هذا الحكم إلا بعد الاطلاع على تاريخ العالم الذي لخصناه لك
في أول هذا الفصل ثم درسوا المعتقدات التي كانت شائعة في ذلك العهد وكذلك

تعلّموا الموازنة بين لاديان ثم درسوا التاريخ السياسي والاقتصادي للأمم كلها حتى القرن العشرين ولذلك كان هذا الاستنباط لا بعد استنباطا بل بعد تقريرا لما حصل . ووليد الاطلاع على الاسباب والنتائج وهو تفسير لسر الدعوة التي قام بها الاسلام .

فهو كان يتسنى لرجل عاش في الجاهلية الاولى أن يعلم كل ذلك على غير معلم في صحراء جرداء قحلة ؟ وهل من الممكن لعقل بشري أن يسم كل هذا التحصيل والانتاج والتشريع وحده من غير معين من الاساتذة أو الجهابذة . مع ما علمنا علم النفس اليوم أن للعقل طاقة وللذاكرة احتمالات لا يمكن تجاوزها من غير أن يختل توازنها اختلالا عصبيا .

فأصحاب هذا الرأي يعرفون المقدمات والنتائج باجمعها فينسبون له عليه السلام قوة لا يتسنى لاحد من البشر ادراكها في ذلك الوقت الذي بدأ فيه الوحي وهنا سر اختلال هذا المنطق — وهذا الرأي . ففرق كبير بين أن تدرك الامر من أوله وبين أن تعرفه بعد نهايته بأربعة عشر قرنا . وان تعرف أسباب نجاح الدعوة وتضيف إليها استنباطا من عندك — بعد أن تقرأ كل ذلك في كتاب واحد مأخوذ من آلاف المصادر .

ولو أدت دعوة محمد ﷺ إلى نتيجة عكس ما أدت إليه لما أعدم أصحاب هذا الرأي الفحجة على خطئها وعدم ثقافة الداعي لها مما سنشرحه فيما بعد .

وهناك رأي آخر وهو على ما فيه من نهان جدير بالذكر والتمحيص وهذا رأي أصحاب الفلسفة الحرة ايضا . وهو أن ليس لعظماء الرجال حاجة إلى التعليم وان أكثر العظماء لم يكونوا من المتقنين بل يكفي للنجاح فكر صاف وقلب طاهر جبار وعزيمة صادقة واخلاص حر عميق وإيمان ثابت

وانا لتقف برهة أمام هذا الرأي لنقلبه ونقف على كنهه لان نواحي عظمة

الرجال متعددة . فإذا صدق هذا القول عن رجل سيامي بقيم ثورة أو يهدم عرشاً - أو يفتتح دولة ، أو يستأثر بسلطة فإنه لا ينطبق على صاحب دين أسسه قوة الحجة وسلامه المنطق ، وبذلك أول التاريخ القديم والحديث في زمنه فينفي ويثبت ويناقش ويجادل ولا بد لهذا كله من ثقافة وإطلاع لا وسيلة للالام بها .

فإذا كانت الالهامات والاخلاص والايان وحدها هي مصدر كل هذه المعلومات فالتا لا نشك ان معرفة الخلف بين منكري النبوة والمؤمنين قد قربت إلى أدنى حد لان الالهامات التي نتحدث بالغييب وتعلم الجمهور ومحبط بتاريخ الاوائل والاواخر وتنفي وتثبت بطريق القطع واصواب هذه الالهامات هي فيض من قبس الرحمن ورسالة من تلاً الاعلى

وليس الصدق الصرف والاخلاص الحر والايان ثابت الذي لا يتحدث به صاحبه ولا يكتب به شيئاً من حطام الدنيا بل احتمل مرارتها لهداية البشر وانقاذ لانسانية — ليس ذلك كله — الامرتية من مراتب النبوة .

وهناك مسألة جديرة بالنظر والتفكير وهي أن الاسلام ليس للزهد والاخرة فحسب . بل نظم أعمال الانسان في الدنيا لتكون وسيلة الى الآخرة . وشرع من القوانين في الحياة المدنية ما ينظم الهيئة الاجتماعية . وعلاقات الافراد والامم . وهذه ليست طريقة عظماء الرجال رجال الدول . أو رجال السيف . بل المعروف عن كل عظيم انه استعان بالاحكام العسكرية ليمنع حرية الناس في حدود القوفين التي يضعها لصالح الدولة أو الفكرة التي يقيمها وهذا هو الامر الشاذ في دعوة الاسلام . فلقد كانت مبادئه عامة

ولنتقل الآن إلى مسألة أخرى جديرة بالنظر والبحث وهي اننا لو فرضنا محمداً ﷺ رجلاً عظيماً فحسب هل كان يتبع تلك الخطة التي اتبعها في نشر دعوته ؟ وهل كان ينتخب لها ذلك الوسط والزمن اللذين قام فيهما ؟ وهل كان من صالحه أن يقوم بهذا النوع من الدعوة فـ

لقد أجمع المؤرخون أن مكة كانت وثنية حقاً . ولكن ما ضرر الذي يصيب العالم من عبادة الاوثان أو الاحجار مادام ذلك لا يؤثر في حياتهم ومعاشهم . وهذه أمة اليابان مثلاً تغفلت في الوثنية إلى العهد الحديث ومع ذلك طفرت إلى المجد طفرة واحدة فالضرر الذي يحصل من عبادة الاوثان إن هو الاضرار في نوع من انواع التفكير الصحيح . وإذا كان الدين هو معرفة حقيقة الله فقط من غير أن يكون وراء هذه الحقيقة مبادئ أخرى تنفذ البشرية من يرثي الاوهام واستغلال العقول لتساوت جميع الاديان . وهناك أديان تكاد تفس التوحيد ولكنها خالية من روح المنطق فتري في هذه الاديان أن البقر معبود يقدم . ويعد روثها بركة وتشرب أبوالها في حين تعد فريقاً من الناس نجساً لا يصح لمسه ويجمل هذا الفريق من الناس محكوماً عليه أن يعمل في الاقدار والاساخ . فإ الفائدة التي تعود على العالم من مثل هذا غير العيث بالانسانية .

وهناك بعض الفرق التي اخترعت لها مذاهب في الاديان السماوية ورجعت بالانسان القهري الى انواع عبادة الاصنام والاشخاص . فيوزن صاحب المذهب بالذهب كل عام ويؤخذ هذا المذهب من اتباع مذهبه ، ومن هذا يتضح لك أن التوحيد هو تحرير الفكر من كل شيء ، وليرجع إلى ما كان سائداً في مكة .

فالمهم والواضح أن اليهود — اتباع الدين الالهي الاول — كانوا يستغلون أموال هؤلاء الوثنيين بالربا الفاحش إلى حد استعباد الناس ودفعهم بيناتهم للبقاء تسديداً للديون الباهظة التي جرّها الربا الفاحش

وقد كانت حالة العرب الوثنيين من الفقر والاملاق والبؤس والتشريد مما يستوقف النظر العادي . وكانت مصيبتهم الاقتصادية والادبية مما يبعث على التفكير في هدم اليهودية لا الوثنية . فإذا أضفت إلى ذلك أن مكة ليست بلدًا زراعياً بل واد غير ذي زرع تكثفه الجبال والصحارى علمت أن كل أرزاق

الناس كانت من التجارة ورعاية الماشية في الاماكن البعيدة .
ومكة على حالها الآن اهن بكثير من مكة قبل الاسلام . فورد مياهها
الآن متوفر من [عين زبيدة] الذي جر اليها بعد الاسلام وكانت قيل بلفعا
جافا .

واذا عرفنا أن محمداً ﷺ كان تاجراً فان هناك مسألة لا بد أنه كان يعرفها .
وهي أنه رأى بعينه وسمع باذنيه . صدر الم الناس وقرم هذا الفقر الذي يقاسه
أهله وعشيرته من الربا والاملاق نتيجة طغيان أصحاب رؤوس الاموال من
اليهود الذين استأثروا بتشريع القوانين بمكة ، فاذلوا بهذا التشريع أعناق العرب
ودفعوهم دفعا إلى استثمار اعراضهم في البقاء (١) .

فالرجل العظيم الذي يوجد في مثل هذه الظروف لو كان غير محمد ﷺ
ونصب نفسه للدفاع عن المظلوم ونصرة الضعيف فانه كان يتخذ طريقا مباشرا
لفقضاء على أصل الداء من منابته والتاريخ يدلنا على أن عطاء الرجال الذين عاشوا
في مثل تلك العهود وجهوا جهودهم لأقصر الطرق فقموا بالدعوة للاشتراك
ومحاربة أصحاب رؤوس الاموال ، أو البلشفية أو غير ذلك مما تراه مفصلا في
كتب التاريخ عندما يستأثر بعض الناس بالامن ويستبدوا بالنفوس ، ولعل
دراسة أعظم الرجال تدعونا إلى تأييد هذا الرأي — فنبليون مثلا لما رأى الثورات
تمزق فرنسا لم يقم دعوة إلى الزهد بل عمل على حصر السلطة في يده من طريق
الحرب والقيادة ، وانتظم في سلك الجنود حتى وجه الانظار إلى مهارته كفائد
وأظهر نفسه وكبر من شأن عبقرية بفتح إيطاليا ثم عمد إلى كل الطرق التي تجعله
قنصلا فامبراطورا

ومحمد على باشا . عمل مثل هذا أيضا

(١) نعم إن البقاء كان فاشيا في الاماء وكى يشترين للتجار باعراضهن وفي
ذلك نزل النهي في القرآن (ولا تكموا فتيانكم على البقاء إن أمردن تحصنا) وقلنا
كانت تزني حرة

وكان أسهل طريق أمام سيدنا محمد ﷺ أن يستغل عبادة الاوثان ولم يكن فيها وفي مبادئها شيء عن الربا، فإذا جمع القلوب حوله وقبض على ناصية السلطة ضرب نفوذه على ما حوله واستغله في الإصلاح وأول ما يوجه نظره هو الحالة الاقتصادية والاجتماعية من طريق مباشر يمنع كل ما كان يشكو منه الناس

والطلم على تاريخ العرب في الجاهلية يرى أن الدعوة كانت مهمة لمثل هذا الرأي، وما كان عليه الا أن يستثير عواطف الناس في سوق من أسواق العرب ويدعوهم الى دعوة اقتصادية صرفة فيلتف حوله جماعة من أشد السواعد ومفتولى الفضل ويهاجم بها بيوت اليهود فيأخذ أموالهم ويطردهم ويحرر الناس من رقهم المادي. وبدلنا على صحة هذا الرأي ما نراه متجليا من روح الكراهية لاصحاب رؤوس الاموال. وانتشار الدعوة الى الرفق بالمظلوم فقد كانت الشعراء والخطباء مهدت فعلا الطريق الى مثل هذه الدعوة وتألف فعلا أنصار لمن يقومون بمثل هذه الدعوة بذلك على ذلك اشتات من فصائد وأشعار جاهلية في وصف هذه الحالة كقول بشر بن المغيرة عن اليهود:

وكلمهم قد نال شيعا لبطنه وشيع الغنى لؤم اذا جاع صاحبه
وقال الاعشى:

تبيتون في المشتى ملاه بطونكم وجاراتكم غرثى يمين خمائصا
كما يدلك على ذلك عادة وأد البنات في طبقة الاشراف ضنا بهن ان يكن
في يوم من الايام موضع استغلال للبقاء

فمن من عطاء الرجال يكون في مثل تلك الظروف ولا يقوم بحرب مباشرة ويستغل هذا الشعور المذهب ويضرب في الصميم بنهب اليهود وقتلهم، هذا هو الرأي الذي أوحى الظروف، معاداة اليهود وكراهيتهم وطردهم، ولكن جماعة المستشرقين يقلبون الحقائق ويقولون ان محمداً أراد استغلال اليهود وهذا هو للنطق الممكوس والكلام الهراء الذي لا يقوم عليه برهان، فالعمل التي كانت

تشكو منها الإنسانية لم تكن متجهة الى العقيدة بل الى انواع المعاملات الدينية والاجتماعية .

اما أن يقوم محمد ﷺ ويفكر في طريق شاق ملتو ويبدأ بمعاداة أهله في عقائدهم . وبسفه جيرانه وقومه في آرائهم وهزأ بعقليتهم فأول ما يقابل به هذا النوع من التفكير في تلك الظروف هو تلك تهمة التي آثمواهم أنفسهم بها أنه مجنون . لان هذا يشير الرأي العام عليه وما كان يقول به عاقل حكيم — لو كان عليه السلام مسقماً لنفسه وحدها من غير قوة عليا تؤيده وتوحي اليه وتدفعه دفعا الى هذا الطريق الشائك المملوء بالحطوط .

كان مكة البعيدة السحيقة لم تكن أصلاً مكان مثل هذه الدعوة لان الشخص العادي الذي ينظر الى اصلاح العالم لا ينتخب نجل البطلان عمرانا لدعوته . وماذا يكون رأي العقلاء لو قام رجل في أقل قرى الصعيد شائناً ليدعو دعوة اصلاح سيامي أو عمراني في مصر كافة . أو في العالم أجمع ؟

ومن الدهش أن الدعوة من أولها انبثت على مبدأ واحد هو الدعوة لله وحده . أليست هذه طريقة ملتوية ؟ وما الذي جعله يتمسك بدعوته هذه بعد أن سعي اليه زعماء العرب وأهله بولونه رياستهم وبمراضون عاين السلطان المطلق في الامر والنهي قاي ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ؟

لقد كان في استغلال شعورهم هذا ملكاً كبيراً ودولة يطردها مصادر ألم العرب وشقايتهم . وكانت فرصة ذهبية لجمع القلوب حوله وضرب المرائين واصحاب رؤوس الاموال ومفسدي الاعراض

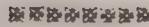
لنقف قليلاً ولنتدبر . ألم يستغل كل عظماء الرجال مثل هذا الظرف ؟ ألم يخلق نابليون ومحمد علي وكرومول وغيرهم مثل هذا الظرف ؟ وان تاريخ عظماء الرجال يخبرنا أن أول عمل يقومون به هو استغلال عواطف الناس لامتدادهم في عقائدهم وأخلاقهم .

(١) ان نفسية أي رجل عادي عاش في ذلك الزمن ما كانت تتخذ من وسائل الإصلاح مثل هذا الطريق الشاذ .

(٢) ان أسهل الطرق لاستغلال الشعور لم يكن قاعدة . بل كانت القاعدة تحدى الناس أجمعين وهذا ضرب من الاعجاز .

(٣) ان الذين يترفون بالاهاامات العانية في نفسية سيدنا محمد ﷺ يقربون من الحقيقة لو عرفوا أن هذه الاهاامات فوق مستوى البشرية .

(٤) الذين يحكمون اليوم على السيرة الشريفة بأسبابها ونتائجها لو عاشوا في ذلك الزمن لكان لهم رأي آخر .



الفصل الخامس

التوحيد هو روح الحرية

كان بودي أن أجمل مقدمة البحث في التوحيد مخلصاً لنشأة فكرة الأديان في العالم وأن أتناول بالتحليل كل دور من أدوار التفكير الإنساني الأول على ثقافته الضئيلة ليعثر على سر الوجود ويفهم تلك القوة المسيطرة على العالم فتسير به على هذا النمط المحكم الذي أدهش عقل الإنسان منذ تكوينه إلى الآن

الا أن هذا البحث يعد من قبيل المعلومات العامة في التاريخ القديم وكثير منها معروف وفيه الدليل على أن فكرة الإنسان في وجود قوة أكبر من قوته تكاد تكون في قدمها وعهدا كعهد الإنسان على ظهر البسيطة وإن العقل أدرك بفطرته أن هذه القوة موجودة ولما أعيته الخيل في حسنها ولمسها جهد أن يدركها من مظاهرها وأثرها في الحياة فعبد النيل لأنه يقوت الشعب ويعود بالخير والبركات ويعبد النار لأنها مصدر قوة عظمى وبشررها فعبدها خوفاً منها . وعبد الحيوانات المائية كالناسيج لأنه ظن أن الروح القوية أو روح القوة تخيل فيها وقدس الأبقار لأن في ابنها قوة له ، ثم عبد أشخاص الأبطال في صور من تماثيلهم لأنه رأى فيهم قوة إنسانية فوق قوة الإنسان العادي ، ثم فكر في أقوى المؤثرات في العالم فعبد الشمس وحدها .

كان الإنسان في كل هذه الظروف يتلمس إيجاد سر الوجود والعثور على معرفة الحقيقة لروح الحياة

يقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة أن الإنسان لم يبحث بفريزته عبثاً عن مصدر تلك القوة إلا لأنه ضعيف في كثير من أوقات حياته وقليل الحيلة فيما ليس

من قدرته . وقليل الادراك لظواهر الطبيعة التي تبهير نفسه فهو في حال المرض لا يقوى بنفسه على محاربة الداء . وفي حال الجذب لا يقدر على انزال الماء من السماء . فلجأ من ضعفه أن يستمد العون من قوة أخرى تحيلها انها أكبر منه سلطانا على الوجود ورمز لها بتماثيل يسجد بين يديها يستمد العون منها ولو تمسكنا قليلا مع هذه النظرية والفرض لخرجنا منها بنتيجة لا تقبل الشك وهي اعتراف الانسان اعترافا صريحا ببعجزه منذ القدم إلى يومنا هذا في حل سر الوجود بعينه المطلق . وفكره الشخصي مما علت ثقافته . ومهدت أمامه أسباب العلم .

وهذه النتيجة هامة فليتذكرها القاري . لانتنا سنعود إليها فيما بعد . غير اننا نشير الان الى أن اعتراف الانسان صراحة ببعجزه وضعفه جعله ينظر الى العالم نظرة فلسفية من غير أن يشعر ، فقد اعتقد أنه لم يوجد لا يكون ضعيفا ذليلا فتناهى في طلب الدل والتعشف والزهد والخنوع ، فآخذ يتلمس طرق ارضاء خياله عن القوة انسيرة للعالم من طريق اذلال النفس وقتلها بانواع شتى من التعذيب ترى صوراً منها في الاديان القديمة التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم ككفراء الهنود الذين يتعبدون بالجلوس على المسامير أو رفع ايديهم الى أعلى حتى تحب أو تنقعد أو غرس شص من الحديد في ظهورهم أو يملقون على الاشجار . وقد تغالى الانسان في زعمه هذا منذ القدم حتى قدم الدماء الانساني قربانا لاستجلاب ارضاء .

وقد يقال إن العالم تطور كثيرا ووجد فيه من العلماء والفلاسفة من أرشدوه الى معرفة شئ عن النفس الانسانية ومع ذلك لا نشك أن فطرة الانسان قد جعلته يفكر في القوة التي أوجدت هذه الكائنات وكانت فكرة الدين جزءاً من عقلية الانسان ، ونرى ذلك متجليا عند استكشاف (كورنس) لأمريكا الوسطى

وتوغل في بلاد المكسيك لأول مرة حيث حدثنا عن وجود ديانات فيها لا تختلف كثيرا عن ديانات العالم القديم ووصف لنا المذابح البشرية قربانا للآلهة ، ما يدل على ان فكرة الدين واحدة في العالم القديم والجديد متصلة وجزء من تكوين الانسان ، وان كان الطريق للعبادة مرسوما على قدر تفهم الانسان معنى الحياة كما يوجه اليه ضعفه وعجزه والتماس معرفة تلك القوة العظمى التي أوجدهه وصيرت العالم بذلك النظام البديع الذي بهر نفسه

وإذا تتبعنا تاريخ هذا التطور وجدت أنه حتى بعد ظهور أديان سماوية استمر تعذيب النفس واحتمال الأذى وكانت منتشرة في أوربا في البلاد التي يفتحها المسلمون حيث يحدثنا التاريخ ان بعض المتقشفين أخذوا يعذبون انفسهم تقربا لله بأنواع من العذاب كربط الساق حتى يتفتقر ويفسد ويتساقط منه اللود . وكعدم الاستحمام وعدم تغيير الملابس حتى تتساقط من نفسها ، وكالجوع باستمرار حتى الاشراف على الموت أو غير ذلك من ضروب الاحتمال للآلام (١)

(١) جاء في صحيفة ٦٠٣ من كتاب ديانا الغريبة — أن المسيحية في القرنين الاولين منها كانت تعد تعذيب الجسم أرقى صفات التقى فالقديس هيلاريون لم يحلق الا مرة في العام في عيد الفصح . ولم يقتل أبدا حتى صار جسده كالخجر الخفاف ولم يغير ملابسه حتى تتساقط من نفسها

والقديس مكار يوس كان يحمل دائما ما بين رطلين من الحديد وينام في مستنقع لكي تلدغه الحوام . والقديس يوزيبس عاش ثلاثين سنة في بر جافة وكان يحمل مائة وخمسين رطلا من الحديد . إلى غير ذلك من أنواع التعذيب

our wonderful world p. 603

والحكيم العربي يقول : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، وجاء في الآثار : ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى

وفي كل ظرف من هذه الظروف نرى ظاهرة أخرى في تفكير الانسان وهي ان هناك واسطة بين الانسان وتلك القوة القادرة التي تخيلها فاستغل قديما جماعة الكهنة في مصر ذلك حتى نازعوا الملوك سلطانهم وفي البلاد التي ما زالت في الوحشة الاولى أقامت أمثالهم مقام السحرة أو غير ذلك مما يطول شرحه وفي الهند نرى سلطان كهنة المنبوذين يكاد يشاطر الرجل رزقه وأنهم يعيشون عائلة على الناس من قبيل الاستهواء الديني

بعد هذه المقدمة الوجيزة لتاريخ فكرة الدين نفتر عن عدم الاطالة لان هذا الموضوع من المعلومات العامة التي يستطيع الباحث ان يجدها في الكتب المتعلقة بهذا الموضوع وأمله يستطيع اذا اطلع عليها ان يلم بها بما تاما وان يعرف أن التوحيد في الله كان معروفا حتى قبل ظهور الاسلام لان هناك اديانا سماوية سبقته ولكن كبار عقول الفلاسفة حتى بعد ظهور الاديان أخذوا يتلسون اسبابا منطقية ليقنعوا انفسهم بوجود خالق

وبطول بنا أيضا نرح هذا . إلا أننا نشير إلى أنهم انقسموا ثلاث فرق

(١) فريق نظر إلى الاديان بفكره القاحص فقط ثم اقتنع

(٢) وفريق فرض الشك وأراد أن يقنع نفسه من طريق التشكيك في كل

ما أمامه من الاديان

(٣) وفريق ترك كل هذا وأراد أن يبحث عن سر الوجود بنفسه . فاما

الفريق الذي اقتنع بنفسه يبحث الاديان اتني أمامه فلا مناقشة لنا معه

وأما الفريق الذي أخذ بتشكيك يقنع نفسه من طريق الشك فعلى رأسه

[ديكارت] وهذا مذهب أقل ما فيه أنه مبنئ على زعزعة المنطق ونحن الرجل

يفرض نفسه مثلاً أعلى في الكمال العقلي فيريد أن يقنع نفسه بنفسه لامن طريق

تفهم الشيء بذاته بل طريق التشكيك فيه . وهذا لا بد أن تعترض الشخص أمور
أكثر تعقيداً من أن يحجزها بنفسه ولنضرب لك مثلاً ديكرت نفسه لا يعرف
شيئاً من العربية فلا يمكن أن يعرف إعجاز القرآن . وديكرت لا يعرف شيئاً من
علم الفلك فلا يمكنه أن يفسر الآيات التي تعد إعجازاً في علم الفلك . كما توجد
آيات أخرى تعد إعجازاً في الطب لا يمكنه فهمها .

ومن عيوب العقل الانساني انه كثير لزهو بنفسه وان الفيلسوف يظن
نفسه بطلا في كل شيء . مع ان ديناً كالدين الاسلامي تناول كل أنواع التفكير
والتمسيع وهذا أكثر من ان يحكم عليه انسان واحد .

أما فريق الماديين فليس من موضوعنا مناقشتهم لاننا نرى في القرآن
اعجازاً يقنعهم وان الاسلام يتمشى مع العلم جنباً الى جنب وان في آيات
« خلق الانسان من علق » و « خلقناكم من طين » و « خلقناكم أطواراً » لادلة
اذا تفهمها هؤلاء الناس لحروا ساجدين إلا اننا لا نتكلم في هذا البحث الآن .
وأما نقتصر على الاعجاز النفسى في الاسلام . على اننا نرى من وجهة أخرى
ان الموضوعات العلمية الفنية تتمشى جنباً الى جنب مع الاسلام فأول آية من
آيات القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق .
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

فأنت ترى أن أول نداء للاسلام كان على دعائيتين . الله والعلم . وترى
كثيراً من آيات القرآن أحوالت على العلم تفهم دقائق الحياة وعناصرها .
وتركت للعقل البشري حريته في البحث والاستقصاء . وتركت للفكر والسمع
والبصر والافتدة سبيلاً لمعرفة الله عن طريق العلم : « سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم » ولقد قامت الدعوة الاسلامية على مناقشة الحجج بالحجة والبرهان
بالبرهان .

والظاهرة الغريبة جدا أن الاسلام لم يجعل فاصلا بين المرء وربه وجعل الناس كلهم سواسية . ان أكرمكم عند الله اتقاكم . وما محمد لارسل قد خلت من قبله الرسل وهو انسان كجميع الناس لولا انه نبي كريم وهذا ترى أن التوحيد ضرب الحجر على العقول ضربة قاضية . وضرب استضعاف المرء لنفسه ضربة قاتلة . وسأوى بين الناس جميعهم ، كما هدم كل أساس الافكار الخيالية في التقرب من الله بطريق تعذيب النفس — ان هذا الدين متين فاروغ فيه برفق كما ضرب الوساطة بين العبد وخالقه ضربة لا قيام لها

انظر وتأمل هذا النبي الكريم . على جلاله وعظمته وعلى مكانته عند الله والناس لما رأى رجلا مقبلا يرتعد رهبة قال عليه السلام [خفض عليك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة]

في هذه الحادثة وحدها : وفي هذا الحديث وحده كل معاني الحرية وكل معاني المساواة وكل معاني الحكمة الاسلام في الحرية الشخصية

ولنذكر لك أثر التوحيد في تكوين النفس ، وكيف تطور الفكر الانساني بمبدأ التوحيد ، ونبتت عند الناس فكرة الحرية الشخصية والدينية منذ الساعة الاولى التي قرع سمع العالم هذا النداء الاسلامي

لقد كان طبيعيا أن تصادم هذه الدعوة الحرية بكل معانيها بالعقائد التقليدية التي سبقت الاسلام . وهي عبارة عن اعتراف الانسان بضعفه اعترافا صريحا — كما تقدم — واققراره بمحدود ضيقة اعقله لفهم تلك القوة الهائلة المسيطرة على العالم وعبادة البطولة والابطال والقوة في رموز من التماثيل يستلهمها وقت الضيق ، ويتقرب منها عند الحاجة ، فقام نزاع شديد بين هذه التقاليد الموروثة في الجود الفكري

ورأى الناس الدعوة لله والعلم عن طريق الفهم والحجة والبرهان والعقل فنشبت معركة هائلة بين العقل والقوة ، ومظاهر القوة مادية مخضة فلبأ الكذوبن إلى ايذاء النبي وصحبه وانزال العذاب بهم مما يشيب لهوله الولدان ، بالضرب وبالحرق ، وبالكلي ، بكل انواع الوحشية

ذلك لان عقول هؤلاء الناس لم تكن في أدفعهم ، ولكن في أيديهم وفي أدوات اعتدائهم ، كما رباهم على ذلك هؤلاء الناس الذين استعملوا ضعفهم الفكري ، فاستغلوا عواطفهم لاستئثار الامول منهم

ولقد صبر محمد ﷺ وأصحابه على الاذي والعذاب ، وهذا الصبر والثبات في موضعهما ضرب من ضروب تطور الفكر الانساني من حال إلى حال ، فالناس قبل الاسلام كانوا يحتملون العذاب تقرباً من الله ، ويحتملون الاذي الفكري من غير فكرة معينة عن الله ولكن أصرار المسلمين على عقيدتهم ، واحتمالهم الآلام في سبيلها ، هو دفاع عن حرية الرأي والعقيدة دفاع عن حرية التفكير ، دفاع عن الحرية بكامل معانيها ، فصاروا يقبلون العذاب في مقاومة العادات والاخلاق الموروثة ، وفي سبيل تحرر الفكر

وهناك ظاهرة غريبة . أغرب ما يتصوره العقل . فقد مضت ثلاثة أعوام على دعوته ﷺ ولم يتبمه الا ثلاثة عشر شخصاً وهذا يدل على مقدار جمود الفكر في تلك الايام . وإذا قست ذلك بما يحصل في زماننا هذا لوجدت فرقا كبيراً . فان حرية التفكير الآن تجعل كثيراً من الناس يعتقدون المبادئ الحديثة أياً كانت . حتى المبشرين والمستشرقين نجد لهم أتباعاً وأنصاراً

على ان الغريب في هذه الظاهرة في ثبات أصحاب النبي على الاذي انه لم يكن يديه شيء ما من حطام الدنيا ولم يكن لديه من المفريات ما يفرضهم لهذا الاحتمال . ولو كان رجلاً عظيماً فقط كما يدعي المستشرقون لغير من خطته وحب دعوته الى الناس بتغيير وجهتها لا قرب طريق الى عقولهم

ولكن هكذا كن ، فالادان التي سبقت الاسلام كان لها زعماء من رجالها قد استغلوا العقول ، فقصوا على التفكير قضاء يكاد يكون مبرماً ، ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ شاقّة في بناء التفكير الانساني من أساسه على مبادئ صحيحة هي توحيد الله ، وأما ما بقي من الدنيا فقد صار مباحاً للعقل والفكر في حدود المنطق الحكيم

وانقدرأيت فيما قدمنا من أحوال العالم وقت البعثة ان العالم كان في حالة
اجود فكري وركود سياسي وأدي وان المرأة كانت في الدرك الاسفل ، وان
الراسمالية كانت طفت علي العلم ومليك أزمته ، ولم يكن هناك وسيلة لانهاض
العالم من عثرته

فلا دوت كلمة التوحيد والعلم والتفكير ، عرف العقل مكانه
ومقامه ومركزه في الوجود ، وعرف الناس انهم كلهم سواء لا فضل لعربي على
أعجبي إلا بالتقوى ، وان لا سلطان على العقل ولا رئاسة للعقائد ،
وان الثواب والعقاب ليس بديانسان كائننا من كان والجنة لا تباع ولا توهب ،
وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة « اطلبوا العلم ولو بالطين »

ومكذاتحورت العقول وعرف الناس قدر أنفسهم ، وانه لا فارق بينهم
ولا نبي . يسيطر على افهامهم ، غير العلم ووحى الضمير عن طريق الفهم والحجة
هذه هي المبادئ التي لا توافق الاستعمار ، والتي يعمل المستشرقون منذ
القدم على مقاومتها ، وهي التي قال عنها « سيكارد » ان الاسلام في روحه الخاصة
يتنافى مع ملحمته فيجب التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لما

هذه هي المبادئ التي جعلت للاسلام أعداء من المسيطرين على البلاد
الاسلامية فربوا فريق المستشرقين لكي يناهضوها

وهذه المبادئ هي الحرية والاخاء والمساواة التي تمخضت عنها الثورة
الفرنسوية بعد عشرات السنين من الهول والمذابح البشرية وبعد اثني عشر
قرنا من ظهور الاسلام ، وبعد أن قررها القرآن حقاً من حقوق الانسان ، وجعلها
أساس العقيدة ، وفرضها على الناس ديناً وايماناً قبل ان تكون مبادئ

ثم انظر إلى قرارة الآلام البشرية التي ولدت في الثورة الفرنسية ما
صوبه حقوق الانسان في الوجود والحرية الشخصية والفكرة

على أن هذه الثورة لم تكن الا لانزعاج حرية الناس من أبدي العائشين بها ووازن بين ذلك وبين المبدأ الاسمي الذي وضعه القرآن في الحرية الشخصية والمساواة بين الناس حتى النبي نفسه لم يدع سلطاناً ولا سيطرة وانه لا يملك لنفسه شيئاً إلا ما شاء الله (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)

أليست هذه هي مبادئ المساواة بأوسع معانيها . خصوصاً إذا أخذنا إلى ذلك آية (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك)

قلنا ان الانسان الاول اعترف صراحة بضعفه وتمثل القوة العليا في الاشياء البارزة القوة والفائدة كالشمس وفي الابطال فصورهم تماثيل يتذكرهم بها ويتقدم إلى هذه التماثيل بالقرابين والخشوع والاستذلال وكان أول معجبات التوحيد هو هذا أيضاً ليكون الفكر حراً من مؤثرات الاشباح التي تلوح دائماً للعين فتؤثر في العقيدة . وحرية الفكر . ولئن كان في الاديان الاخرى شيء من ذلك فان من قاموا بعداوات التماثيل (١) سموا ابطالاً للاصلاح الفكري الديني وهذا جزء قليل من أجزاء التوحيد وعنصر من عناصره . أفلا ترى بعد ذلك التأثير النفسي للتوحيد وأثره في حرية الفكر والصراحة في تحرير الفكر من كل قيد يؤثر فيه ؟

وهلا ترى معي ان أثر تكريم بعض الاشخاص باقامة أضرحة وقباب عالية من قبيل الذكرى التاريخية فقط بين المسلمين قد جر السذج والعمل من الناس إلى الاعتقاد بأمور تنافي ودينهم . ؟

اذن فالتوحيد الصريح أساس المساواة بين الناس . وجعلهم كلهم طبقة واحدة وهذا هو الاخاء الانساني للشعوب جميعها ولم تتمخص الاجيال كلها عنه إلا بعد الحرب العظمى في جمعية الامم وان كانت هذه الفكرة لم تبتد صريحة الآن . إلا ان التربية والتهديب والرقى الفكري سيجر العالم إلى المباديء الاسلامية على رغم من يتبجحون بانكاره وعلى رغم أنف الجلود الفكرية الذي طغى على العالم . بتأثير قوم يستفيدون ويستمدون نفوذهم من تقييد العقل وتفضيله وعدم تحريره

ويقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة — لماذا يعتمد الانسان على الدين في فهم الفضيلة والاخاء ؟ ولماذا لا يبلغ ذلك بالتعليم وان يعمل الخير لانه عمل انساني وان يأنف من الشر لانه عمل وحشي ؟

وهذا القول على ظاهره مسحة من العقل ولكن منطقته ناقص وغير سليم ، لان العقول البشرية تتفاوت في تقديرها للخير والشر . وما قرأه بعض الامم خيراً يراه غيرا ثراً في العادات البسيطة ، وقدمر بك ان الامم التي لم تتمدن جعلت الذبائح البشرية قرباناً للالهة عملاً خيراً . وقد تدهش اذا علمت ان الرقي والتعليم مهما كان تقدماً لم يغيروا شيئاً من عقائد البوذيين في الهند . وان اكبر الزعماء كفاندى على علمه وفضله يقول ان الزلازل غضبة من الله . ولا مانع من الاعتقاد بذلك ، وان كان لها أسباب طبيعية معروفة ، وقد يكون ذلك من باب موافقة أقدار لاقدار . ولا زالت المرأة التي في حالة النفاس قدرة تعامل بالاهمال في أقدر مكان . ولا زالت القابلة التي تولدها تدخل عليها بأقدر الثياب ولا يزال للكهنة على كل شيء ضريبة حتى أصبح ربع السكان من الكهنة الذين يعيشون على هذه الاموال . وكذلك نرى في حياة المرأة حتى في اليابان أمراً لم تألفه النفوس في جميع أصقاع الارض وهو تقديم صاحب البيت

زوجته مدة اضيفه اذا بات في منزله (١) . مع ان اليابان من ارقى البلاد مدنية وتعلما ، وهذا يدلنا على انه لا يوجد ضابط للتعليم ولا حد للعادات ومن هذا كان الدين الاسلامي عالميا ، يضع حدود الفرائض والعادات ويضع قوانين لمعنى الانسانية ومعنى البشرية ، وان العالم الآن مدين بنشاطه الحاضر الى تحرير الفكر الذي اوجده الاسلام ولو كره المبطلون .

وهذا قد يترضنا انسان فيقول لنا ان تحرير الفكر كان جزءا من الفلسفة اليونانية ومن ضمن تعاليم سقراط وافلاطون وارسطو . ثم يكرر لنا الاقوال التي نقرأها دائما في المكتب الغربية من ان العالم مدين بحرية الفكر لليونان .

وان فضل العرب لم يكن الا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى أوروبا الحديثة وان العرب أنفسهم مدينون للفلسفة اليونانية ونحن نعلم ذلك حق العلم ولكننا نقول ان حرية التفكير شيء ومبادئ العلوم الطبيعية والمنطقية شيء آخر ، وان دساتير اليونان القديمة ومناقشاتهم الجدلية كانت ضربا من التجارب الاولى كان بعضها ناجحا وكثير منها كان خطأ صريحا كما ترى في علوم المناصر المكونة للعالم ، والامزجة البشرية ، والفلسفة اليونانية هي مبادئ العلوم ، ولكن حرية الفكر وتحديد الايمان على وجهة واحدة ، وجعل العلم مرتبطا بالايمان ، وان لا حرج على العقل أن يذسط من عقائه ، وان نكون هناك شريعة بالتدريج الذي يكفل الفضيلة ويمحو الضعف ويساوي بين الناس في حقوقهم المدنية والدينية — فهذه أمور لم تكن معروفة من قبل في أي شريعة أو دين .

أضف الى ذلك ان الفلسفة اليونانية قد خدمتها أوروبا ، وخدمها العرب

(١) وأبطلت هذه العادة حديثا من كثرة نقد الاوروبيين «جولة في ربوع الشرق» لمحمد ثابت

فيلهم خدمة جليلة فباحثها مستفيضة ولها الكتب الكثيرة المؤلفة بروح الانصاف والتضخم والتكبير والشرح والتفسير فكانت هذه دعاية لتلك الفلسفة قد غطت على سمعة فلسفة أجل منها وسأعطيك مثالا تزي منه أثر هذه الدعاية فأنت تعلم أن الاسلام وإن كان ديننا تاما ألا انه في الحقيقة تشريع يعامل الفرائز الطبيعية ونزعات النفس في حدود العقل والحكمة وترى أن مدارس الحقوق في العالم الغربي تدرس القوانين الرومانية ونظام التشريع الدستوري في اليونان والرومان درسا مستفيضا، وأما التشريع الاسلامي على ما فيه من جلال فليس موضوع دراسة علمية فنية ولا يعرفه أحد من المستشرقين الاجانب . أفلا ترى معي الآن أن الدعاية للقانون الروماني والدستور اليوناني أكبر من قيمتهما بالقياس على القانون لاسلامي والمدني والجنائي . ودستور الشورى والحكومة الديمقراطية ؟

أليس هذا من قبيل تعصب أوروبا لاصلها اللاتيني حتى في الدراسات الخرة ؟ وفل لي كم ممتنع في مقارنة القوانين يعرف ما في الاسلام من قانون مدني وجعله موضوع بحث في رسالة خاصة

الست ترى معي أن دراسة حرية الفكر الاسلامية على مبادي التوحيد موضوع جدير بالنظر والبحث المستفيض ؟ ألم يكن للتوحيد ذلك الفضل العظيم في جمع القلوب فكون وحدة بشرية بين الممالك المختلفة التي دخلها العرب ولازات هذه الوحدة باقية الى اليوم على غم تلك الخلاوت التي يوقد اظهاها المستشرقون والمبشرون وخلق مسائل الاقليات الدينية ؟ ولم يكن الفضل في كل ذلك لافكرة التوحيد التي متى اقتبستها الافهام واستوعبتها الاقئدة كانت كلها في اتجاه واحد نحو الوحدة الانسانية والنهضة العقلية التي لا تفهم رجعية

ان المستشرقين والمستعمرين يفهمون ذلك حق الفهم ولذلك هم يعملون على مقاومة الاسلام

وانتحدث لك الآن عن طرق تضليلهم

الفصل السادس

أثر التوحيد الاجتهادى

لم يكن الفضل في مبادئ الاسلام لشخص معين . قد علمت أن مجرباً عليه السلام كان يضع نفسه موضع الانسان ، لا موضع صاحب السلطان . وكان هو وحده المثل الكامل في البذل ، وفي العدل ، فلم يستغل يوماً مركزه ودعوته العظمى لنفسه ولا انهي من حطام الدنيا بل كانت دعوته خالصة لله ، ولتحرير الفكر ، فلم يأخذ نصيباً من غنيمة يزيد على نصيب سواه ، ولم يدع لنفسه شيئاً خارقاً ، ولم يقل ان صلته بالله تعالى تزيد على صلة العبد — وكلنا عبيد الله — ولم يفضل الثامن الا بأنه رسول الله ، وهذه منزلة اختاره لها الله سبحانه وتعالى . وكان أصحابه عليه السلام ينظرون اليه هذه النظرة أيضاً ولذلك قال أبو بكر حين توفي عليه السلام ودعش الناس للخبر : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)

وفي حياته عليه السلام لم يكن مستقبلاً برأيه في أمور الدنيا بل كانت أمور المسلمين شوری . وكان أصحابه يختلفون معه في الرأي ، والتاريخ يدلنا على أن سيدنا عمر اختلف في الرأي مع سيدنا محمد ﷺ في نحو عشرين مسألة وعزز الوحي رأي عمر دون رأي رسول الله . أشهرها : مسائل قتل أسرى بدر ، ومسألة الحجاب . ومسألة الخمر ، ومسألة الاستغفار المتأقنين ، الى غير ذلك

هذه الحقيقة ترشدنا الى مغزى كبير ، وغاية كبرى من مغازي التوحيد والنظر الى ان الاسلام لا يحمل سلطاناً على النفوس والمقول والافهام الا الله

وحده . وما دون ذلك فالجميع سواء وآراء الناس كلهم قابلة للشورى والفحص ولو كان الرأي لرسول الله نفسه

وليس بعد ذلك وضوح لتفديس حرية الفكر ، التي هي دعامة من الدعائم لاصلية في الإنسان وهذا هو أظهر معنى من معاني الاسلام

ولكن جماعة المستشرقين يمدون الى القاموس ويتفهمون منها معنى كلمة الاسلام . ويقولون عنه ما قال مرجوليت ان معناه (الدل والخضوع) ومع ذلك لا يقولون انه اسلام فقه ، بل يقولون انه — الخضوع فقط —

ولقد رأيت في فصل التوحيد ان المعنى الذي نبر عنه كلمة الاسلام هو معنى تضيق به صفحات المكتب الضخمة ، وان له معنى روحيا واجتماعيا كما سبق ذلك .

ولذلك كان أول اثر من آثار توحيد الله وترك المعتقدات القديمة هذا التوحيد بين القلوب في قبائل العرب ، وهذا التوحيد في الاخاء بين الشعوب المتفرقة ، وهذه النهضة الكبرى التي جمعت الامم كلها تحت طابع واحد حين افتتح العرب الاقطار وورثوا ملك الفرس والرومان وانك اذا تصفحت التاريخ اعلمت ان الامم الفاتحة الغازية لا تخرج عن واحدة من ثلاث

١ — أمة تتخذ الحرب صناعة وحرفة وموردا للرزق كالأتراك الاقدمين في فتوحاتهم فلا يمرون ما يفتحون

٢ — أمة تجارية كالفينيقيين وانجلترا تغزو الممالك لفتح اسواق لتجارتهما

٣ — أمة تطلب السعة من الارض تضيق اهلها بها فتغزو البلاد طلبا لنفقد جديد يعيش اهلها فيه

وهناك من الامم من يفتح الممالك حبا في الفتح ، كالاسكندر وناپليون

وأما لهما وهؤلاء تموت فتوحاتهم بموتهم

ولم يحدثنا التاريخ ان أمة من الأمم فتحت الممالك لاجل بث فكرة أو نشر مبدأ غير العرب بعد الاسلام ، فالعرب قاموا بفتوحاتهم لنشر المبدأ والفكرة وتعميم الوحدة البشرية

يتجلى لك ذلك من كتب رسول الله ﷺ للملوك والا كامرة ، ولم يكن في هذه الدعوة غير نشر فكرة التوحيد ولم يكن عاينه الاسلام من زخرف الدنيا بحيث يحاكي من كتابهم في الارستقراطية والمظلمة ولكنه كان يدعوهم دعوة ديمقراطية متواضعة

يقول مرجوليث — ان الاسلام هو الدين الحربي ، مشيراً بذلك الى الغزوات والى مبدأ القتل في الفتح الاسلامي والى تحجير الامم غير لاسلامية بين القتال والجزية

ولست المسألة في غموض يدعو الى كل هذا الغموض والنزاع الجزية هي نوع من الزكاة على غير المسلم (١) ، و لاسلام دين فيه كل معاني الديمقراطية لا تشاركه والحرب وسيلة

ليس من يفكر ان للجهل عقوبة ، وليس من ينكر ان الجود العسكري والاستسلام للتقاليد نوع من الرجعية العمياء وليس مستشرق ان يلوم لاسلام على هذا وليس له ان يضع رأيه في كفة ميزان ورأي عقلاء العالم تجمع في الكفة الاخرى .

فها نحن أولاء قد عرفنا أن دعوة لاسلام الله ، وللمسلمين في هذه الدعوة عار على الانسانية

(١) لاجل حمايته وفعاملته بما يعامل به المسلمون ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم فان عجز المسلمون عن حماية الذمي لم يكن لهم الحق في اخذ الجزية

وقد رأيت أن الزكاة فرض على كل مسلم . فكيف يعيش غير المسلم في هذا الوسط من غير زكاة .

وايس بيت مال المسلمين بمقصود على معاونة المسلم فحسب ، بل وغير المسلم بلا قيد ولا شرط

وايس أدل على تفسير هذا المعنى من مبادئ الاسلام التي شرحها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده ، وقد رأيت من أعمالهم المساواة المطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وفي قصاص سيدنا عمر من ابنه لاجل حق امرأة مسيحية قبطية ألف دليل ودليل

وفي قوله رضي الله عنه « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » كل مبادئ الاسلام من الحرية والاخاء والمساواة

وفي وصايا سيدنا علي للاشر النخعي الذي ولاه على مصر ما يزيد الشرح ويحلى البيان ، ولقد قل له :

« ... اعلم يا مالك أني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ... ولا تكونن عليهم سبعا ضاربا تغتسم أكلهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق . الى قوله : ثم الله الله في الطبقة السفلى ، من الذين لا حيلة لهم . والمساكين واهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قائما ومعترا واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل ما للادنى - وكل قد استرعت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك بالنظر في الكثير المهم . »

ومن هذا ترى ان الجزية والحراج هما تنظيم الاحسان ، بلا فرق بين الاديان . لانهم متساوون في نظر الاسلام من جهة الخلق وليس جمل الاحسان قانونا يعار على الانسانية . وقد رأينا ان استجداء الضمائر الاحسان أخفق ولم يثمر في كثير من البلاد المتعدنة . والارتسكان على المناطق الانسانية وحدها لم يكف منذ هجر الناس مبادئ الاسلام الى اليوم .

ولعمري انك لو اتخذت رسالة سيدنا علي هذه على حقيقتها لوجدتها تفسيراً واضحاً للسياسة الاسلامية . ويكفي قوله لعامله « ان الناس إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق » أن يعرف الناس جميعاً أن الاسلام لا يفرق بين الاديان في المعاملة والملاصق في الاحسان والحق في بيت مال المسلمين .

والتفسير النفسي لكل ذلك هو أن الاسلام يعامل العرائز البشرية بميزان العقل والحكمة وتقتضيهم الاوروي ، يعامل الناس بالتجارب والاختبار ، ولم يهتد إلى الآن الى أن الاسلام مبني على معرفة أدق بعلم النفس والله الذي خلق النفوس حدد عقوباتها وحدد معرفتها . إذا علمت ذلك فلا اعتراض . ومن يقل ان هذا ليس من عند الله فليأت ببرهانه المنطقي الذي لا شموذة فيه . ويكفي ان مبدأ بحريم الربأ أخذ الآت يتطور في أوروبا الحديثة الى شكل الإفلاس في الدفع بتغيير أسمار العملة وتخفيض قيمتها فلا يدفع الدين لدائنه شيئاً ويكفي ان ألمانيا قللت من سعر عملتها الى الصفر لتجمع ذهب العالم ثم ألغت هذه العملة . وليس من المجهول أن عقوبة الجود لازمة .

فالتعليم الاجباري في كل بلاد أوروبا له قوانين تحمي وعقوبة الحبس ترفع على من لا يعلم أولاده . وعقوبة السجن لمن يزور في ابراده حتى لا يدفع ضريبة الدخل . وضرائب الدخل والرمح أصبحت مبدأ أوروبا بعد ان قررها الاسلام بشكل أدق منذ أربعة عشر قرناً . في ركن من أركان الاسلام وهو الزكاة .

فهذه المبادئ التي تتقدم اليها أوروبا نتيجة الاختبار والتجارب هي المقررة في الشريعة الإسلامية . فطلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة والنظام الاجتماعي في الشورى والسياسة العامة في الأمن والملاقات الشخصية كلها من تعاليم القرآن .

وأمل أبلغ رد على تعامل أوروبا بالربا وهي العملة التي حاربها الاسلام وحكم عليها بالموت هي تلك الظاهرة الغريبة التي تبدو في أوروبا اليوم من قيام حكومات اشتراكية محضة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة وهو سر تحريم الربا . امدم استئثار فئة من الناس بالسلطة الدالية والاستبداد بالعالم . فهناك . لما وقعت أوروبا في الازمة الدالية التي تنبأ بها الاسلام من التعامل بالربا . لجأت أوروبا وامريكا الى طرق الحيلة بفصل العملة عن الذهب فبطئ ثمن النقود وأخذت تراوغ في دفع الفوائد بعد أن نقصت رأس المال مخلفا من ذلك الكابوس الاقتصادي .

أفايست بهذه الطريقة تنل مس طريقها في الظلام تهتدي الى طريق الخلاص وشعاع واحد من أشعة الاسلام يجلو عن العالم ذلك الظلام الدامس . وهو عدم التعامل بالربا . نعم أنظر الى الخراب الذي حل بمن استدانوا من المصارف المالية وبيعت أطيافهم بأبخس الأثمان . وما في ذلك من العبر

ان العالم يسير اليوم على نظام اقتصادي أصبح ثابتا وائس من السهل زعزعته بين يوم وابلة . ولكنه على أي حال نتيجة اعتماد الناس على تفكيرهم . وليكنهم أيضا بالمجتون الى التخلص منه من طريق التجارب وهم يقتربون نحو الحقيقة بخطوات وثيدة .

الفصل السابع

تمليقات المستشرقين على التوحيد . و حياة محمد

لقد رأيت في الفصول السابقة أثر التوحيد في تحرير الفكر ، ومنع الوساطة بين الله وبين الانسان وان من مبادئ الاسلام ان يشعر الانسان بكفايته وقدرته العقلية على الفهم ، والمساواة بين الناس أجمعين ، ونحوه الملاقاة بين الناس . واجب صاحب السلطان نحو رعيته ، وواجب الرعية نحو الراعي ، كما يتجلى في كتاب سيدنا علي كرم الله وجهه « وقد تقدمت نبذة منه »

هذه المبادئ لا ترضي المستشرقين ، وليس من صالح الامم الغربية أن يعرفها أهلها حتى لا يندفعوا أيضا إلى تلك المبادئ . ومن هنا كان عمل المستشرقين مزدوجا به تشويه الاسلام ، وتغيير أوروبا ونحايتهما منه

ولذلك رأينا من فلاسفة أوروبا آراء أقل ما نقول فيها إنها عريضة في قالب مزخرف وجعل في ثوب منمق

فانظر إلى زينان في كتابه عن ابن رشد ومذهبه اذ يقول : (ان خواص النفس السامية (أي التي منها العرب) تتجلى في انسباق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية ، أما النفس الآرية (التي منها أوروبا) فيميزها ميل فطري إلى التعدد وانسجام التأليف)

وكثير من المستشرقين على هذا النمط المضحك من الاستفزاز وبريدون بذلك أن يقولوا إن دين العرب على قدر عقولهم

وليس أدل على عدم المنطق واغفال الحقائق في هذا القول من أن العرب قبل الاسلام كانوا مشركين غاية في الشرك فكيف اتفق ذلك مع ميولهم ولماذا

قاوموا الدعوة الإسلامية في مبدئها وكذب وصفوا في القرآن بقوله تعالى أو ما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وكل من شرك الجاهلية أن تلبسهم في حجهم كانت الشرك المجسم فكانت
قبيلة نزار تقول :

ليك لا شريك لك . . . الا شريكك هو لك

فلكه وما ملك

(راجع كتاب الاصلنام)

ثم ارجع معنا إلى الفصل السابق من التوحيد وتدير معنا صر الوحدة
العربية وان الاسلام طبع الاسم التي انتشر فيها بالطابع العربي وان لم يكونوا
من المسلمين وليس أدل على العدل المطلق من أن يتكافؤ الشخصان على تباين
دينهما أمام الاسلام في القضاء . وأن لا يكون المسلم مبعزة على غيره كما سبق
هذه المسألة وهي التوحيد في المعاملة والتوحيد في النظر الى الاجناس
المختلفة في ظل الاسلام لا ترضي جماعة المستشرقين لانهم طلائع التفريق ونشيت
الوحدات العربية والبلاد الإسلامية

فاستغلوا علومهم في البحث والتنقيب واختراع النظريات الملفة والدعاوى
المشعوذة فهاجموا أمما قواد المسلمين وعظما الفاتحين وأخذوا يذنبونهم الى غير
العرب وغير الاسلام

وبذلك أصبحنا نقرأ من نفثت أقلام المستشرقين مباحث علمية عويصة
- اقرأ واعجب - أن أهالي مرا كش من البربر ما عرفوا الاسلام وما آمنوا به
في يوم من الايام وانهم ولا زالوا غير مسلمين وان العرب الذين فتحوا الاندلس
وغزوا فرنسا وإيطاليا كانوا مسيحيين وان طارق بن زياد القائد العظيم والذي
رفع منار الاسلام في الاندلس لم يكن عربيا ولا مسلما ولكنه كان بربريا مسيحيا -

وقد استعار جيرو هذه النظرية للإصلاح القانوني في مواكش (راجع تقرير لجنة العمل المغربي المقدم للمؤتمر الإسلامي ببيت المقدس صفحة ٤) وليس من غرضنا أن نتكلم في موضوع السياسة والاستعمار ولكن هذه النظريات ليس الغرض منها سوى تشتيت الالام وعزيقها وخلق عصبيات متعددة فيها مما أصبح مألوفا لدى كل من له أقل المام أو اطلاع على تاريخ الاستعمار وطرق استثمار الخلافات في الجنس والدين أما وحدة اللغة العربية فقد عمل المستشرقون كل ما يمكن عمله لتشويهاها واظهارها في مظهر أضعف لغات العالم . وان اللغات واللهجات العامية خير منها استعمالا .

وصار يعدها المستشرق يريتمو اللغة اللاتينية للعربي ، ويقول عنها في مقدمة كتابه الذي يدرسه الطلبة الفرنسيون باللغة العربية « أتريد يا صاح أن تتعلم الكلام مع الإلهالي الذين حولك ... » الى أن يقول لا تظن « انني سأعذك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي لاتينية العربي . وهي اللغة المستعملة في جنة محمد وسأحب اليك دراستها في المستقبل اذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالخور العين ، وبهذه الطريقة أصبح المستشرقون يناصبون اللغة العربية الفصحى العداء فيتشككون في النثر الجاهلي والشعر الجاهلي ويلقون الشك في كل شيء يتصل باللغة العربية ولهم في ذلك مباحث أقرب للتمهيد من انها الى العلم الصحيح ولمسه في ذلك آراء منقوضة وأفكار مردودة (راجع كتاب النثر الفنى) بقيت مسألة القرآن الكريم الذى هو الدعامة الثابتة التي عجز العالم عن التحرش بها . والصخرة العظيمة التي اذا أراد أكبر مستشرق أن ينطحها تكسرت بهجته قبل أن يصل الى حرماها ، ولذلك رأينا آراءهم في ذلك تهريجا وشعوذة

هاك المستشرق مرجوليث أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد لم يترك
نقصة في العالم الا نسبها لسيدنا محمد ولم يترك فخشا من القول الا نسبته للقرآن
واليك أمثلة من ذلك

قال في صحيفة ٢٣٦٤ من تاريخ العالم العام ما يأتي :

« وان كان محمد لم يترك تاريخا مفصلا لحياته إلا أن في القرآن كل عواطفه
وإحساسه . والقرآن كسجل تاريخي ليس مرتبا حسب الحوادث والتاريخ ثم يقول
« وربما كان الكثير منه مما لم يتذكره الرواة تماما عند روايته وقد يكون
بعضه دخيلا في عصر متأخر وبعضه مسلم به أنه في عصر الرسول ولو أنه نسب
إليه خطأ »

ثم يستفرغ مرجوليث من فيه كل انواع المطاعن فيقول من المشكوك فيه
اننا لا نعلم اسم والد النبي لان لفظة عبد الله معناها في العهد الاخير الشخص
المجهول وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبي وقصة يتمه التي
وردت في القرآن لا يلزم أن نأخذ بها على معناها الادبي .

والعلاقة المفروضة بين أمه وبين أهل بئر مالة مشكوك فيها كاتقصص التي
جمعات الاسكندر الاكبر فارسيا أو مصريا بالنسبة لوالدته

إلى هذا الحد بلغ ذوقه وأدب المستشرقين عند كلامهم عن رسول الله ﷺ
وأن الحياء ليمعني أن أذكر المعنى المادي الذي قصده مرجوليث من قوله (ابن
عبد الله) نسبه إلى الاب المجهول ومع ذلك يعجب بعض الناس بالمستشرقين
وم لا يعرفون من أمرهم شيئا

وأنقذنا طريقة مرجوليث هذا في هذا النوع من التهريج العلمي من غير
سند أو دليل والقائه الكلام على عواهنه من غير أثبات فهذا — الخواجه — قال
إن القرآن ملفق . وقال إن سيدنا محمداً — على أبسط تعبير — لا يعرف له أب
أو أم

ونشرنا هذا الرد في مجلة المعرفة فأرسل مرجوليث خطابا يملق فيه على

حافظنا هذا نصه (١)

أما ما كتب الدكتور حسين المراوي في ذم المستشرقين فلو كان ما أودع مقاله من الشخصيات تلقى بالآداب لم يكن ما يمنع من الخوض في الموضوع والتمييز بين الخطأ والصواب ، أما المسائل التي ذكرها فليست أرى فائدة في مداخلتها ، لأنها أقرب إلي منابر الخطباء منها إلى مجالس الادباء

د . س . مرجوليث

وردا على ذلك نقول إننا تناولنا من آراء مرجوليث مسألتين مما كتبه في

تاريخ العالم العام في الفصل التاسع والثمانين

الاولى أنه ذكر عن سيدة محمد انه مجهول الاب والام

والثانية قوله إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لا يمكن تقليده ، أو الاخبار بأمر يمكن التحقق منها — ولم يكن للنبي وسيلة لمعرفة ما قلنا فلم من القرآن أن كلا من هذين الادعاءين — عندما أذيع — لم يسلم من النقد فلأمر الاول أن الذوق الكتابي يختلف كباقي الاذواق وعن الامر الثاني لو أنه وجدت وسيلة للتحقق من صدق النبي فهذا يفهم منه أنه أمكنه بنفس هذه الوسيلة معرفة الامر الذي ذكره

وكذلك قال مرجوليث ، إن محمدا اعترف في مبدأ رسالته بمعرفة القراءة

والكتابة :

ولننقش مرجوليث الحساب في هذه المسائل التي يرى أن ردنا عليها فيما

مضى أقرب إلى منابر الخطباء منه إلى مجلس لادباء

أي بعبارة أخرى ليس له علاقة بالادب العربي ولا بدلم من العلوم فاما عن والد
سيدنا محمد فنحن ننكر على أدب أستاذ في جامعة اكسفورد ان يوجه مثل هذا
الظعن في نبي يدن بدينه ملايين المسلمين . وان يتفوه بهمة ترفع بسط قواعد
الادب الاجتماعية العامة عن ان توجهها لاقل الناس مركزا - وثانيا - ان
مرجوليث لا يعرف شيئا عن الادب ولا الادب العربي . والا لعلم ان العرب
كان فيهم نسابون ولو انه تكلم أولا عنهم - وعن مصادر الشك في أقوالهم
وتفسيرهم - لكان لنا ان تناقشه بالادلة العلمية أما وهو لم يذكر شيئا من هذا
فدليل على انه لا يعرفه - وثالثا - لان جد محمد عليه السلام وعمرهما الاذان
كفلاء صغيرا ولو كان مجهول الاب ما عرف له عم ولا جد وهذا يدل على ان
مرجوليث لا يعرف شيئا من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام - ورابعا - ان عصبية
محمد عليه السلام حتمه في مبدأ رسالته ولو كان مجهول الاب ما كانت له عصبية
فذا كان مرجوليث لا يصدق شيئا من ذلك ولا بد ان يكون قرأه . فليقل
لنا هو كيف يريد ان نصدق كلامه . وكيف امكن وجود أشخاص تربطهم
بالنبي الكريم صلات العصبية حتى بعد الاسلام . اذا كنا ننكر كل ذلك لان
مرجوليث قالما إذن فعلى العقول السلام .

ثم فليفسر لنا مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنته ضميره ان يقول
هذا . وعلى أي المراجع الوثوق بها عول في بحثه فهو اما لا يعرف شيئا مطلقا
واما يريد التشهير والتشنيع ! وهذا مالا يشرف الباحثين .

ثم فليجئنا .. أليست الانساب والنسابون جزءا من صميم التاريخ والادب
العربي أم هي ضروب من خطاب المنابر ؟

واذا كانت ضروبا من خطاب المنابر فكيف حفظ التاريخ انساب قوم لم يكن
لم مرتبة عليه السلام من الوجهة الاجتماعية والاثار الخالد
وكيف امكن معرفة نسب والدته وزوجه خديجه ؟ ثم كيف امكن تفسير
شعراء مشهورين مثل امرئ القيس وغيره .

أما القول في مسألة إعجاز أسلوب القرآن بأنها مسألة ذوق فاني أرى أن مرجوليث - كما يستدل من أسلوب خطابه - ذو أسلوب ملتو وركيك يجعله آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الذوق الكتابي بعد أن تحدى القرآن نفسه الناس كلهم بل الانس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا . فلم يبق في نظر صاحبنا مرجوليث الا نقد الاسلوب بميزان الاذواق التي تختلف دقة ورقة

ونحن معه على أن يكون الشرط الاساسي أن تكون هذه الاذواق سليمة تفهم روح العربية . والمستشرقون هم ابعد الناس عن تفهم تلك الروح ولهذا فأنهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الاجنبية . وإن كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها قد كتبت باللغة العربية إلا أن الحكم على أساليبهم قد لا يرضيهم من الادب الكتابي الفني

وإذا كان مرجوليث حصر إعجاز القرآن في الاسلوب والاخبار بالغيب فقد فاتته أن ضروب الإعجاز في القرآن كثيرة ومنوعة . وليس من موضوعنا شرحها .

على اننا نسأل أساذ الادب الاكبر!! ما قوله دام فضله في انواع الإعجاز العلمي التي أثبت العلم الحديث مدى صدقها ونذكر منها على سبيل المثال (وجعلنا الرياح لواقح) و (خلق الانسان من علق)

أي دور الحيوانات المنوية - و (وقد خلقكم اطوارا) وهي تتمشى مع العلم جنباً الى جنب ؟

فهل كشف العلم عن إعجاز هذه الآيات إلا حديثاً ؟ وهل كان الميكروسكوب « المجهر » وعلم تكوين الاجنة معروفاً من قبل عند نزول القرآن الكريم ؟؟

ولا يفوتنا أن نتكلم عن النقد فالنقد هو اسهل شيء في العالم . وبابه أوسع

الابواب — فقد ينقد شخص ما الخلقة البشرية بأن عيني الانسان في وجهه وليس له مثلهما في ققاء لينظر من خلف كما ينظر من الامام ??

وقد ينتقد البهلوان طريقة السير على الاقدام ويستحسن ان يمشي الانسان على يديه رافعا قدميه في الهواء . كل هذه أنواع من النقد قد يراها أهلها صحيحة ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأبيانها على ناقد .

وهذا هو النقد الذي يوجه الى تجاهل نسب النبي العظيم واسلوب القرآن

لا يقصد به إلا مجرد تشهير وتشفييع

وكيف يفسر قوله تعالى (اقرأ وربك الاكرم) بانها اعترف من النبي

الكريم بمعرفة القراءة وهل هذا يدل على انه يفهم روح القرآن ؟

وقد اطليل البحث اذا استقصيت آراء مرجوليوث في مصادر القرآن التي

يقول بها ويقول بها معه المستشرقون الذين ينحون نحوه فقد ادعوا ان النبي

عليه السلام قد درس كل الفلسفة اليونانية ثم حفظ التاريخ الفارسي ثم عرف كل

الاديان الهندية القديمة كما اطلع على كل حكم الصين واخرج من كل هؤلاء كتابا

سماه القرآن .

ومعنى ذلك ان الدراسات التي استنفدت القرون الاولى حتى القرن العشرين

وتخصص لها العلماء الذين عكفوا على دراسة لغاتها المتعددة والجولان بين آثارها

البالية كل هذا قد تعلمه محمد عليه السلام في سياحته للشام

فاذا رجعت الى التاريخ وجدت ان هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة أشهر

كما تقدم

فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا اسلوب المنابر أم في صميم الادب

العربي والتاريخ ؟

ولما نشرت المعرفة هذه المقالة للرد على مرجوليوث . قطع اشتراكه من المجلة

ولم يعد يرسل صاحبها وكان هذا هو الجواب . فتأمل !!

الفصل الثامن

حكاية فنسك والمجمع الفقوي الملكي

منوك هر جورو نيه (١) هو رئيس أكاديمية هولندا ومكث سبعة عشر عاماً في
جاوه مستشاراً للحكومة في الشؤون الإسلامية. وقيل لنا أنه اتقن العربية وأدعى
لإسلامه - فإلى مكة ومكث فيها خمسة أشهر - وكان يأتمن به المسلمون في صلاتهم.
وفنسك تلميذه - وساعده - الأيمن الآن في هولندا - وفنسك رئيس
تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي ملؤها الطعن الجارح في الإسلام والحشو
بأقذر المثالب - يحرقها جماعة المستشرقين ومنهم مبشرون وقس وخصوصاً
الاب لامانس - ونصور قسيساً مبشراً يكتب عن حياة سيدنا محمد أو عن القرآن
أو التاريخ الإسلامي - وأى روح على عليه وأى مبلغ من المال يأخذ أجراً؟!

ونحن نعرف الشيء الكثير عن المبشرين وطرقهم وأساليبهم وطالما غنيت
هذا اليوم الذي أقابل فيه سنوك هذا - وفنسك لا يقول لهم رأيي فيهم في صراحة
وجرأة وليس الإسلام يخاف من أحد - وليس القرآن بغريب في العالم وليست
الفتول التي تفهم بمعدومة.

إن عصاة فنسك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية نكتب على أسلوب
القرون المتوسطة - وتفرض على الناس فرضاً أن تعلمهم كل شيء ضد الإسلام -
وأن تشعز في التاريخ وتخترع أساليب التهريج كما شرحناء لك في الفصول المقدمة
من هذا الكتاب

واسم فنسك دائماً يتردد على ألساني واعتقد أن هذا الرجل قضى الشرط
الأكبر من عمره يعمل على السخرية من الإسلام - ولم يفضح عمله أنسان ولم

(١) ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ وتوفي في ٤ يوليو سنة ١٩٣٦

ينفذ سنوك هرجورنيه . واطاثة المستشرقين تلاميذ تعلموا في أوروبا وسرقوا
مطاعنهم في الاسلام وروجوها باللغة العربية في أبواب مباحث علمية فكان مقتي
لهذه الفئة أشد من مقتي الخواجة فنسك .

وصدر المرسوم الملكي ووجدت فيه اسم فنسك، فنشرت في اهرام ١١ من
اكتوبر سنة ١٩٣٣ المقال الآتي :

لما اشتدت وطأة المبشرين في الاغواء ، والتضليل ، وغزو عقل المسلمين
بمختلف الطارق عكفنا على دراسة شئ غبر قليل من طرفهم ومؤلفاتهم وخرجنا
بنتيجة رسخت في عقيدتنا رسوخاً قوياً . هي ان المستشرقين هم طلائع المبشرين
وانهم هم الذين يهدون السبيل لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وانهم هم الذين يهدون
للمبشرين سبيل الطعن في الاسلام وفي نبيه الكريم وانهم هم الذين يزودونهم
بانواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلي ، والنقد الفني وحرية
الفكر ، والمباحث العلمية الحرة

وخرجنا من كل مباحثنا هذه الى ان المستشرقين يعتمدون عند البحث في
كل ما يختص بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان يلغوا استنتاجاتهم العلمية
بآرائهم الشخصية على ما فيها من خطأ وما فيها من غرض بما تمل به عليهم روح
الاستعمار ومقاومة الاسلام في شخصية سيدنا محمد ﷺ أو في القرآن نفسه

وقد قسمنا المستشرقين ثلاث فرق ، قسم يختص بمباحث القرآن ، وقسم
يختص بمباحث سيدنا محمد ، وقسم يختص بالتاريخ العربي الاسلامي

على ان من واجبا ان ندرس كل مستشرق من جميع نواحيه وندرس كل
مؤلفاته خصوصا اذا كان ممن يبحثون في القرآن أو حياة سيدنا محمد لان
الخطأ اللفظي في كلمة عربية قد يجر الى البحث في العقائد الاسلامية وقد يكون
له أثر شديد في الاسلام نفسه

ولقد فكرنا هذا التفكير عندما أردنا أن نباحث أحد المستشرقين أو أشباه المستشرقين ورأينا أن يقلب قواعد اللغة العربية رأساً على عقب لكي يدخل شكاً في الإسلام واليك مثلاً من ذلك

كان أحدهم يدعي أن الاسماء لا بد أن يكون لها معنى . فقلنا له أن الاسم ما دل على مسمى وليس من الضروري أن يكون له معنى يشتق منه . أو أصل معروف ، والمسألة بسيطة . هكذا تعلمنا في المدارس الابتدائية وهكذا تراها في القاموس فأصر على رأيه . ولكنه أعطانا مثلاً غريباً هو أصل كلمة (حراء) وهو ميم الغار الذي تعبد فيه سيدنا محمد ﷺ فقلنا لم يرد في اللغة العربية ما يجعلني أعرف مصدره أو معناه فقال ان (حراء) أصلها (هيرا) وهولايتي ومعناه المقدس قلت انني أعرف ما تريد أن تستنتج . ان هيرا وهو الجبل المقدس هو اسم أطلقه الرومان على هذا الجبل الذي تميدوا فيه فأنت تجعله في مكان (جبل الاوليمبيا) في اليونان ، ويتأتى من هذا الاستنتاج أن محمداً عليه السلام اتبع الاديان الاخرى فاعطى الدليل المساوي على استنتاجك لانك تتكلم بلسان محرر كه عواطف ضد الاسلام . فسكت

والحق أن عقلية هؤلاء المستشرقين وأشباههم مدهشة فأني لفظاً عربية لها مشابه في اللغات الاخرى قالوا ان العربية استعارتها واذن فما قولهم في لفظه « نبل ونبل » التي توجد في كثير من اللغات والعربية أيضاً بنفس المعنى نقول هذا مقدمة للبحث الذي سنكتبه عن فتنك وهو الاسم الذي ورد في ضمن أعضاء الجمع اللغوي . وسنناقش رأيه الحساب لان استنتاجاته ستؤخذ علينا وقد أصبح عضواً رسمياً علينا أن نحترم رأيه

فالت دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظه ابراهيم :

كان اسبرنجر أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم كما وردت في القرآن

مرت بعده أطوار قبل أن تصبح في نهاية الامر مؤسسة الكعبة

وجاء سنوك هر جرونيه بعد ذلك بزمان فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي (في الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ، الحجر آية ٥ وما بعدها ، الصافات آية ٨١ وما بعدها ، الانعام آية ٧٤ وما بعدها ، هود آية ٧٢ وما بعدها ، مريم آية ٤٢ وما بعدها ، الانبياء آية ٥٢ وما بعدها ، الفسيفس آية ١٥ وما بعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به . والى جانب هذا يشار الى ان الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيرا (السجدة آية ٢ ، سبا آية ٤٣ ، يس آية ٥) ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين

أما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك . فابراهيم يدعى حنيفا مسلما . وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم . البقرة آية ١١٨ وما بعدها ، آل عمران آية ٦٠ الخ)

وسر هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا ان اتخذوا حباله خطة عداء فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا . هناك هده ذكاه مسدد الى شأن جديد لاني العرب ابراهيم ، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليتصل بيهودية ابراهيم ، تلك اليهودية التي كانت مهددة للاسلام . ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس ،

والذي يكون خالي الذهن عن المستشرقين واعمالهم يظن لاول وهلة أن هذا بحث جليل مستفيض استقصى اصحابه سبرنجروسفوك وفنسك كل آيات القرآن واستخرجوا منها مواضع الضعف ، وبخيل الى الناظر في هذا الموضوع ان الاسلام قد زعزعت اركانها وانهم اكتشفوا ان كشافا من

الخطورة، كان حين يدعون أن محمدا عليه السلام أراد استغلال اليهود ثم اخفق
ثم هداه ذكاؤه المسدد لسان جديد لآبي العرب

أما اليهود فقد سبق أن شرحنا مر كثرهم في الكلام عن الوسط والبيئة التي
سبقت الاسلام، وأما هذه القاعة الكبيرة من الآيات التي تخدع الناظر إليها فهي
في نظرنا دليل على الضعف المطلق وهم بهذا أشبه بما يفعل الممثلون، إذا وجدوا
الرواية ضعيفة جعلوا الناظر أخاذة، وأكثر من أشخاص الرواية ودفعوا
بين الجماهير قوما مأجورين للتصفيق

كل هذا فكرنا فيه قبل أن نتقدم لنقد هذا البحث لانتا نعرف طريقة
المستشرقين الملتوية وشعوذتهم العلمية

وما علينا إلا أن نراجع السور المكية جميعها والسور المدنية جميعها ونوازن
بينها لنعرف إذا كانت السور المدنية هي وجدها التي انفردت بذكر نسب سيدنا
محمد إلى سيدنا إبراهيم بآبي البيت العتيق أولا؟ وفيما إذا كانت الحقائق التاريخية
التي في متناول بدنا تتفق مع استنباط فنسك أم لا. وما غرضه في التعريض
بسيدنا محمد إلى هذه الدرجة ??

هلينا إذن أن نراجع كل ذلك لنتمشى معه في بحثه فإن كان ما قاله حقيقيا
كان لنا أن نبحت في استنباطه أيضا وعن السبب في عدم ذكر تلك الصلة في
السور المكية أذ ربما كانت من المعترف بها ولا توجد مناسبة لتوكيدها في
القرآن. أما إذا كان ما نقل من الآيات خطأ كان الرجل قد عثر من أول الطريق
فلنتركة في تلك الحفرة التي وقع فيها ولننظر إليه كيف يجاهد في الخروج منها
ونحن لا يخامرنا شك في أن هذا الدين متين وإن فنسك وسبرنجروسنوك
أقل علما بفهم روح القرآن فضلا عن نقده
إذن فلنسر في البحث على بركة الله

قال فنسك : - انه لم تذكر في السور المكية صلة سيدنا اسماعيل بسيدنا ابراهيم . فهل هذا حقيقى ؟ وذكر لنا سورة الانعام بالنص فهل هذا حقيقى ؟ لقد ذكر الآية الرابعة والسبعين بالنص أيضا فانظر الى الآية الخمسة والثمانين حيث ذكر اسماعيل صراحة واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . نعم أن أسماء الانبياء وردت جملة ولكن لكل واحد منهم نسبة المعروف . والمسألة الجديرة بالنظر هى لماذا حذف فنسك رقم هذه الآية من تلك القائمة الطويلة التى استقصاها مع انها فى نفس السورة التى ذكرها ؟ الجواب سهل وهو انها تدم نظريته من أساسها . ولان هذه الآية نسبت هؤلاء الانبياء الى ابراهيم ثم الى نوح

ثم انظر الى سورة ابراهيم وهى مكية الايتى ٢٨ و ٢٩ وانظر الى الآية ٣٤ وما بعدها حيث يقول ابراهيم :

« ربنا انى أسكنت من ذرتى بوادى غربي زرع عند بيتك المحرم - الى قوله تعالى - الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل »

اذن فقد ورد فى السور المكية انى اعتمد عليها فنسك أن اسماعيل هو ابن ابراهيم وان ابراهيم دعا ربه عند بيت الله المحرم وقد ذكر هذا البيت فى السور المكية التى أنكر وجودها فنسك

نحن لا ندهش من اكتشاف الحقيقة فما كنا نشك فيها ولكننا ندهش أن قوما ينتسبون للعالم ويخدعون الناس جهلا أو تجاهلا

المسألة الثانية:

هل ورد فى الآيات التى ذكرها فنسك أن الاسلام دين قديم يمت الى ملة ابراهيم ؟ واذا كانت هذه الحقيقة قد وردت فلماذا لم يذكرها فنسك ؟ ارجع الى نفس السور التى ذكرها فنسك ففي الذاريات فى الآية ٢٣ وما بعدها تجد حديث ضيف ابراهيم المكرمين يشرونه بابنه ويقصون عليه قصة

لوط ومدينه وفي الآيه ٣٤ يقول « فخرجنا من كان فيها من المؤمنين فوجدنا فيها غير بيت من المسلمين »

اذن ففي هذه الآيه اعتراف صريح أن الاسلام دين قديم . هو ملة ابراهيم حيث يحدّثه ضيفه عن بيت المسلمين :

اذن فدعوى فنسبك كلها خطأ . واستنتاجه كله خطأ
المسألة الثالثة :

يقول فنسبك أن آيات السجدة وسبأ وبين تشير الى أن الله لم يرسل من قبل العرب نذيرا . ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين :

يريد فنسبك أن يقول بعبارة أخرى أن التاريخ المأخوذ من الاناجيل هو الحقيقة . وان ابراهيم لم يذهب الى مكة . وان هذه الدعوى لم تذكر في القرآن الا بعد الهجرة الى المدينة
وسياق هذه السورة من الآيه ٣٤ وما بعدها :

« واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، رب أنهم اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

هذا يدل دلالة واضحة على أن ابراهيم كان أول من أسس هذا المكان المنزل السحيق في واد غير ذي زرع لا تهوي اليه أفئدة الناس . ولا رزق فيه فدعا ربه : فاستجاب له

على انه يؤخذ من ذلك أيضا أن هذا كان أول عهد هذا المكان بالانبياء

وبتأسيس البيت ولم يذهب ابراهيم ليقيم ديناً جديداً بين الناس في بلاد اهل
وهذا يستقيم مع معنى آية ٤٣ من سبأ في قوله تعالى « وما آتيناكم من كتب
يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير »

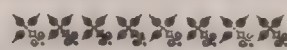
يكفي أن نذكر لفنسك انه لم يذكر الحقائق ولم يستقص مبعثه . وانه
يستنبط قبل أن يبحث

أما الغرض من ذلك . فواضح لان الاستشراق مهنة ضد الشرق .
وضد الاسلام



تاريخ هذا العدد

وضع تاريخ العدد الثالث نفسه على هذا العدد وصحة التاريخ انه : ٩ صفر
سنة ١٣٥٥ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦



فرصة لمشتري المنار

رأينا ان نخفض لمشتري المنار قيمة الاشتراك اذا سددوا اشتراك المجلد
الخامس والثلاثين وذلك لنهاية رجب القادم فجعلناه خمسين قرشاً للمشتريين في
خارج القطر المصري وثلاثين للمشتريين في مصر فعلى الذين يحبون المنار ان
يتملوا بالسداد أنتهازاً للفرصة ومساعدة لنا اذا أرادوا حياة المنار ولهم الشكر سلفاً

الفصل التاسع

حكاية فنسني «١»

(المقال الثاني)

إذا قلبت أي كتاب اجتماعي أو عمراني باللغات الغربية يتكلم عن مصر أو الشرق أو الاسلام وجدت أشياء كثيرة لا يفهمها عقل ولا يستسيغها منطق وليست من الحقيقة في شيء.

ويوجه نظرك بصفة خاصة ما يوصف به الاسلام من الصفات التي لا تنبؤ عن قواعد الذوق السليم والحقيقة فحسب . بل ان الكتاب الاوروبيين يصورون الاسلام بصورة بشعة قبيحة لا تكاد تقرأها حتى يقشع بذلك من هول ما تقرأ

فإذا كنت شرقيا صميما أولت ما يكتب في تلك الكتب الاجتماعية بأنه جهل من المؤلفين بأحوال الشرق وعاداته . وإذا كنت مسلما أسفت كثيرا أن يوصف الاسلام بصورة بشعة بعيدة عن الواقع وأسفت على أن الاوروبيين لا يعرفون شيئا عن حقيقة الشرق بصفة عامة وعن الاسلام بصفة خاصة فليس حقيقا ما ذكره مارشال في كتابه « الزواج » أن الإلم في مصر لا يباح لما أن ترى وجه ابنتها بعد سن الرابعة عشرة من أثر الحجاب في الاسلام

وليس صحيحا ما جاء في هذا الكتاب أيضا من أن الفتاة الريفية المصرية يباح لها أن تعري جسمها كله أمام الرجال أما وجهها فلا يراه انسان

١٠، ملخص مقال ١٣٠ أكتوبر في الاهرام وأول يناير سنة ١٩٣٤

في الهلال

وليس صحيحاً ما وصف به الحجاب وما ذكره عن تعدد الزوجات . كما جاء في كتاب « نسبت عن الزواج والوراثة »

وليس صحيحاً أن سيدنا محمداً كان رجلاً شهوانياً محضاً يشبع شهوات الشيخوخة بزواجه بالشابات « كما جاء في هذا الكتاب »

فأول ما نلاحظه في تلك الآراء أنها مجرد تشنيع خال من الحق ومن العدل ويتجلى فيها سوء النية تجلياً لا يتقبل تأويلاً أو تعليلاً . ولا يمكن الدفاع عنه

ومن محاسن الكتب الأفرنجية أنها تكتب المصادر التي اعتمدت عليها في إبداء رأيها وتشير إلى المراجع التي استقت منها تلك المعلومات . وكنت أتتبع تلك المراجع فأجد ما راجعاً إلى بيئة واحدة هي جماعة المستشرقين

وفي الأدب الأفرنجي الحي كتب قيمة جداً تبحث في التاريخ العام والخاص وتاريخ الأمم والنهضات العلمية ، وهذه الكتب محترمة عند الأوروبيين فكنت أظلم فأجد فرقاً كبيراً فيما تكتب من التاريخ القديم أو الحديث بلباقه ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها . بل رأيت في تلك الكتب تاريخ بلدان ورسوم أما كن لا تستطيع أن تعرف موقعها على الخريطة ما لم ترجع إلى معجمات مطولة ، وبين ما تكتب عن الإسلام وفيه

فاذا تكلمت عن الإسلام والمسلمين أو عن حياة سيدنا محمد أجد تحريفاً ظاهراً وكذباً واضعاً . وتهريجاً قبيحاً

وانظر إلى مرجوليوت حيث يقول : ربما كانت الطبيعة الجغرافية أو المناخ الأقليمي هو السبب في تأخر المسلمين ولكن نظرية وجود رجل واحد « أي سيدنا محمد » يكون هو وعده الرسول بين الله والناس ويكون هو وحده آخر طريق لهذه النظرية هي ثاني سبب لتأخر المسلمين »

فرجوليث لا يقول هذا لاتهاض المسلمين ولكنه يقول هذا تشبيهاً وهو

الذي لم يترك نقيصة إلا الصقها بالاسلام من غير سبب وها هو ذا كما ترى
يتخيل نفسه على الأقل موزونا أو معقولا فيتكلم عن الاسلام . ولكي تفهم
مقدار تحصيل مرجوليث هذا اللغة العربية تأتي لك بالمثل الآتي الذي ساقه
صديقنا الدكتور زكي مبارك

فقد تعرض مرجوليث لشرح هذه الابيات

يقول لي الواشون : كيف تحبها؟ فقلت لهم: بين المقصر والغالي
ولولا حذارى منهم لصدقتهم . وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي
وكم من شفيق قال مالك واجما . فقلت: أي مالي وتسالي مالي
والشطرة . لاخيرة من هذه الابيات فيها خطأ كتابي فقط وصحته (فقلت
ترى مالي وتسأل عن مالي) ولكن مرجوليث العالم الضليع الذي ينقد القرآن
وأسلوبه ويتعرض للنبي ﷺ ويحقق تاريخ آياته فيقول : انه ابن عبد الله يعني
لرجل المجهول هذا العالم العلامة والخبر الفهامة يقول إن الشطر الاخير صحته:
(فقلت أنا مالي وإن تسالي مالي)

وليس هذا التصحيح هو المضحك وحده وإن كان اشنع من الفلظ الاول
ولكن المضحك حقاً أن يكون المصحح أستاذ لغة عربية ويتعرض لاسلوب
القرآن أو يدعي نقده!!

ولسنا في مقام الرد علي أسباب وعوامل تأخر الامم الاسلامية فلا ي
المستشرقين أنفسهم الاسباب

والظاهر أن المستشرقين جمعية دولية حتى إذا ألف مستشرق كتابا أو
كتيبا ظهر في ثلاث لغات حية دفعة واحدة في فرنسا وإنجلترا وألمانيا مع أن طبع
هذه الكتب قد يستنفد كل ثروة المستشرق في الطبع والمدهش أنك ترى في

مقدمة كل كتاب مستشرق قائمة باسماء الذين عاونوه وساعدوه في البلدان الاخرى
وانى لا علم ان المستشرقين تنقصهم في مباحثهم عن الاسلام الروح الملية
وان لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم . وهي أنهم يفرضون فرضا ثم
يتلمسون الدليل عليه فاذا وجدوا في القرآن ما يهدم نظريتهم تجاهلوه والتفحسوا
الآيات التي تتناسب والمعنى المراد ولا مانع من بترها اذا اقتضى الحال أو تحريف
معناها حسب الرغبة فيخرج القاري من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق
كما يقولون كما سبق شرحه في كلام مرجوليث .

بمثل تلك النواحي التي أسلفناها أصبحت لا نقرأ للمستشرق شيئا إلا ونحن
نحرص على تفكيرنا وان نمى بتعرف الغرض الذي يرمى اليه قبل أن ننق بما
يكتب وأن نفتني أثره فيما يبحث وفي مستنداته لانه دائما يبتز الحقائق فيقول
ان القرآن فيه آية (لا تقربوا الصلاة)

وسنعطيك مثلا آخر فيما قال فسنسلك تحت كلمة كعبة في دائرة المعارف
الاسلامية صفحة ٥٨٧ النسخة الانجليزية .

« نحن لانعلم شيئا عن شعور محمد الشخصى في شبابه نحو الكعبة أو العبادات
السكية ولكن المفروض انه لم يشذ عن الجماعة

» وان ما ذكر في سيرته عن هذه المسألة مدة وجوده في مكة لا يوثق من
جهة القيمة التاريخية

» وان الآيات السكية لم تخبرنا شيئا عن هذه العلاقات في تلك المرحلة الهامة
من حياة النبي . على انه لم يظهر حماسه في حادثة نحو الحرم السكي . وفي المرحلة
الاولى بعد الهجرة كان محمد في شغل بمسألة أخرى مختلفة عن هذه
الاختلاف . ولكن أخفقت العلاقات الطيبة المنتظرة مع اليهودية واليهود . وهناك
حصل تغيير حيث أنه — بعد مضي عام ونصف عام على الهجرة ذكوت الكعبة

وذكر الحج في الوحي

« وأول مظهر من مظاهر التغبير كن وجهة القبلة . فلا يتجه المؤمنون في صلاتهم إلى القدس بل إلى الكعبة — (قد نرى تقاب وحمك في السماء — الآيات) ومن الوجهة الامرية فان هذا التغبير في القبلة برر مانه استشف ملة ابراهيم — وهى — أي ملة ابراهيم — اخترعت خصيصا لهذا الظرف (السورة ١٢٩ — آية — ٣ — ١٩ — كما بين سنوك هر جرونيه

« وقيل ان ملة ابراهيم هذه كان اليهود قد أخفوها ثم أظهرها محمد ومن ثم ادجحت فيها عبادات مكة »

وبعد . فقد انتهت الفقرة التي نقلها من دائرة المعارف الاسلامية بقلم فنسك ، فلنتعرف أغراضها ومراميتها وحيثيتها

وأول ما يمترضا عند النظر الى هذه الفقرة أن فنسك رجل مقلد في السب والشتم والهجاء وان تقليده أعى بقوده عنكاز ضعيف من الاطلاع السطحي والظاهر انه في هذه المسألة يتبع آراء سنوك هر جرونيه ويتلمس أدلة جديدة ليضيفها الى أدلة أستاذه السخيفة

والمدعش أن هؤلاء المستشرقين يختلفون في كل شيء الا في هجاء محمد عليه الصلاة والسلام

فهذا فنسك يقول : انه لا يعرف شيئا من شعور محمد عليه الصلاة والسلام نحو الكعبة في شبابه وبعد رسالته إلا بعد الهجرة بعام ونصف عام وان ما لديه من تاريخ حياته عليه الصلاة والسلام لا يصح أن يؤخذ أساسا تاريخيا وزميل له في الاستشراق هو ايل درمنجفام يزعم أن محمدا كان يتعبد على مبادي اليهودية أو النصرانية

ومرجوليث يقول ما قاله مالك في الخبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ بَرِّهِ فَكَرَّمَهُ
أَوْفَىٰ فَيَرَىٰ أَعْيُنًا
بِزُكْرِهِ تُورِثُ الْأَبْصَارَ

الْمَلِكُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَوْلُ فَيَتَّبِعُونَ النَّفْسَ
أُولَئِكَ لِيُصَيَّرَ لَهُمُ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضرى « ومارا » كمار الطير

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ ١٨ يولية سنة ١٩٣٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بقلم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

شيخ الجامع الأزهر

كانت مجلة النار مرجعاً من الراجع الاسلامية العالية تحل فيها مشاكل
المقائد واتمقه وتحيط بالامائل الاجتماعية الاسلامية وأخبار العالم الاسلامى
وما فيه من أحداث وأمراض وعلال وكان صاحبها السيد رشيد رضا رحمه الله
رجلاً عالماً حاملاً غيوراً مخلصاً للإسلام محباً لكتاب الله وسنة رسوله وآثار
السلف الصالح . وقف حياته لخدمة دينه والامم الاسلامية ، وكان شجاعاً فى
الحق لا يهاب أحداً ولا يجامل ولا يخافى
نشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقي ربه واحتجبت بمد ذلك مجلة النار

فأحس العالم الاسلامي بفداحة الخطب وشدة وقع المصائب فانه لا يوجد فيما أعلم الآن ذلك الرجل الذي له من سعة الاطلاع وحسن التدبير وحكمة الرأي وقوة الادراك في السياسة الشرعية الاسلامية ما يضارع به المرحوم السيد رشيد ذلك ماض جليل نودعه مع الفخر به والاسى عليه والآن قد علمت أن الاستاذ حسن البنا يريد أن يبعث النور ويميده سيرته الاولى ، فمررت هذا فان الاستاذ ابننا رجل مسلم غيور على دينه يفهم الوسط الذي يعيش فيه ويعرف مواضع الداء في جسم الامة الاسلامية ويفقه أسرار الاسلام ، وقد اتصل بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالاصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الامة

(وبعد) فاني أرجو للاستاذ البنا أن يكون على سيرة السيد رشيد رضا وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا والله هو المعين عليه فتوكل وبه نستعين .

« نزاع »

مر قطعة لرافعي رحمه الله في وصف الصحابة يفتحون معبر

إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل وإن نبيه أظهر من السحابة في سمائها وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون . . . ولأن تخلف المرأة على عفتها من أيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي فأنهم جميعاً في واجبات القلب وواجبات العقل المضمير الاسلامي في الرجل منهم يكون حاملاً للاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته

« افتتاح »

في الميدان من جديد

بِعونِكَ اللَّهُمَّ وفي رحابتك وتحت لواء دعوتك المظهرة وفي ظل شريعتك القدسية وعلى هدى نبيك الكريم العظيم سيدنا محمد ﷺ تستأنف هذه الحلقة « النار » جهادها وتظهر في الميدان من جديد

رحمة الله ورضوانه ومغفرته « للسيد محمد رشيد رضا » منشئ النار الأول ومشرق ضوئها في الوجود ، فقد كافح وجاهد في سبيل الدعوة إلى الاسلام والدفع عنه وجمع كلمة للمسلمين وإصلاح شؤونهم الروحية والمدنية والسياسية وهي الأغراض التي وضعها أهدافاً لجهاده الطويل حتى جاء أمر ربه بعد أن فقت المنار أربعين عاماً كانت فيها منار هداية ومنهج سداد وإرشاد ولقد ترك السيد رشيد فراغه واسماً فسيحاً وقضى وفي نفسه آمال جسام وشاهد قبل وفاته تطوراً جديداً في حياة الأمة الإسلامية فاستبشر بهذا التطور الجديد وشام منه خيراً وأمل فيه كثيراً وعزم على أن يسير هذا التطور بالمنار ودعوة المنار وأن يجعل منها في عامها الجديد (الخامس والثلاثين) لسان صدق لجماعة جديدة « بالدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين » تخلف جماعة الدعوة والارشاد وتقوم على الانتفاضة بالظروف الجديدة التي تهيأ لها المسلمون في هذا العصر وقد كتب رحمه الله في هذا المعنى في فاتحة هذا الجلد ما نصه : « سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو فيما عدا التعليم الاسلامي المدرسي منه الذي ضاق زمان هذا المأجز عن السعي له وتولى النهوض به فتركه لمن بعدهم التوفيق الإلهي له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوجيهه ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم ثم ذكر بعد ذلك طرفاً من تاريخ مدرسة

الدعوة والارشاد وما اتيت من عقبات ومعاكسات انتهت بالقضاء على فكرتها الجليلة ثم قال بعد ذلك ... وجملة القول إني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وألذع من أمر مشترك المنار وعلى ما أقر به من عجزى عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها لم أزد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعي لأتم أصول الإصلاح الاسلامي وتجديد أمر الدين بما يظهره على الدين كله حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم .. ولم أياس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً بآية رسول الله ﷺ بأنه «لا يزال في أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة» رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بالنظر من عدة طرق . وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة قليلة متفرقة ، إني منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين في الاقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم في الدعوة إلى العمل وأرجو من كل من يرى من نفسه أرتياحاً إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن تنشر دعوتهم الرسمية - وأتم ما يرجى من الخير لامة محمد ﷺ في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة اتقوا على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الامة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تنق به فهي لا تنقصها إلا هذا وقد طال تفكيري فيه وقمى أن أشرعاً قريباً بما يسرها منه - وأعجل بحمد الله تعالى أن تجد لي على رأس هذه الامة ما كازلي ولشيخنا الأستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء في سرور الازهر . وهو الذي يعبر عنه في عرف عصرنا بشخصيته المنوية . وهذا الرجاء الذي تجد بتوسيد أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظيم .. كان الازهر كدراً خفياً أو جوهراً مجهولاً عند أهله وحكومته وغفلاء بلده لم ينطل أحد قبيل الأستاذ الامام لا مكن إصلاح العالم الاسلامي كله والاستيلاء على زمامة شمر ب الاسلامية في الدين والأدب

والفقه باصلاح التعليم العام فيه ولكن تعليم الاستاذ الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان أحدثا هذا الرجاء في طائفة من شيوخه والاستعداد في جمهور طلابه ولم يبق إلا الجدوة الحمد ، انتهى

هكذا قضى السيد محمد رشيد حياته وفي نفسه هذه الآمال الجسام :
أن يكون المنار بعد سنته هذه لسان حال جماعة المدعوة إلى الاسلام وأن تتألف هذه الجماعة من ذوى العقل والدين والمكانة في الشعوب الاسلامية وأن يشد الأزهر أزر هذه الجماعة وتشد أزره فيكون من تعاونهما الخير كله .
واقف كان السيد رحمه الله صادق المزم مخلص النية في آماله هذه فاستجابها الله له وشاءت قدرته وتوفيقه أن تقوم على المنار « جماعة الاخوان المسلمين » وأن يصدره ويحرره نخبة من أعضائها وأن ينطق بلسانها ويحمل للناس دعوتها

يا سبحان الله . إن جماعة الاخوان المسلمين هي الجماعة التي كان يتمناها السيد رشيد رحمه الله ولقد كان يعرفها منذ نشأتها ولقد كان يشئ عليها في مجالسه الخاصة ويرجو منها خيرا كثيرا ولقد كان يهدى اليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه « من المؤلف الى جماعة الاخوان المسلمين النافعة » ولكنه ما كان يعلم أن الله قد ادخر لهذه الجماعة أن تحمل عبئه وأن تم ما بدأ به وأن تتحقق فيها أمنية من أمنائه الاصلاحية وأمل من آماله الاسلامية لقد تمتنى السيد رشيد رضا في الجماعة التي اشترطها أن تقوم بأعلى مقصدى جماعة الدعوة والارشاد أى ما عدا التعليم المدرسى ثم رجا أن توفق الجماعة الجديدة له . هذا أيضا ويستحق جماعة الاخوان المسلمين هذا الرجاء بتوفيق الله فان إصلاح التعليم المدرسى الرسمى من أخص مقاصدها وإن أنثرها في طلاب الجامعة المصرية والمدارس المدنية من ثانوية وخصوصية لعظيم وسنواصل الجهد حتى نصل إلى الغاية إن شاء الله وبصبح التعليم كله مركزا على أصول سامية مستمدة من روح الاسلام وسماحة الاسلام وتعاليم الاسلام وحضارته ومجده والله المستعان . ولقد أدرك الاخوان المسلمون منذ نشأت دعوتهم أهمية التواصل بين عقلاء المسلمين فأخذوا

يعملون لهذا وأصبح لهم بحمد الله عدد عظيم في كل قطر يعطف على فكرتهم ويؤيد دعوتهم ولقد اقترح علينا أخونا المفضل السيد أنيس أفندي الشيخ من وجهاء بيروت أن نعمل ما عمله السيد رشيد فنجمع عناوين ذوى المكانة من عقلاء العالم الاسلامي وتصل بهم ونكتب في جرائدنا عنهم حتى يتعرف بعضهم إلى بعض والآن ننتهز هذه الفرصة فنوجه الرجاء الذي وجهه صاحب المنار من قبل إلى كل من يأنس من نفسه الغيرة على الإصلاح الاسلامي والاستعداد للعمل له من رجالات المسلمين أن يكتب البنا عن الناحية التي يؤمل أن يعمل فيها وحيد الوأكرم فأضاف إلى ذلك إرسال صورته الشخصية وستفرد لنشر هذه العنوانات والصور صحيفة خاصة بالمنار نسميها (صحيفة التعارف) بين أنصار الدعوة إلى الاسلام حتى إذا تكامل جمع يعتمد عليه فكرنا في الطريقة المثلى لتبادل الآراء والأفكار

ولقد أدرك الاخوان كذلك منذ نشأت دعوتهم ما للأزهر من شخصية معنوية وأنه أعظم اقوى أثرا في الإصلاح الاسلامي لوتوجه إليه فاعتبروا أنفسهم مواله في مهمته وتونقت الروابط القوية بينهم وبين شيوخه وطلابه وكان من هؤلاء الفضلاء ما بين علماء وطبقة طائفة تربية لها أبلغ الاثر و نشر دعوة الاخوان رخصة فكرتهم التي هي في الحقيقة أمل كل مسلم غيور و واجب كل مؤمن عاقل

وإننا لندرج أن نكون أسعد حظا من صاحب المنار رحمه الله في حسن معاملة المشتركين فيها فان مال الدعوة مهما كثر قليل بالنسبة لنواحي نشاطها وتشبب أعمالها فليقدروا هذه الحقيقة وسيجدون ما ينفقون في هذه السبيل عند الله خير وأعظم أجرا

ستمود المنار ان شاء الله إلى الميدان تناصر الحق في كل مكان وتقاوع الباطل بالحجة والبرهان وشعارها الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين والعمل للإصلاح الاسلامي في كل نواحيه الروحية والذكورية والسياسية والمدنية . ولقد كان للمنار خصوم وأصدقاء شأن كل دعوة إصلاحية فأما

أنصارها فترجو أن يجدوا في مسلكتها الجديد ما يبرز صداقتهم لها وصلاتهم بها وأما خصومها فإن كانت خصومتهم للحق بالحق فإننا على استعداد تام لتفاهم معهم على أساس كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل لخدمة هذه الحثيثة السمعة

لم يكن الديخ رشيد رحمه الله معصوماً لا يجوز عليه الخطأ فهو بشر يخطئ ويصيب ولنا ندعى لأنفسنا المسممة فنحن كذلك وما من أحد إلا ويؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا نريد أن نعترف بالرجال ولكننا نريد أن نعترف بالرجال بالحق ومتى كان ذلك رأينا جميعاً ومتى كان شعارنا أن نرد التنازع إلى الله ورسوله كما أمرنا فقد احدثينا ووصلنا إلى الحقيقة متعاقبين واقبضت الخصومة وولى الباطل منهزماً زهوقاً

على هذه القواعد ندعو الأمة والهيئات الإسلامية جميعاً إلى التعاون معنا سائلين الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه والله حمينا ونعم الوكيل —

حسن البنا

مراجع

« إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصاره الحية في الشجرة الجرداء . طبيعة تعمل في طبيعة . فليس يفضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها . وهو بذلك فوق السياسات التي تشبه في عملها الظاهر الملك ما بعد كطلاء انشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . . شتان بين عمل وعمل وإن كان لون يشبه لوناً »

الرائع في رمي الظلم

« لا تكون خدمة الإنسانية إلا بذات عالية لا تبالى غير سموها . الأمة التي تبذل كل شيء وتتمسك بالحياة جيئاً وحرصاً لا تأخذ شيئاً ، والتي تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شيء »

تفسير القرآن الحكيم

تَقْنِيسُ لُغِي لُغِي مَرْنِي بِحَصْرِي لَا يَرُ شَاوِي لِي جَمْعِي يَرِي دَانِي

بهذه الأوصاف قدم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تفسير المنار للناس كما كان يقدمه بأنه التفسير الذي فسر به القرآن من حيث هو هداية عامة للبشر ورحمة للعالمين جامع لأصول العمران وسنن الاجتماع وموافق لمصلحة الناس في كل زمان ومكان بانطباق عقائده على العقل وآدابه على الفطرة وأحكامه على درء المقاصد وحفظ المصالح

وافتد بدأ هذا التفسير حكيم الاسلام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على
 هيئة دروس يلقيها في الأزهر على نخبة من خيرة الطلاب وكان تلميذه السيد
 رشيد يلخص مايسمع من هذه الدروس وينشر هذه الملخصات تباعا في المنار ثم
 استقل بعد ذلك بالتفسير مسترشداً بطريقة أستاذه مجتهداً أن يكون تفسيره
 للقرآن الكريم محققاً لهذه الاوصاف التي صدره بها حتى وصل إلى قوله تعالى
 (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني ما تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض
 أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) فكانت آخر آية
 كتب فيها ثم أدركته الوفاة

ولقد أتم الاستاذ السننى المحقق الشيخ ببيعة البيطار فى الجزأين الذين صدرتا بعد وفاة صاحب المنار بكية سورة يوسف وتوفقت المجلة عن الصدور حتى تعرضت للنهوض بهذا العبء جماعة الاخوان المسلمين واتقدبنى أعضاء مكتب الارشاد العام لكتابة التفسير مع ياسة التحرير فلم أربدا من النزول على حكمهم والامتنال لرأيهم احتراماً للجماعة وإيثاراً للطاعة رغم المشاغل الكثيرة والأعمال المتراكمة

سأكتب التفسير في النار مستمداً من الله تعالى الحول والقوة
 وسأحاول أن يكون في هذه الحدود الرسومة - ملانيا - يتجه التقصد فيه
 أول ما يتجه إلى استجلاء روح القرآن واستطلاع مقاصده في بمد عن الماحكة
 اللغزية و المجادلة الشككية العنانية ، كما كان يفهم السلف رضوان الله عليهم
 كتاب الله - أثريا - يستمد من هذه انثوة المباركة التي تركها لنا الرواة
 الصادقون عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الأكرمين ومن تبعهم باحسان -
 مدنيا يربط قواعد الحضارة الاسلامية التي وضعها القرآن الكريم بالاصول
 النسلحة لهذه المدينة الحديثة ويبين فضل الاصول القرآنية على ما ابتدع الناس
 لانفسهم من أصول جرت عليهم الشقاء والوبال . فليست مدينة هذا العصر
 شرا كلها وليست خيراً كذلك والقرآن الكريم خير كله فعلى ضوئه نتبين السالح
 من نظم الاجتماع وغير السالح - عصريا - يصل روح القرآن الخالد بروح هذا
 العصر ويقرب فكرة القرآن المشرقة إلى العقل المصري في أسلوب قريب المأخذ
 سريع الافادة - اجتماعيا - يمرض لمشاكل الاجتماع وأصوله النافعة ويبين
 حلولها وصلاحياتها كما جاءت من لدن الحكيم الخبير - سياسيا - يصور الأمة
 المسلمة المثالية والأمة المسلمة الحالية ويكشف عن الفرق بين الحالين ثم يشخص
 الداء ويصف الدواء للحاكم والمحكوم على السواء

على هذه الاصول سأكتب تفسير النار إن شاء الله فان وقعت فمن الله وهو
 ولي التوفيق وإن كانت الأخرى خسي أن حاولت أداء الواجب واجتهدت في
 تحري السائلة ورجائي إلى انقراء الكرام أن يتكرموا ببيان ما يبدو لهم من
 ملاحظات حتى تتعاون جميعاً على الوصول إلى السكال الممكن والله حسبنا
 ونعم الوكيل

« سورة الرعد »

يري بعض العلماء أن من حرمة القرآن وتوقيره ألا يقال سورة النحل

وسورة الرعد وسورة البقرة الخ ولكن يقال السورة التي يذكر فيها النحل والسورة التي يذكر فيها الرعد وهكذا . ولقد جرى على ذلك شيخ المفسرين الطبري فعمد لهذه السورة في تفسيره بقوله « أول السورة التي يذكر فيها الرعد » وقد رد القرطبي عن من قال بهذا الرأي فقال : هذا يعارضه قوله وَبَشِّرِ « الآيات من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في كل ليلة كفتاة » أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود — ولعل هذا هو الأقرب إلى سلامة الاسلام وابتناءه عن التعقيد الشكلي وفي اللغة والمجاز مندوحة :

مكان النزول

قال ابن الجوزي : اختلفوا في نزولها على قولين : أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة ، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين إحدهما قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة » والآخرى قوله تعالى « ويقول الذين كفروا لست مرسلًا » واتقول الثاني أنها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد ، وروى عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله « ولو أن قرآنًا سرت به الجبال الخ » وقال آخرون للمدني أنها قوله « هو الذي يريكم البرق إلى قوله تعالى « له دعوة الحق » وقال آخرون : نزلت آية منها بالجحفة وهي قوله تعالى (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي) الآية وتكاد الطبقات في المصاحف تجمع على أنها مدنية نزلت بعد سورة محمد ﷺ

ويلاحظ اضطراب الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في تحديد المكي والمدني منها ولعل ذلك من اشتباه الأمر على الرواة

والذي يتفق مع القواعد العامة في تعرف المكي والمدني أن معظم هذه السورة الكريمة مكية فقد جعل العلماء من علامات المكي غالباً أنه يتمرض للمقائد وأدلتها من النظر في السكون واستجلاء عجائب صنع الله فيه مع الزجر والوعيد وبيان جزاء المخالفين والمؤمنين لأن ذلك هو الموافق لحال المخاطبين

من الكفار والمشركين ، أما المدني فقال له : تقص فيه الأحكام التفضيلية من عبادات ومعاملات وغيرها ، وأيضاً فمن علامات المكي أن يغاب فيه الخطاب واتمبير بيائها الناس ونحوها من ألفاظ العموم على حين أن الخطاب والتمبير يغاب في المدني أن يكون بيائها الذين آمنوا ونحوها . والناظر في مقاصد السيرة الكريمة يراها بحال المكين وموقعهم أخلاق فنحن نرجح القول بمكة معظمها والله أعلم

وعدد آياتها ثلاث وأربعون عند الكوفيين وخمس وأربعون عند الشاميين والسبب في ذلك اختلافهم في أن الآية الأولى « المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق إنا أولان » وحدها آية « وتلك آيات الكتاب » آية ثانية وما بقي بعد ذلك آية ثالثة ، فعلى الأول هي ثلاث وأربعون ، وعلى الثاني هي خمس وأربعون مع الاتفاق على جواز الوقف بل على استحسانه في كل موضع من هذه المواضع

المقاصد العامة في السيرة

عرضت السيرة الكريمة لتقرير نظمة الخلق وإثبات المعاد والرد على منكره معقديم لذلك بدرض الأدلة من ظواهر هذا الكون العجيب ، والتفنية بضرب الأمثلة الرأفة لكل من الحق والباطل

ثم عرضت بعد ذلك لتعسى المؤمنين والمخالفين وأوصاف كل منهما والأخلاق التي تنبئها في نفسه العقيدة وتنميتها ، وجزاء كل من الفريقين في الدنيا والآخرة ثم تنبئت الرسول ﷺ وارتقاب يوم الفصل الذي يعلم فيه الجاحدون لمن عقي الدار

وتستطيع أن تجمل هذه المقاصد السامية في أنها إثبات التوحيد والمعاد وبيان ما ينتج من الإيمان بهما من أخلاق فاضلة وجزاء حسن كريم والمقابلة بين ذلك وضده كما هي مادة القرآن

المناسبة بين هذه السورة الكريمة وما قبلها

وتستطيع من ذلك أن تلمس المناسبة بين هذه السورة وبين السورة التي قبلها ، ففي السورة التي قبلها أجل يوسف عليه السلام عقيدة التوحيد في قوله : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » الآيات ، وفي هذه السورة أفاض في بيان هذه العقيدة وتدعيمها بالأمثلة الواضحة والبراهين والأدلة وفي السورة التي قبلها تناول بالتحليل نفوس أخوة يوسف وما استولى عليها من أخلاق . إذ ذك دفعتمهم إلى ما فعلوا بأخيهم ثم ما كان بمسد ذلك من توبتهم ومسامحته إياهم واستغفار أبيهم لهم ، وفي هذه بسط لأخلاق المؤمنين كالتأكيد لما ذكر هنالك والتبميز له

وفي سورة يوسف أجل الإشارة إلى ما في الكرون من روائع الآيات وإن أعرض الناس عنها ولم يكفوا أنفسهم عناء النظر فيها فذلك قوله تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم عنها معرضون » — وفي هذه السورة الكريمة تناول هذا الاجمال بالتفصيل المبين ، فذكر من آيات الله في السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والماء والنبات والرعد والبرق الخ ما يلفت الأبصار الزائفة ، ويسترعى الأفتدة الغافلة المعرضة

ولما كانت سورة يوسف قد تناولت بالبيان والتفصيل ما كان من جلود اليهود والنصارى وهم أبناء يعقوب بالنسبة لأخيهم ثم ختمت بأن في قصص هؤلاء وغيرهم من أنبياء الله الذين قص الله من نبئهم على رسوله عبرة لأولي الألباب ، وكان ذلك مظنة اعتراض من البهرد على عادتهم في التحريف والعناد جاءت فاتة سورة الرعد مؤكدة لكل هذه الممانى فذلك قوله تعالى : « والذي أنزل إليك من ربك الحق وإن كن أكثر الناس لا يؤمنون » وبذلك ينقطع شائبهم سبيل الاعتراض ويتقرر المعنى في نفس اتقاريء والسامع ، ولما كانت ختام سورة يوسف قد عرض لحقيقة الدعوة القرآنية وسبيلها في قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) مع بيان أن هذه

الدعوة ليست بدما من دعوات المرسلين . ولا مخالفة لما جاءوا به ، وكانت المناسبة تامة بين السورتين ، فقد جاء كذلك في ختام سورة الرعد عرض لهذه الدعوة الكريمة في قوله تعالى : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وإليه مآب » ثم ذكر بعدها طرفاً آخر من شئون المرسلين من قبل لبيان أن نحمد الله صلى الله عليه وسلم لم يكن في أحوائه بدما منهم فقال : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية) وإذا نظرنا إلى أن سورة يوسف كلها جاءت تفصيلاً لما وقع من ذرية يعقوب وأبنائه عليه السلام رأينا أن ورود هذه الآية الكريمة في سورة الرعد إجمال في الدليل ينسب على ذلك وسيأتي التفصيل فالمناسبة تامة ولا شك

وتم وجوه أخرى من المناسبات يطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتقصاها ، وسيأتي بعضها خلال التفسير إن شاء الله

(المَرَكَاتُ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)

(المر) الكلام في فوائده السور بهذه الحروف الكريمة تقدم مسهباً واختار صاحب المنار في ذلك أنها أسماء لسور ، وقد يعترض على هذا القول بأن ذلك يتجه لو لم يكن لهذه السور أسماء ، أما وقد سميت بعد ذلك فما الحكمة في تعدد التسمية ؟ وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى أن كل سورة تفتح بمثل هذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وبيان أحقيته مما يدل على أن المقصود بها لت النظر إلى اختصاصه بالاعجاز مع أنه مركب من جنس هذه الحروف التي تفتح بها السور — وهن طرائفه في ذلك أنه نقل عن بعضهم أن مجموع حروف التوائح في القرآن أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك « نص حكيم قاطم له سر » ولا شك أنه استثناس طريف ولكن غير مقصود طبعا

وقد قيل في تأكيده المعنى الأول وهو أن هذه الحروف في فوائده السور للإشارة إلى الإعجاز أنك لو أنعمت النظر في حروف كل سورة من السور التي تفتح

بالحروف المنقطعة لوجدت حروف الافتتاح أكثر الحروف دوراً فيها، وعلى هذا القول نستطيع أن نفهم حكمة اختلاف هذه التوائح فهي أحياناً ألم فقط، وأحياناً الميم وأحياناً الـ وأحياناً المر، وتتضح لك بهذا حكمة زيادة الميم في فاتحة الرعد بخلاف ما قبلها وما بعدها، ونقل عن ابن عباس أن الحكمة في زيادة الميم في هذه الفاتحة أن معنى التوائح السابقة في الر فقط أنا الله أرى، وأما في هذه فمعناها أنا الله أعلم وأرى بزيادة أعلم على ما نقل عن ابن عباس في أن هذه الحروف أجزاء كلمات والقول الأول أوضح وأبين

ومما يعجبني في حكمة افتتاح السور بهذه الحروف ما أشار إليه الحافظ ابن كثير أن المراد التحدي بنفس هذه الحروف وبيان ذلك أن المعلوم لدى قريش ومن جاورها بل لدى كل من عرف النبي صلى الله عليه وسلم واتصل به أنه لم يقرأ ولم يكتب خين يفتجأ الناس باستفتاح كهذا في أول تلاوته للقرآن فهو بلا شك - يسترعى انتباههم لما يقرأ من جهة وسيجعلهم على التفكير في مصدر هذا العلم الجديد الذي طلع عليهم به من جهة أخرى والتفكير سلم الهداية وأول خطوات الإيمان الصحيح، ثم نقول بعد هذا والله أعلم بما راده بذلك كما كان يقول سلفنا وضوان الله عليهم

(تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق) إشارة إلى آيات القرآن الكريم وتأكيده لمعنى أحقيته ونزوله من عند الله تبارك وتعالى، وأنه لا شك فيه ولا مرية - إنه تبارك وتعالى لما أشار في سورة يوسف إلى القرآن الكريم وبين أنه سيقص على نبيه فيه أحسن القصص ثم ختم السورة بأن هذه القصص القرآنية عبرة لأولى الألباب وتصديق لما بين يديها من الكتب السماوية السابقة والبرائع الإلهية الماضية، وهي بعد ذلك كما تفصيل كل شيء ينفع الناس في دينهم ودنياهم وهي كذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون بها ويمدقون - لما تقدم ذلك في فاتحة السورة وختمها أكد ذلك المعنى في فاتحة هذه السورة فقال تلك آيات الكتاب بخصائصها وروعيتها وصفاتها النافعة الجليلة التي تقدمت وهي حق من عند الله لا شك فيه ولا مرية

«ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» لما ذكر في الآية السابقة صفات هذه الآيات وأنها عبرة وتصدق وتقصيل وهداية ورحمة ختم ذلك بأن الذي يستفيد هذه الفوائد جميعاً إنما هم المؤمنون المصدقون ، وقد ورد أنه ما جلس أحد إلى القرآن إلا زد أو نقص ، فإن كان مؤمناً زاد إيمانه وهدى ، وإن كان غير ذلك نقص «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً» لما ذكر ذلك قرر في هذه الآية ناموساً اجتماعياً — وهو أن أكثر الناس لا يؤمنون ، وقد تكرّر هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم ، وقلمنا تذكر الكثرة إلا ومعها الغلالة والاعراض ، وقلمنا تذكر القلة إلا ومعها الهداية والنور والانتاج وتأمل ذلك في قوله تعالى «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» «وإن تطع أكثر من في الأرض يفسدوك عن سبيل الله» «ولا تجد أكثرهم شاكرين» «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» «ويوم نحين إذا عجبتمكم كثيرا فلم نغن عنكم شيئاً» إلى جانب قوله تعالى «وفليل من عبادى الشكور» «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم» «ولقد نصركم الله يدير وأنتم أذلّة» «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» الخ تجد ذلك يكاد يكون مطرداً وأنت إذا طالعت مصداق ذلك في شؤون الناس وأحوال الدعوات وجدته صحيحاً مطرداً ، فما من دعوة حق إلا كان أهلها قلائل بالنسبة لمن يناوئها من أهل الباطل والدهاء ، ولكنك إلى جانب هذا تجد أن الغلبة ، دائماً للقلة المحقة والنصر دائماً إل جانبها . وبذلك يتضح لك وجه الجمع بين ما سبق من وعد الله لدينه أن يظفره على الدين كانه مع تقرير أن أكثر الناس لا يؤمنون الايمان الكامل الحق ، ولو مع الخرس على ذلك ، ومن ذلك تعلم أن قول ذلك العربى «وإما العزة لاكثر» لا يتمشى إلا إذا تساوت الثقتان في غير العدد من وسائل القوة وزادت إحداها الكثرة ، أما إذا تميز أهل الحق من أهل الباطل فقد كتب الله الغلب للمحقين مهما كان عدد خصومهم كثيراً «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»

والسر في انصراف أكثر الناس عن الايمان أن الانسان تتجاذبه قوتان

تحاول كل منهما أن تتغلب عليه وأن توجهه وجهتها : قوة الخير التي يؤازرها العقل ويرشدها الوحي ويقويها العمل الصالح وقوة الشر التي تمددها الشهوات ويزينها الشيطان ويقود إليها الهوى ، وتفري بها زخارف المادة وأعراض الحياة الدنيا ولذائذها وتزداد ضراوة بالمعاصي والمخالفات

ولما كان العقل والوحي وما إليهما من عالم النفس السامية الفاضلة ، وكانت الشهوات والآهواء والخواف والسادية من عالم هذا الحس ، وكان الانسان مادام في حياته الدنيا فهو إلى الحس أقرب وبه ألسق ولا يقوى على مقاومة هذه هذه الدوافع إلى الشر إلا بتوفيق رباني وإرادة قوية ومجاهدة دائمة وعزيمة صادقة وهو ما يشق على أكثر النفوس . من هنا كان أكثر النوع الانه انى مادياً دنيوياً إلا انقليس الذي ملك عنان نفسه وقوى على التصرف في عوالم حسه واستعان بطاعة الله على تثبيت هذا الايمان الكريم وسلوك هذا المسلك القويم وتأمل الاشارة إلى ذلك في قول الله تعالى (إن الانسان خلق هلوما إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » الآيات وتأمل دوران هذا المعنى في كثير من الآيات التي ورد فيها ذكر الانسان وانظر كيف أن صوارف الناس ونرازع النفس وتعلق الروح بالمادة لا تزال تحاول أن تصرف الانسان عن إيمانه لأقل المناسبات حتى بعد أن تثبت العقيدة وترسخ ، وانظر مصداق ذلك في الآية الكريمة « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » الآيات من سورة الاعراف وإلى ما كان من بعض أصحاب النبي صلى الله عليه في غزوة حنين حيناً مروا بشجرة للشركيين كانوا يعلقون عابها أساجحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من قبلكم (رواه الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه

تأمل ذلك كله لتعلم صدق هذا الناموس الخالد (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) وإيس معنى أنهم لا يؤمنون أن يكونوا جميعاً كفاراً ولا شك بل يدخل معنى الآية أن من الناس من لا يؤمنون لا ظاهراً ولا بائناً وهم الكفار على اختلاف أنواعهم من وثنيين وكتائبين وملاحدة وزنادقة الخ ومنهم من يؤمن ظاهراً ولا يؤمن قلبه كالمناققين : ومنهم من يؤمن لفظاً ولا يؤمن عملاً كمصاة المسلمين : ومنهم من لا يتحقق بصفات أهل الإيمان الباطنة مع قيامه بآثارها الظاهرة فيكون ناقص الإيمان ، ومنهم من يتردد بين الشك والإيمان وهكذا والحكمة في تقرير هذا الناموس في كتاب الله تبارك وتعالى أمور (منها) بيان أن الحق لا يعرف بالرجال بل الحق حق في نفسه مهما قل تابعوه وكثر مخالفوه ، فعلى الناس أن يتلصقوا بالحق في البحث الصحيح والنشر الصادق والدليل القوي والبرهان المتعمق بغير نظر إلى ما سوى ذلك من كثرة الاتباع عدداً أو جاهاً أو قوتهم

(ومنها) تعزية المصلحين الذين يقضون الزمن الطويل في الجهاد النضيف والكفاح المضى ثم يرون أنهم بعد ذلك كله لم يظفروا إلا بالمدد القليل من المؤمنين ، وفيه إلى جانب هذه التعزية إرشاد لأصحاب الدعوات أن تكون وجهتهم في التكوين أولاً كيف لا اله والإيمان الصادق بالمبدأ والعقيدة لالعدد الكثير الذي لا يغنى شيئاً ، وهذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط مدة الدعوة في مكة بتخير لها الأكفاء حتى مكث مدة ضويلة ولما يبلغ أصحابه الأربعين ولكن الرجل منهم كان أمة وحده

(ومنها) إرشاد المؤمنين إلى وجوب حيطة إيمانهم بسلامة العمل وبجاهدة النفس وسد الدرائع والبعد عن الشهوات واتباع سبيل الله حتى لا ينتكسروا ويعودوا بعد الإيمان الكامل إلى مرتبة دون هذه المرتبة ، وأكثر ما يكون ذلك إذا قلدوا غيرهم من الأمم وسلكوا سبيل سواهم من لا يدين دينهم ولا يعقيدتهم (يا أيها الذين آمنوا إن تضعوا فريقاً من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن

يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم «
وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن الإيمان لا يكون كاملاً حقيقياً إلا إذا
اعتقد المؤمن أن هذا القرآن حق نزل من عند الله ثم عمل على إنفاذه وجعله
حكماً على نفسه والله أعلم
حسن البناء

الرعوة الى انتقاد المنار

إننا ندعو جميع من يطلع على المنار من أهل العلم والرأى أن يكتبوا إلينا
بما يرون فيه من أخطاء في المسائل العلمية أو ما ينافي مصلحة الأمة ونعد المنتقدين
بنشر كل ما يرسل إلينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون النقد مختصراً
مؤيداً بالدليل نزيه العبارة

ونرجو طامة القراء أن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقاداً للمنار بكتابته
وإرساله إلينا لنشره وإلا أضاع الفائدة على نفسه وعلى الناس وكان قد عصى
لا نتيجة له وهو مالا يرضاه لنفسه محب للمصلحة العامة ، ونسأل الله أن يوفقنا
جميعاً لخير ما يحب ويرضى

نحية المنار

جاءنا - بمناسبة إعادة صدور المنار - قصيدتان فريدتان إحداهما للأخ
المفضل الشيخ أحمد عثمان الشاعر الأديب والثانية لأخيه المفضل المهذب محمود
أفندي عثمان بنى مجد مركز متفلسف تحمل كل منهما نحيبة طاهرة للمنار وحنينيات
طيّبات له في عهده الجديد وثناء مستطاباً على صاحبه الراحل رحمه الله وعلى
الاخوان المسلمين أعانهم الله وكان يسرنا نشرهما لولا كثرة المواد فنعتذر وتقدم
إليهما شاكرين هذا الوفاء جزى الله بنى مجد والاخوان فيها خير الجزاء ،

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب لإجابة على أسئلة المشتركين ونشرها على السائلين بين الله وعباده
وبله وعمله وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو غير ما شاء من الألفاظ
وسنعيب بحسب ترتيب الأسئلة في الورد إن شاء الله والله المستعان

« بين طائفتين من المؤمنين »

(حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف)

سيدي الأستاذ محرم المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فلعلكم قرأتم ما دار من الحوار بين كتاب مجلة الإسلام ومجلة
الهدى النبوي حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف فما وجه
الحق في هذا الخلاف؟ وهل يجوز شرعا أن يتقاذف الفضلاء من المسلمين بهذه
التهمة على صفحات الجرائد السيارة؟ وأن تداع مثل هذه البحوث على الإمامة
وهلا يمكن أن تعملوا على التوفيق بين الفريقين حتى تنصرف القوى إلى
ما يعود على المسلمين بالخير أفيدوا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد حلمي نور الدين

بتنقيش رى الجزيرة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
(١) قرأت ما دار بين الكتاب الفضلاء على صفحات المجلتين المذكورتين
وكثير من حضراتهم أصدقاءنا وطهم يعمل لخدمة الدعوة الإسلامية
ويرجو للمسلمين النهوض من كبوتهم والأقالة من عثرتهم مخلصا من قلبه والحق
أنى أنا شخصا لأفهم معنى لاثارة هذا الموضوع في وقت نحن أحوج ما نكون

فيه إلى الوحدة والتآزر على أحياء تعاليم الاسلام في نفوس المسلمين
إن التفریقين مؤمنان أعمق الايمان بأن ماجاء من هذه الآيات وما صح من
الاحاديث التي تعرضت لصفات البارئ عز وجل كلها حق لا جدال في صدقها
ولا خلاف فقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) و (يد الله فوق أيديهم) وكل
شيء هالك إلا وجهه) (وهو القاهر فوق عباده) وكل ما نحا هذا المنحنى من
الآيات والاحاديث التي تثبت صحتها فنيا كل ذلك موضع إيمان وتصديق
وتسليم من التفریقين كليهما

التفریقان كذلك مؤمنان أعمق الايمان بأن قوله تعالى (ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) كل ذلك حق لا مرية
فيه فلا يشبه البارئ أحدا من خلقه في شيء من صفاته ولا يشبهه أحد من
هؤلاء المخلوق كذلك. وحقيقة ثالثة يؤثر بها التفریقان أيضا وهي أن ذات البارئ
جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشرى الصغير الذى يعجز عن
معرفة حقائق ما حوله من عالم الحس فضلا عن عالم الروح فضلا عن الملائكة الأعلى
فضلا عن ذات الله جل وعلا وصفاته

وأسوق هنا قول شارل ريشيه المدرس بجامعة الطب في فرنسا سابقا
في مقدمة كتاب (الظواهر التنسية)

(لماذا لا نسمع بصوت - رى أن كبر العلم الذى تفخر به الى هذا الحد ليس الا
ادراكا لظواهر الاشياء وأما حقائقها فقفلت ما ولا تقع تحت مداركنا ،
إن حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد هما يفلت من شعورها الوجود كالأفلاك)

بل قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أوتيت من العلم إلا قليلا)
هذه الحقائق المقررة والمسلم بها من الطرفين تحمل الخلاف لامتني له فماذا
على كل منهما لو قال (استوى الله على عرشه استواء تعجز عقولنا عن إدراك
حقيقته مع علمنا بأنه لن يكون كاستواء المخلوق) وبذلك نرد علم الحقائق لله
تبارك وتعالى ونصيب بذلك الحق كل الحق لأن الحق هو أننا في هذا جهلاء
أثم الجهل وماذا علينا لو سلمنا هذه الطريقة في كل ما ورد على هذا النحو (قيد

الله التي ذكرها في كتابه صفة من صفاته تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها مع علمنا التام بأنها لن تكون كأيدينا) وهكذا .

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى الواجب في مثل هذه المعاني ووضع لنا أساس النفاذ فيها فقال (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) فتأمل قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) لتعلم هل لنا أن نخوض ونقيض ، أم أن الرسوخ في العلم أن تقول آمنا به كل من عند ربنا ، ؟

استعراض

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر في عصر الانتقال الاول حين نقلتهم حوادث السياسة والاجتماع من دور الجهاد العملي خلف رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين المهديين من بعده حيث كان هم المسلم إذ ذك أن يؤدي فريضة ربه ويراقب دخيلة نفسه ويقيم من نفسه حارسا يحاسبه على كل عمله ثم يعضى في البلاد مجاهدا في سبيل الله يعرض روحه على الموت في اليوم ألف مرة فلا يظفر إلا بالحياة العزيزة وينشر لواء الله في العالمين حتى يدركه لأجل فيودع الدنيا شهيدا سعيدا حين انتقل المسلمون من هذا الدور إلى دور الاستعمار بظواهر دينام الجديدة والاقبال على تنظيم ملكهم الواسع والاستفادة من ثمار هذه الحضارات والمدنيات التي اتصلوا بها ودخات عليهم آثارها من كل مكن ممرانية واجتماعية وثقافية وعلمية فترجموا العلوم الأجنبية وتوسعوا في البحث فيها ومزجوا كثيرا منها بتعاليم الدين انهمجه انسهل فسلكوا بدينهم مسل كما فلسفيا قياسيا وقد جاءهم فطريا ربانيا نبويا فوق العلوم والفاسفات يخاطب الفطرة من غير وساطة ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه في هذا الدور وفي وسط هذه المعمة انقسم علماء الاسلام الى معسكرين معسكر

يدعو إلى تطبيق نظريات الدين على نظريات الفلسفة والمزج بينهما وبذلك يصطبغ الدين بأراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي وسماحة انمطرة . وتنفيد الفلسفة بقداصة الدين وجلال العقيدة فتزل بذلك عن أخص خصائصها وإنما الفلسفة تكثير دائم متواصل فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه الشك وفيه اليقين والخطأ فيها سلم للاصابة والشك عندها باغت من بواعث الايمان وهذا المسكر أطلق على نفسه أو أطلق الناس عليه القبايا كثيرة فهم أهل الرأي وهم أهل القياس وهم النظار وهم المتكلمون على تفاوت بينهم في هذه الالقاب وفي مدى تطبيق هذه الآراء ومسكر يدعو الى أن يظل الدين بعيدا عن كل هذا ، يؤخذ من منابه الاولى كتاب الله وسنة رسوله ويرجع في بيانه وتفصيله الى الطريقة التي فهمه عليها السلف الصالح رضوان الله عليه وليتناول العقل بعد ذلك ماشاء من البحوث ولتجر الفلسفة على أى غرار شاءت ولتخطئ العلماء الكونيون أو يسميوا ولكن في ثوب ظري بحث قياسي بحث لا يتناول عمق انداس ولا يمس عبادتهم ولا يقرب الحقائق لدينية المقررة المكتملة بتسليم العقل بأصحتها وصدقها - وأطلق هذا المسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة أو أهل الأثر على تفاوت كذلك في هذه الالقاب وفي مدى الأخذ بهذه الفكرة ولا شك أن الحق مع هؤلاء ولا شك أن المسلمين لو سلكوا هذا السبيل ولم يشتغلوا بهذا الجدل ولم يصبغوا فطرة دينهم بهذه الصبغة ودرجوا الى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لكان لهم في ذلك الخير كل الخير ولنجوا من اقسامات وقتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وتوزيع ملكهم ومجدهم ولا شك أن كل عاقل يهمة أن يعود للاسلام بمجده وعظمته الآن يدعو المسلمين الى الأخذ بهذا الرأي وهو مانع من عليه وتدعو اليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وقبته كان الأخذ والرد والجذب والشد قويا غنيا بين التريقين منذ نهم قرن هذا الخلاف وأنت خير بأن خلافا كهذا في صدر الاسلام أو قريبا منه ، ولما يعض على المسلمين بعد فيهم ﷺ أكثر من قرن من الزمان وهو يتصل بالعقيدة

وهو أغلى ما يدافع عنه الانسان لابد أن يصحبه من مظاهر العنف الشيء الكثير وذلك ما كان قد تنازع الفريقان بالالتقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة ورمى بعضهم بعضاً بأعظم ما يتصور من التهم ، واستخدمت في ذلك الإلفاظ المنيرة

فأهل الرأي والنظر — جبهة معطاة مؤولون حشوية زنادقة لا يعرفون لهم ربا ولا يثبتون له صفة. وأهل الحديث والآثر — مشهون مجسمون جامدون متمسبون لا يزهون الله ولا يقدررون عظمته قدرها وينفعونه في صف خلقه وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة وألفت كتب وانتصر كل فريق رأيه وبدأت الحدة في كل ما قيل وما ألفت ، لأن تلك طبيعة الموقف ومقتضيات الخلاف

كأن ذلك في هذا الدور الذي ذكرت لك ثم نقلت إلينا نحن الآن بعض هذه الآثار والحال غير الحال والموقف غير الموقف والفرق غير الفرق ليس فيما أهل رأي وأهل حديث — وأنا أعلم أن هذا الحكم قد يكون محل خلاف بيني وبين بعض القارئین فهام يرون فريقين ينتصر كل منهما لفريق فامعنى هذا التناقض ؟

ولسكنى تؤكد حضرات القراء أن طبيعة هذا العصر غير طبيعة العصر الذي شجر فيه هذا الخلاف بين المسلمين وأن المشاكل والأفكار التي تشغلنا الآن غير تلك المشاكل والأفكار — وأن الخلاف في هذه المسائل محصور في نطاق لا يكاد يذكر في بعض المجالس وفي جدران بعض الميئات ، حتى الأزهر نفسه وتلك مهمته مشغول عن هذا الخلاف

الامة الآن معسكرات مختلفة لكل معسكر فكرته التي يدعو إليها وينادى بها فهناك المعسكر الذي يدعو إلى الاندفاع وراء الأفكار والمظاهر الغربية في كل شيء ، وهناك المعسكر الذي ينير المعنى القومي وحده في النفوس ويريد أن يجعله أساساً للنهوض وهناك المعسكر الذي يأخذ بأعناق الناس وجهوده إلى المسائل السياسية البهجة التي يراد بها استقرار الحكم في الداخل وحفظ الكرامة

في الخارج ولا يعنيه إلا هذا وهناك معسكرات غير هذه ومن وراء ذلك كاه
معسكر محمدى قرآنى يهيب بكل هؤلاء إن الاسلام يكفل لكم من السعادة
والقوة كل ما تريدون فلهوا إليه

أريد أن أصل من هذا الاستطراد إلى تيجتين . الأولى . أننا ليس بيننا
في حقيقة الأمر خلاف كالذى كان بين الفلاسفة والفقهاء في القديم فلا معنى
لأحياء هذا الخلاف من جديد ، ولا معنى للاحتجاج كذلك بما قال هؤلاء
وأولئك وأولى لنا جميعاً أن نترك ذلك الدور بما كتب فيه وما كان من أهله في
ذمة التاريخ ونرجع جميعاً في ديننا إلى المعين الأصلى الذى مازال وسيظل صافياً
قريباً لا تنكدره الحوادث ولا ينال منه الزمن ولا يزعه الخلاف ذلك هو كتاب
الله وسنة رسوله الصحيحة صلى الله عليه وسلم

(والثانية) أن نتصرف في صف مؤمن قوى موحد إلى معالجة مشاكل
عصرنا ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله وتقوية معسكرنا معشر
النادين بالاسلام فوق كل المعسكرات حتى يكون له النفوذ الفكرى والعمل ،
فيعود للاسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال
وبعد — فذلك رأيي أيها السائل في موضع الخلاف

٢ — أما هل يجوز للتريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد
السيارة وأن تذاغ هذه البحوث على العامة فذلك مالا أقرهما عليه ولا أوافقهما
فيه ، وفي لين القول وحسن الخطاب مندوحة وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن
تكون بين أهل العلم في حلقتهم الخاصة ومجالسهم المحصورة ، وأذكر التريقين
بما رواه البخارى في صحيحه عن على كرم الله وجهه « حدثنا الناس بما يعرفون
أحجبون أن يكذب الله ورسوله »

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما أنت بمحدث قومنا حديثاً
لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » فإن كان ولا بد من الكلام في هذه المباحث
فليكن ذلك في قول لين وفي بحث هادئ حتى لا تسرى عدوى الخلاف واتهمات
من الخاصة إلى العوام وفي ذلك فساد كبير كما هو مشاهد في البلاد التي تشتد

فيها المصيبة لبعض الآراء - أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح وأن دين الله تبارك وتعالى جلي واضح لا خفاء فيه ولا يليق أن يكتم فيه شيء عن جميع الناس وبأن هذه خصومة في الحق وهي جائزة وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة وهذا هو الدفاع عن دينه وهو واجب وهذا من الجهاد بالقول والقيام والتمسك به إثم فكيف يراد منا بعد هذا أن نصرف إلى إصلاح جزئي والعقيدة فاسدة وكيف يراد منا أن نجعل هذا الكلام خاصا ودين الله عام للناس جميعا

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احتسب أيها الأخ من خداع الألفاظ ومزلق الأسماء - فالعقيدة شيء، والخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لإنسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر - وأحكم الدين التي هي عامة للناس جميعا شيء، والأسباب التي تؤدي به وتقدم للناس شيء غيرها - والخصومة والغضب للدين شيء - وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شيء ثان ولم لا يكون هذا من الجدل المنهي عنه ومن المراء الذي أغضب رسول الله أشد الغضب على المتهازين حتى جعله يقول:

(١) «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ:» ماض بوجه

لئلا جدلا» رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح

(٢) ويقول «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو حق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها» رواه أبو داود والترمذي والبيهقي وغيرهم وحسنه الترمذي

(٣) وروى الطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا جلوسا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما تلقأ في وجهه حب الزمان فقال: ما هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» «٤» وعن أبي الدرداء واثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم قالوا: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتماهى في شيء من أمر الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ثم اتهمنا فقال صلا يا أمة محمد

انما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فان الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى انما ألا تزال مباريا ، ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فاننا زعيم بثلاثة آيات في الجنة في رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فان أول ما نهانى عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء « رواه الطبراني في الكبير أيضاً وقد يقال : إذ المراء شئ وما نحن فيه شئ آخر فاقول : إن لم يكن فهو نوع منه ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه واتفاء الشبهات استبراء للدين والورع أن ندع ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما فيه بأس فهل بعد ذلك مذهب لذهاب أيها الاخوان » ٣ « وأما العمل على التوفيق بين التريقين فتعما هو وما أحبه الى النفس وما أعظم فائدته وإنا لمحاولون ذلك ان شاء الله وأعتقد أن كثيرا من المختلفين لو اتقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التجاور الكتابي الى طريقة التفاهم الشفهي لانتج هذا انتمارف خيرا كثيرا ولأدى إلى حل كثير من الخلافات في هدوء وفي توفير للوقت والمجهود وحينئذ يستطيع كل رئيس جماعة أن يتقدم إلى جماعة برأى مرحد أو بكرة عامة فيؤدى ذلك الى الوحدة المنشودة ان شاء الله وسنترقب الفرصة المناسبة لمثل هذا الاجتماع فنعمل على تحقيقه ان شاء الله والله حسبنا ونعم الوكيل .

حسن البنا

من هم الاخوان المسلمون ؟

وسائل من هم الاخوان ؟ هم فئة	باعوا النفوس لباريها عزيزات
هم غصبة ضمرت لله - وورثها	فأرسلوها لظي للغاصب العاني
هم ثورة حميت في الحق جذوتها	فجاهدت باطلاجم الكتيبات
هم فيلق من جنود الله قد حملوا	لواءه فقدوا نور الدجئات
عزت أخوتهم في الله فانتقطت	من المرائر أسباب الخلافات
يوجدون قلوب المؤمنين لكي	تزداد أمتهم بالله قوات
حتى إذا استمسكت أوصالها وغدا	بنيانها محكما صلب العلاقات
تقدموها إلى اليوم الرهيب وللقر	آن في يدهم لمع المضئيات

عن ديوان البواكير لعابدين

نشأة المنار والحاجة إليه

لمستأذ عبر الله أمين

المدرس بـ مدرسة المعلمين بعبد العزيز بالقاهرة

(١) حال العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار (٢) حال الدين الاسلامي قبيل ظهور المنار (٣) دعاة اصلاح قبيل ظهور المنار (٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار (٥) البواعث التي بعثت حاجته على اصداره (٦) وجهة تدح المنار في تحريره للمنار (٧) بقاء البواعث على اصدار المنار (٨) المجالات الدينية التي كان لها محل عمل المنار ومنزلتها (٩) حياة المنار ولو نصف حياة غير من موته (١٠) محاولة لحياء المنار (١١) محاولة جديدة لحيائه مرة أخرى

(١) حال العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار

كان العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار لأربعين سنة هجرية خلت بهم في ليل دامن وظلام طامس من الضعف والاضمحلال في حياته العلمية والفنية والأدبية وفي مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية وفي نظمها الاجتماعية والمنزلية والحكومية وفي تقاليد وعاداته وآدابها وفي أخلاقه وعقائده وشهائره الدينية وكان يرسف في قيود الاستبداد والاضلال والاستعباد وقد قطعت السياسة والمذاهب الدينية أوامر شعوبه فتنفروا طرائق وتمزقوا حذائق وبسط الأجانب عليهم سلطانهم الاقتصادي والأدبي والعلمي والفني والسياسي ، وأصبحوا عبيداً أرقاء بعد أن كانوا سادة أعزاء .

(٢) حال الدين الاسلامي قبيل ظهور المنار

وكان الدين الاسلامي نفسه مبتلى بشر المحن وأقساها (١) منها البدع والخرافات والالوهام والضلالات التي ابتدعها المسلمون بالاستحسان والاستقباح

على مثال ماورثوه عن آبائهم السابقين الاقدمين فقيرت مظاهره وحجبت أنواره وكانت شراً عليه من كل شر إذ تفرقت منه كثيراً من أنصاره وأعانت عليه كثيراً من أعدائه (٢١) ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين حكموا عليه ظلماً وعدواناً بأنه دين تأخر وانحطاط لتأخر المسلمين واضمحلالهم ، والحقيقة أنه دين قوة ورفعة وعزة وما ابتلى المسلمون بالضعف ولا ضمحلال إلا لانحرافهم عنه وتنكبيهم سبيله القويم وصراطه المستقيم (٣) ومنها حرب المبشرين بالمسيحية الذين تؤيدهم دول الاستعمار العاتية القوية بساستها ويخزونها وبأموالها لأن الاسلام وهو دين سيادة وعزة أكبر عائق لهم عن الاستعمار (٤) ومنها قعود علمائه حينئذ عن رد المطاعن والشبهات عنه وعن تحريره من البدع والخرافات بل ومشاركتهم العامة في كثير منها (٥) ومنها شبهات الملحدين الخارجين على الأديان وهؤلاء منهم الجاهل الذي غلبته شهوته وشقوته وسئم قيود الدين وتكاليفه فأخذ يحاربه لينخلص منه ومنهم المفتون بأمور ظنية في العلوم يخيل اليه أنها لا تجتمع هي والدين علي حين أنها لو بصارت يقينية ما زعزعت أركان الدين .

(٣) دعاة الإصلاح قبل ظهور النار

وفي هذا الظلام الحالك وفي إبان هذا النوم العميق الذي يشبه الموت تألق في سماء العالم الاسلامي قمر الاسلام النير حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغانى ثم ما لبث أن تلاّأ بجانبه نجم الاسلام الناقب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المعمرى وأخذوا يجاهدان أعظم جهاد في حرب الاستبداد والمستبدين والاستعمار والمستعمرين والضلالات والمضلين والقلة والغافلين ويهزان العالم بصورتيهما على المنابر وفي مجلة العروة الوثقى حتى انقشع الظلام واستيقظ النيام ودُعر المستعمرون والمستبدون وأيقنوا أن للاسلام نوراً لا يطفأ وحى لا يوطأ وحياة غلايين لا تلتين لهم قناة ولا تهزم لهم كتيبة :

فان نعلب فغلابون قدما وإن نعلب فقير مغلوبينا

(٤) صاحب النار قبيل ظهور النار

وكان السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه حينئذ عالماً ناشئاً قياً غيوراً متحمساً شجاعاً حاد الذهن كثير العلم والأدب سليم الفطرة لم يبتل بما ابتلى به أمثاله من التورط في الضلال والخطيئ ، بل نشأ محباً للإصلاح بصيراً به والحاجة إليه ، وأخذ يحول ويصول في ميدانه بسوريا جولات صادقات وما بلغت دعوة الامامين الحكيمين الإصلاحية إلا ملكت عليه قلبه وعقله جميعاً إذ كانت هي ضالته المنشودة فأطاع بعدها صبراً على السكوت وأخذ ينظر عينا وشملاً فلا يجد للعالم الاسلامي كله صحيفة إسلامية إصلاحية بعد مجلة العروة الوثقى .

(٥) البواعث التي بعثت صاحبه على إصداره

فكانت كل هذه الأمور مجتمعة وهي ما انتاب العالم الاسلامي من اضمحلال وما أصاب الاسلام من عدوان خصومه وخذلان أنصاره ، وقيام الامامين الحكيمين بالدعوة إلى الإصلاح وما فطر عليه السيد الامام صاحب النار من الغيرة على الاسلام وما تعلق به من حب الإصلاح كانت هذه الأمور هي البواعث التي دفعت صاحب النار إلى القدوم إلى مصر وكانت تزدان حينئذ بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ونور ضريحه ، وكانت أكفـل للحرية وأخصب للدعوة وأرحب صدرأ من سوريا وإلى انشاء النار فيها وموافقة رغبته واجتهاده في تحريره ونشره حوالي أربعين سنة هجرية لم تقتر له فيها همة ولم تلق له فيها فناء ولم يثن له عزم حتى أتى ربه راضياً مرضياً

(٦) وجهة صاحب النار في تحريره النار .

ولما كان الاضمحلال الذي أحاط بالمسلمين من كل جانب وليد فساد أخلاقهم وعقائدهم وكان فساد أخلاقهم وعقائدهم وليد انحرافهم عن أصل دينهم وكان

الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لما كان كل ذلك مالمبث جهد السيد
الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه أن انصرف كله الى رد المسلمين إلى أصل
دينهم لتصلح بذلك عقائدهم وأخلاقهم وبصلاح عقائدهم وأخلاقهم تصلح كل
أمورهم الدينية والدنيوية .

وذلك الإصلاح لا يكون إلا باشهار حرب عوان على الفساد والفسدين والبدع
والمبتدعين والالحاد والملحدون والمشتبهات والمشتبه عليهم وسد أبوابها على المسلمين
بالاعتماد في بيان أحكام الدين وفوائده على الكتاب والسنة وعلى تأويل الأئمة
المجتهدين وعلى نقد ما خالف الكتاب والسنة من تأويلاتهم وتأويل غيرهم وبما
فتح الله له من أبواب الفهم السديد الصائب المنقطع النظير فأبلى في هذه الحرب
بلاء عظيماً ولبت يجاهد فيها كل هذا الزمن الطويل ولقى فيها عنتاً وأذى كثيرين
فما وهن ولا استكان حتى استشهد في ميدان الجهاد بعد أن أصدر من النار أربعاً
وثلاثين مجلدة وجزءاً من المجلدة الخامسة والثلاثين ، وليس بجانبه صحيفة
واحدة إسلامية إصلاحية تشدد أزره وتشركه في أمره وبعد أن انتصر على
أعدائهم لا ابتداءً والالحاد والهدم وبعد أن أصبح النار أداة لاغنى عنها للدفع
عن الإسلام والمسلمين وحمايتهم من عدوان المعتدين .

(٧) بقاء البواعث على إصدار النار

فإذا كان الامام السيد محمد رشيد صاحب النار رضى الله عنه وأرضاه قد
مات فهل ماتت بعمرته الحاجة إلى النار ؟ هل ماتت البدع ومات المبتدعون ؟
هل ماتت الإلحاد والملحدون ؟ وهل ماتت المشتبهات ومات المشتبه عليهم ؟
وهل ماتت الرذائل والمنكرات ومات أنصارهما ؟ كلا . ماتت هؤلاء ولا
هؤلاء بل لا يزالون أحياء يحاربون الله ورسوله والإسلام والمسلمين وما ماتت
البدع والمنكرات وغيرها بل لا تزال في تناسل وتكاثر ونماء وقوة فلم يكن
لدولة المنكر في أي عصر مضى من الأعوان الأقوياء الأجزاء المستغربين مثل
ما لها الآن .

أكان للخمر والملاهي من الأنصار ومن الموائد والأندية والحفلات والمنازل

والدعاية الطويلة العريضة في الصحف على اختلاف ألوانها ومنازعها - إلا القليل النادر منها - مثل مالها الآن ؟ أكان تهتك النساء وفجورهن من مظاهر الخياله والمسارح والشواطىء وغيرها مثل مالها الآن ؟ كانت الصحف - إلا القليل منها - لا تصدر إلا إذا فخرت وتاهت بتحلية صدورها بصور العاريات الخليعات من النساء القواجر ؟ أكانت دُرر الخيالة تملأ الرحب من الارض وتعرض فيها مثل ما يمرض الآن ؟ من مناظر مغرية بالنسق والفجور وارتركب عظام الامور كما انتشرت الآن ؟ أكانت الصحف تتبارى وتتنافس في الدعاية الطويلة العريضة للمملات كما تفعل الآن ؟ ألم يكن كل ذلك وما هو شر من ذلك آلاف المرات في حاجة إلى صحيفة كصحيفة المنار

(٨) المجلات الدينية التي يظن أنها تحل محل المنار ومنزلتها منه .

ليس في العالم الاسلامى كله مجلة إصلاحية يظن أنها تحل محل مجلة المنار إلا مجلة الأزهر وهذه لسوء الحظ - قبل عهد مولانا الاستاذ الامام المصاح الشيخ محمد مصطفى المراغى - كانت حرباً على المنار لا عوناً له ثم هي الآن لا تنفى عنه لأنها مرآة صادقة لمعهد لا يزال في طور انتقال من عهد اضمحل ماضى عليه قرون الى عهد قوة ورفعة يسعى مولانا الاستاذ الامام المصاح الشيخ المراغى فهمي مجلة رسمية وفي عهد انتقال لا قبل لها بالحرية المطلقة التي لمجلة المنار المطلقة من كل قيد إلا قيود الكتاب والسنة ، ولو قدر لمجلة الأزهر والمنار في عهدهما الحديث أن تكونا فرسى رهان في نصرة الإصلاح الدينى والاجتماعى ما كانتا كبيرتين على العالم الاسلامى بل ولا عشرات المجلات من نوعهما فأهلا وسهلاً بهما .

(٩) المسئولون عن إصدار المنار

وإذن لم يكن العالم الاسلامى ولا الاسلام نفسه في غنى عن المنار فإن المسئول عن إصداره وأحيائه هم أنصاره وأحباؤه فقد أصبح أمانة في أعناقهم ودون غيرهم من المسلمين لا تبرأ ذمتهم منه إلا إذا أحسنوا القيام عليه وأصدروه فإذا قام

بذلك ولو واحد منهم فقد سقط عن الباقيين لانه من فروض الكفاية . وإن صاحب النار ومناره فينا كرجل قوى البنية مفتول الساعدين حفر لنا بئراً عذبا ماؤها وليس لنا ما نستقي منه غيرها وبقي طوال حياته يخرج لنا ماءها بسواءه أفن مات طمنا البئر وحططنا الدلاء وأمسكنا عن الاستقاء حتى تموت عطشنا لأننا لا نجد فينا رجلاً مثله قوة جسم وقوة إرادة وعزيمة أم يجب علينا حفظاً لحياتنا أن نحرم كل الحرص علي سلامة البئر وأن نتعاون على إخراج مائها والارتواء به

١٠ حياة النار ولو نصف حياة خير من موته

يقول بعض الأنصار إن النار محلة ذاتية حيث بخياة صاحبها الذي استقل بنحريها حوالى أربعين سنة هجرة نسجها فيها على منزلته وصنغها بصفتها وقدها على مثاله فأصبحت لا تصلح لغيره ولا يصلح لها أحد من بعده فلا بد أن تموت بموته ويجب أن ندعها تموت . وهذا ليس من النطق السليم في شيء إذ أن الحياة ولو كانت ناقصة خير من الموت فأن الأطباء لا يمكن أن يدعوا إنساناً فقد بعض أعضائه أو كسرهما يموت وفي إبقائه أمل حتى ينقذوه ولو كانت حياته بعد ذلك شراله ولآله من موته فكيف ندع النار صحيفة العالم الاسلامي يموت ونحن موقنون أن في حياته خيراً محققاً لا شيء إلا لأن هذا الخير دون ما كان له من الخير في حياة منشئه رضى الله عنه وأرضاه ؟ كيف ندعه يموت على مرأى ومسمع من العالم الاسلامي وفيه من يستطيع أن يحياه ولو بعض الحياة كيف ندعه يموت وقد سن له صاحبه طريق الحياة من بعده إذ فتح في العدد الاخير من المجلدة الرابعة والثلاثين وهي آخر المجلدات أبواباً جديدة له ودعا إلى الكتابة فيها أنصاره ؟ وفي مصر وحدها مئات التقادرين على الكتابة في هذه الأبواب باتقان وإجادة

١١ محاولة لإحياء المنار

لن يموت المنار ولن ينسى إن شاء الله تعالى مادام وراءه أنصاره ومحبيه ، ولقد حاولت دار المنار جاهدة إحياء المنار وعهدت بذلك إلى حضرة السيد محي الدين رضا ابن أخى الفقيد العزيز والمحرم في المقطم الاغر غير أن هذه المحاولة كانت عميرة لأن المنار أصعب من أن ينهض به إنسان واحد كالسيد محي الدين أفندي ليس في جهده ولا في ماله ولا في أوقاته فضل ينفعه في إحياء المنار وإصداره ، ولذلك لم يلبث أن مات مرة أخرى

١٢ محاولة جديدة لإحياء المنار مرة أخرى

ولقد مرت الدار مروراً عظيماً حينما تقدمت جماعة الاخوان المسلمين وعلى رأسها الأستاذ الكبير حسن البنا طالبة منها أن تتولى إصدار المنار وذلك لما تعهدوا في هذه الجماعة من الاخلاص والجد في خدمة الدين والتفضيلة وما تنوعمه فيها من القدرة على إصدار المنار إن شاء الله تعالى في ثوب قشيب نافع وماتوهم من استمرار صدوره

وإني لأرجو وقد حي المنار ومات ثم حي ومات - أن يحيا إن شاء الله تعالى هذه المرة وألا يموت بعدها أبداً وأن يثبت الله سبحانه وتعالى أقدام جماعة الاخوان المسلمين ويهديهم وإيانا سبل الرشاد وأن يوفقهم لأصلح الأعمال ويقدرهم على إصدار المنار ونشره وعلى إيقائه حياً أبداً الزهر إنه مسموع مجيب -

عبد الله أمين

موقف العالم الاسلامي السياسي اليوم

وواجب أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وحكوماتهم

نشبت الحرب الماضية والعالم الاسلامي كله منضو تحت اللواء التركي مستظل بظل الخلافة العثمانية إلا بعض أجزاء اقتطعتها يد المطامع السياسية الغربية من قبل

كانت مصر تحت الاحتلال البريطاني ثم صارت باعلان الحرب تحت الحماية وخاضت البلاد العربية ميادين القتال إلى جانب الحلفاء تصديقا لوعودهم واتخذاها بالاماني المسؤولة التي وضعوها أمام الأمة العربية

ولسنا بصدد اللوم أو العتاب أو تحديد مسؤولية الخطيء والمصيب في هذا كله فقد ذهبت تلك الأيام بما كان فيها وصارت مواقف الرجال والامم في ذمة التاريخ يحكم لها أو عليها

وانجلى نلك الحرب وويل للمغلوب وغلبت تركيا على أمرها وصلبت حق سيادتها على الولايات التابعة لها

وهنا نهضت الشعوب الاسلامية تجاهد وتكافح وتناضل وتطالب بحقوقها في الحياة العزيزة المرة الكريمة

كانت ثورة الكماليين على أرض الاناضول وانتهت بتشكوين تركيا الحديثة هداها الله وألهمها الرشد

وكانت الثورة المصرية في وادي النيل وانتهت بمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ التي حققت جزءاً ضئيلاً جداً من الاماني المصرية ولا زالت مصر تكافح لاستكمال الباقي .

وكانت الثورة العراقية وانتهت بالمعاهدة العراقية الانجليزية التي حققت كذلك جزءاً من الاماني العراقية ومكنت العراق من السير سريعاً إلى استكمال مابقى

واستولى الملك عبد العزيز آل سعود على الحجاز وضمه إلى نجد وكون
منهما المملكة العربية السعودية

وكاغت سورية وناضلت وكاد يتم بينها وبين فرنسا عهد وميثاق كالذي تم
في مصر والعراق مثلاً لولا أن فرنسا نسكت عهدها بعد أن وثقتة وقلبت
للسوريين ظهر المجن ولا زالت في موقفها هذا إلى الآن

وتمعدت قضية فلسطين ونشبت فيها الثورات تباها ولم يفاع ذهب اليهود
ولا خداع الانكليز في تضليل الشعب الفلسطيني الباسل وصرفه عن أهدافه
الحقة وعن المطالبة باستقلاله الكامل في أرض الآباء والأجداد التي رواها دم
الصعابة الطاهر فأثبتت أولئك الأحفاد البررة

واستمرت طرابلس ثائرة على الحكم الايطالي انظام حتى نبض على المجاهد
المؤمن السيد عمر المختار وضيق الخناق على المجاهدين فقتل من قتل ونفى من
نفي ، وانتهى كل ذلك بأن أعلنت إيطاليا تجنيس دارايس بالانسية الطليانية
وقدقتها بسيل من المهاجرين الطيوان ياتهم الأخضر واليابس

وقامت ثورات في بعض جهات من هذا الوطن للمتمرد على الظلم والجور كان
من أظهرها ثورة الريف المغربي بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم ، وانهت
كلها بتشديد الضغط على خناق الأحرار والعاملين

هذا بسط موجز لموقف العالم الاسلامي من نفسه ومن غيره من الأمم
التي ظلمته وتدخلت في شأنه واستبدت بأمره واغتصبت حقوقه إلى الآن

اختل التوازن الأوربي وجرت الأحداث سرا ما تسابق الدقائق والساعات
وتغير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات ، وانجلى تلك الغمرة عن وجود
معسكرين قوين في أوروبا معسكر المحور ويضم ألمانيا وإيطاليا ومن لف لهما
من دوليات أوروبا ومن ورأهما اليابان في الشرق ، ومعسكر الدول الديمقراطية
ويضم إنجلترا وفرنسا ومن تبعهما من دول أوروبا ومن ورأهما أمريكا في
القارة الجديدة

وحرب الدعاية والكتابة والترصص والأعصاب كما يقولون قائمة على أشدها بين الفريقين ، وكل منهما يتودد إلى العالم العربي والاسلامي ويود أن يكسبه إلى جانبه فذلك هو الذي يرجح إحدى الكفتين على الأخرى في آسيا وإفريقية على الأقل ، وإذا رجحت الكفة في هاتين فقد رجحت في أوربة كذلك

إن دول الشرق الاسلامي قضت عليها الحوادث والظروف الماضية والحاضرة أن تتصل بالدول الديمقراطية وأن تكون إلى جانبها وأن يرتبط مستقبلها بمستقبل هذه إلى حد كبير - هذا الوضع إلى جانب المحسومة القائمة بين المعسكرين في أوربا كان يجب أن يجعل الدول الديمقراطية تسارع إلى اكتساب مودة العرب والمسلمين اكتساباً نهائياً وأن تسد الطريق على غيرها إلى ذلك الود ، وذلك في وسعها ولا يكلفها عناء ولا غنتابل لا يسكتها إلا أن تحق الحق وتعترف به لأهلها ، وتبطل الباطل وتقاوم الدين يريدونها عليه فهل فعلت هذا ؟

المعجب أن الدوائين الديمقراطيتين إنجلترا وفرنسا فعلتا عكسه تماماً كأنهما تنحديان بذوق شعور العرب والمسلمين في كل أنحاء الأرض ، فأما فرنسا فقد أساءت إلى سورية أبلغ الاساءة ففصلت عنها الاسكندرونة وقدمتها إلى تركيا رغم الصرخات المالية والاحتجاجات الكثيرة والأغلبية العربية في هذا اللواء . وتكررت لسورية مرة أخرى فعدلت عن إبرام المعاهدة واستبدت بالأمر في داخلية البلاد استبداداً أدى إلى استمعاء الوزارة عدة مرات ، وتمذير قيامها بمهمة الحكم ثم أدى أخيراً إلى استقالة رئيس الجمهورية ، وهذا نص استقالته التي رفعها لمجلس النواب السوري

« إلى رئاسة المجلس النيابي السوري الفخيمة »

« منحني مجلسكم الكريم تقه وانتخبني ، في أول جلسة عقدها ، لرئاسة الجمهورية على أثر عقد المعاهدة وإقامة الصلوات بين فرنسا وسوريا على قواعد التحالف والمودة ، وذلك لادراك هذه الأمة للغاية الشريفة التي تسعى إليها من الاستقلال والسيادة القومية . وقد تماقبت حكومات في سوريا وأخذت تبذل

قصارى جهدها في سبيل إبرام العهد المقطوع والميثاق المفقود واثقة بأنه ينطوي على الخطة الوحيدة التي تعزز جانب الوطن السوري وترفع من شأنه كما توثق الروابط بينه وبين الجمهورية الفرنسية حتى يسود علائقهما جو من الصفاء والاخلاص وحتى تقوى هذه البلاد على مقابلة الاحداث وصد الاطماع . غير أن الجهود التي بذلت لم تسفر عن نتيجة برغم الوعود الرسمية الصادرة من رجال الوزارات التي تعاقبت في فرنسا منذ سنة ١٩٣٦ إلى الآن فذهبت ضياعاً تلك الآمال التي توجهنا بها إلى سياسة التحالف والتضامن وشهدنا العودة إلى أساليب قديمة وتجارب جديدة تناقض ما تعاهدنا عليه ودخلنا الحكم على أساسه . على أن حوادث الماضي وقرائن الحاضر لا تترك مجالاً للشك في أن هذه الخطط التي يراد اتباعها واستئناف العمل بها تؤدي إلى استمرار المشاكل والخلافات، كما أنها تضعف كيان هذه البلاد وتوهن قواها وتهدد استقلالها

ولذلك لا أرى بدا من الاستقالة من المنصب الذي عهدت إلينا في القيام به وتحمل أعبائه راجياً أن يكون في الأيام المقبلة ما يخفف عنها الآلام والعناء وتحقق ما تصبو اليه من الكرامة والمجد »

وقد عرضت الاستقالة على المجلس فأقرها ودعا الوزارة إلى الاجتماع فاجتمعت وقررت القيام بأعباء الحكم ولكن الندوب السامية تحداها في هذا فأصدر قراراً بتدخل السلطة الفرنسية فوراً وتعطيل الدستور ومجلس الوزراء وعين مجلساً يتولى السلطة باسم فرنسا وهذا نص قراره

« قد نشأ عن استقالة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية في سوريا فقدان تام للسلطة التنفيذية . مما يجعل تدخل الدولة المنتدبة تدخلاً فورياً أمراً لا بد منه ، وفي هذه الحالة ترى الدولة المنتدبة نفسها مضطرة الى وقف تنفيذ الدستور فيما يتعلق بالسلطين التنفيذية والتشريعية . والنظر في نظام مؤقت يمكن من إدارة البلاد ادارة منظمة طبيعية .

بناء على ذلك قرر المفوض السامي أن يعهد في السلطة التنفيذية - تحت مراقبته - الى مجلس مؤلف من مديري مختلف المصالح الوطنية برئاسة مدير الداخلية ، ويؤلف مجلس المديرين بقرار من الندوب السامية ويجوز له أن يتخذ

قرارات بتعيين الموظفين الملكيين ، ويجوز له بناء على رأى المجلس أن يصدر مراسيم لها مفعول القوانين ولا سيما في الشؤون المتعلقة بالميزانية . وتتخذ المراسيم التشريعية بعد موافقة المندوب السامي التي تجعلها نافذة .»

هذا هو موقف فرنسا في سورية فما موقفها في بقية مستعمراتها الاسلامية فعلى ما كان عليه من عسف وجور ونفى للاحرار وتعذيب للوطنيين وهؤلاء شباب المغرب وعلى رأسهم الآن محمد بن عبد الكريم لازالوا في أعماق المناق والسجون وأما إنجلترا فقد أخذت تتلون كالحرباء في حل قضية فلسطين وانتهى مجهودها وخذاعها باصدار الكتاب الابيض الذي لم يرض أحدا من الأمم الاسلامية حتى ان واحدة من الحكومات لم تشأ أن تتورط في التوسط لدى عرب فلسطين الباسلين لقبوله

ولم تكف بهذا بل أخذت جنودها تهاجم اليمن وتحتل أرسا يمانية بخنة كإقليم شبوه وتدعى على لسان شطات الاذاعة فيها أنها ضمن منطقة عدن المحتلة مما أدى الى احتجاج جلالة الامام لدى ملك إنجلترا احتجاجا صارخا هذا نصه :

« من ملك اليمن الامام يحيى الى صاحب الجلالة الملك الامبراطور جورج السادس المعظم بلندن .

بعد تقديم وتأكيد الاخلاص والتعظيمات لذات عظمتكم أعرض لجلالتكم تأثراتي العظيمة من اذاعات راديو لندن باللسان الرسمي الحكومي وادعائها أن شبوه ومناطقها داخلية في الاراضى العدينية المحتلة مستندة في ذلك الى معاهدة سنة ١٩٤٠ (كذا من أصل البرقية)

وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقا بشأن شبوه ومناطقها كلها وأنه لم يكن لاحد شأن فيها في أي وقت كان لا من قبل ولا من بعد ، وكنت رجوت من عدالة جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من عدن للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهذا الخصوص بين عدن واليمن فان ادعاء عدن بشبوه ومنطقتها مخالف لكل الوقائع وعار عن كل اثبات . فحكومتى مجبورة للاحتجاج ولا يمكن لليمن السكوت عن عمل مغاير للحق ومخالف للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن شيوخه ومنطقتهما يمانية منذ خلق العالم الى اليوم ، وسيطرة اليمن لم تزل عليها ولا هي افرقت يوماً واحداً عن أمها اليمن . وكل قرار غير شرعي بشأنها زرده بلا شك . ولم تتعبد اليمن لدولة ولا لشخص بان تسلمه حقوقها ومملكتها وهل يمكن ، يا صاحب الجلالة ، بيع أو اهداء أي أرض أو زراعة معين لا يصح تصرفه فيها ؟ ومن المعلوم أن العثمانيين وغيرهم لم يدخلوا شيوخه ومنطقته فلم يتصرفوا بشيء فيها ومنها . ودخل من المقبول والمقبول الطالبة بهدية تقدم من مالكمها ؟ ومن المعلوم أن جدنا الامام الهادي هو الذي هجر الجصون قبل ألف سنة وأن سلفنا الامام أقام في شيوخه . فنحن متسلطون في شيوخه ، وسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة اخوانهم بني جابر .

وفي سنة ١٩١٤ ابتدأت الحرب العامة وتحاربت انجلترا مع العثمانيين . ولم يبق للدولة العثمانية وجود في العالم . وأما تركيا الحاضرة فلم تصل الى اليمن ولم تعمل لليمن شيئاً فهل يمكن ، يا صاحب الجلالة ، أن تميز القوانين الشرعية والدنية العالمية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة واغتصابها ؟ .

وهل يستطيع أي غني كان أن يرضى بتسليم أرض أجداده التي حافظوا عليها الى هذا اليوم بدمائهم وجهودهم . فارجو من عدالتكم ، يا صاحب الجلالة ، أن تنظروا الى الأمر بعين العدل . ومعلوم لجلالتكم أن عرشكم العالي وحكومتمكم الجليلة عقدا برضاها وطلبهما معاهدة الوداد والصداقة مع اليمن .

وتصرح المادة الثالثة من هذه المعاهدة بأنه لا يجوز أن يتبدل أي حال بين عدن وبين اليمن الا بالاتفاق بين الطرفين ورضائهما وموافقتهما بالطرق الودية ، وأن تبقى الحالة التي كانت قائمة في تاريخ عقد المعاهدة نافذة المفعول فهل ، يا صاحب الجلالة ، يرضى عدلكم وهل ترضى القوانين الدولية والحقوق السياسية والانسانية بمد تلك المعاهدة والشروط المذكورة الودية وبعد مرور ست سنوات من عهدها أن يمتد على شيء من أرضنا وحقوقنا الطبيعية وهل يمكن موافقتكم على هذه الاعتداءات والتجاوزات ؟

وإني بكامل احترامي وتعظيمي لذات جلالته المفضة وبتمام تقديرى لحكومة

جلالتكم السنية ولشعبكم النصف الكريم أرجو من جلالكم تحقيق وتديق هذه المعاملة واصدار أوامركم المعادلة الى من يلزم بان يتفضلوا باحترام حقوقنا وشعبنا بلا جرح قلوب أمتنا وبلا استعقار أصدقاكم البهين الذين هم ثابتون حالاً ومستقبلاً في صداقتكم ، وبأن لا يكون أي اجحاف بحقوق بلادنا ولا محاصصة بين الدولتين المتضامتين المنتخبتين المتعاهدتين ان شاء الله وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول عواطف حسن نيتي وصداقتي وتقديراتي الخالصة الفائقة في ١١ جمادى الأولى ١٣٥٨ - ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٩ فهل يمثل هذا الاستفزاز تريد الدول الديمقراطية أن تحصل على صداقة المسلمين والعرب .

ان الموقف الحالي يستدعي من العالم الاسلامي أشد الاهتمام وان الفرصة سانحة للمسلمين والعرب لو أرادوا أن ينتهزوا

وحضرات أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وبخاصة جلالة الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الوصي على عرش العراق وجلالة الامام محيى حميد الدين في موضع الرجاء في إعادة شعوبهم من مثل هذه الحوادث والله تبارك وتعالى سيسألهم عما استرطاهم وكل راع مسئول عن رعيته ومن واجب الحكومات الاسلامية أن تتفق جميعاً على خطة حازمة تعلن بها انجلترا وفرنسا في اجتماع وفي حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق وأن يكون بين انجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأرض المقدسة وتظل عربية مسلمة وأن يكفل استقلال الأوطان الاسلامية الحالية ولا يتعدى على أي جزء من أرضها

وأن يكون بين فرنسا وتونس والمغرب معاهدات سياسية كذلك تكفل لهذه الشعوب المسلمة العريقة أن تصل إلى استقلالها وحريتها فان وافقت الحكومات الديمقراطية على ذلك فهو الخير لها وللعالم وإن أبت إلا الإصرار على هذا الموقف الظالم فليعمل المسلمون لأنفسهم وحسبهم ما فات

لقد بدأت العراق والحجاز العمل وقامت مفاوضات بين الحكومتين

الهاشمية والسعودية أغلب الظن أنها تناولت فيما تناولته هذه انواح الحياة
للكمال الاسلامية ولكن كل ذلك لا يكفي فانا نريد أن يكون
الصوت إجماعيا من الحكومات الاسلامية جمعاء أو من معظمها على الأقل وأن
تكون الخطوات واضحة بينة والوسائل صريحة حازمة وفق الله العرب والمسلمين
لما فيه خيرهم وسعادتهم .

حسن البناء

بين الشرق والغرب

أيتها الغرب إن للشرق شأننا	وعلى غابر الزمان الغناء
هب من نومه وكان خليقاً	أن يجافي جفونه الاغناء
تلك صحف التاريخ تشهد أننا	خير نسل أقلت الغبراء
كم عمرنا الديار وهي خراب	وملأنا القفار وهي خلاء
وركبنا البحار وهي طوام	وألفنا الأسفار وهي غناء
يوم لادق بالحديد تراب	لا ولا شق بالبخار الماء
وملكنا بالسيف ملكاً جساما	لم يشد قبل رصكنه بناء
أيتها الشرق حدث الغرب عما	أيقظت من سباتك الأرزاء
وإليك الأبصار من كل قطر	شاخصات وللأمور انتهاء
أنسام الهوان دون المنايا ؟	إنما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر دارا	إنما الحر داره الجوزاء
قد تلونت يا زمان علينا	فحنانبك أيها الحرباء
قرع الدهر نابنا وقرعنا	نحن والدهر لو درى أكفاء
من تقانى في المجد نال بقاء	وطريق البقاء هذا القناء
ولقد آن أن يلم شتات	وتسوى أرض ويعلم بناء

محمد حبيب المبيدي

« بتصرف »

ما أخرجنا في هذا الزمان

إلى هداية القرآن

(بقلم الاستاذ الكبير محمد أحمد جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة)

العربية بوزارة المعارف المصرية)

قد وضع للمفسرين من العلماء والباحثين أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتخذ لهواً ولعباً ،

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » . « أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » . « أئحسب الإنسان أن يترك سدى » : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »

وسواء أريد بالعبادة ظاهرها أم معرفة الله كما ذهب ابن عباس رضي الله عنهما فالمعرفة لا تكون بدون عبادة والعبادة لا تكون بدون معرفة .

لذلك كانت حاجة الناس إلى امتداء بشريعة الذي فطرهم ضرورة وفوق حاجتهم إلى كل شيء . ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بنير طيب مثلاً فأهل البدو كلهم . وأهل الكفور جميعهم وعامة بني آدم لا يحتاجون إلى طيب وهم أصح أبداناً وأقوى طباعاً ممن هو متمسك بالطيب من أهل المدن الجامعة .

واقعد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في معالجة ما يهجم عليهم من الأدوية حتى أن كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عادات الناس وعرفهم وتجاربهم أما الشريعة فقائمة على معرفة الإنسان مواقع رضا الله وسخطه في أعماله

الاختيارية ، ولا طريق لهذه المعرفة إلا الوحي المحض بخلاف الطب فمبينه على تعرف المنافع والمضار التي لا بد من وعليه . وأساسها التجارب والاختبار وغاية ما يقدر في جيل تلك المنافع والمضار موت البدن ومطيل الروح عنه ، وأما ما يقدر عند فقدان الشريعة ففساد النفس وتنكبتها الصراط السوي وانغماسها في حمأة الرذائل مما يودي بها والمجتمع الذي تعيش فيه وشتان بين هذا وحلاك البدن بالموت .

فالناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والتعبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه . وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والنور الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر ، وتاريخ الأمم الإسلامية آثم اعتصامها بحبل الدين وتهاونها به ، وما فرأى في الأمم الغربية من اذمارض الاجتماعية والخطيئة المستعصية مع سبقها رغبوا كبتها في شئرن انادة شاعد على ذلك

وما جاء به الرسول هو الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وذلك هو الاسلام وهو دين الله وشريعته في جميع الامم منذ بدء الخلق حتى تقوم الساعة . وقد أخبر الله بذلك في غير موضع من القرآن « إن الدين عند الله الاسلام » فدين الاسلام هو دين الازلين والآخرين من النبيين والرسلين وقوله تعالى « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبله » وهو في الآخرة من الخاسرين » عام في كل زمن . ففروخ ، إيراخي ، يعقرب ، الاسباطوموسى ، ويسرى ، والحراروبون كلهم دينهم الاسلام . وهو عبادة الله وحده لا شريك له ولا يستسلم لظواهر ارباطنا وعدم الاستسلام لفيرد كما قد بن ذلك القرآن فدينهم كلهم واحد وإن تنوعت شرائعهم . قال تعالى « لكل جملة ما حكم شرعة ومنهاجا »

وقال تعالى لنبيه ﷺ « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » « إنهم لن يفقهوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض »

وقد جاء القرآن الكريم رسالة انصحية بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة . ففي مسلم عن عمر رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي

صلى الله عليه وسلم فسأله عن الاسلام والايان والاحسان فأجابه . « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ، والايان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك : »

فمن لم يقيم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الايمان الباطنة . ومن حصلت له حقائق الايمان الباطنة فلا بد أن يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة . فان القلب ملك والأعضاء جنوده . ومتى استقام الملك وصلاح استقامت جنوده وصلاحته . ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب »

وإن أصل الايمان والتقوى الايمان يرسل الله أجمعين ، وملاك ذلك الايمان بخاتم الرسل ﷺ فالإيمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله . وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به وذلك يستوجب العذاب الأكبر . وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة قال تعالى « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » ؟

فالقانون السماوي سبب السعادة ومن الخطأ الاعتياض عنه بالقانون الأرضي الانساني الذي لا يتخلو . وإن توفقت عليه الآراء . من أغلاط وأخطاء لاسيما إذا كان ممن لا علم عندهم بمعاني كتاب الله وسنة نبيه الداعي إلى الله على بصيرة .

حقا إن الاعتياض عن القانون السماوي بالقانون الأرضي من أعظم أسباب المقت والحرمات وأكبر موجبات العقوبة والخذلان إذ هو إتخاذ لدين الله هزوا ولهوا ولعبا وتبديل النعمة بنعمة الله والكفران بالشكران . وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين

مشافاة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض
وعنه إلى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت الحساب ولا تضبطها
أقلام: الكتاب قال تعالى « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة
الدنيا »

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم
يصلونها وبشئ اتفقار »

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »
« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً »
« ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك
الجزى العظيم »

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا
أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك
لهم جزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم »
« فإذا كان هذا حكم الباغين شاربين الخارجين عن جماعة الامام الذين شقوا دعماً
الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عرباً وعجماً مؤمنين وكافرين إلى قاتون
اختاره هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة
الله وطاعة الرسول وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخائفة أمرهما : بلى وربك فإنه
رأس التصاد وأم الشرور والخبائث وما يقفه إلا الظالمون
وقد وسم الله من خالف أحكامه واتبع غيرها في أحكامه وأعماله بالظلم
والكفر والفسق قال تعالى

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »
« ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »
« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »
« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتجاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »

قال أهل التحقيق من المنسرين . الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بسيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعنون أنه طاعة لله .

فالقرآن يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله وعدم تحكيم ما عداه إما تصريحاً وإما تلويحاً وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد ﷺ إلى يوم تقوم الساعة . فقد صح عنه أنه قال « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خانهم حتى يأتي أمر الله . » فبتحكيم ما أنزل الله يقرم العدل ويؤيد الملك ويستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية النامة .

ومن شك فيما تقدم فليست الفرق بين حال الاسلام في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله في القرون المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وأوعى لها ، فإنه واجد الفرق كما بين الثرى والنثرى . وكما بين الأرض والسماء

ألا ترى أن الصجاية رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ فتحو ما فتحو من الآفاق والبلدان . ونشروا لاسلام والايمان والقرآن في نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وشداد وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددينا ووفرة عدد بلادنا ثروتنا لا نزداد إلا ضعفا وتقهقرا وذلّا وحقارة في عيون الأعداء وذلك لأن من ينصر الله يمكن له في الأرض وعمدة ينصر من عنده قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وتبين الذين ينصرون دينه بقوله تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وقد وعد الله رسله ومن آمن بهم بالنصر في الدنيا والآخرة فقال تعالى .
 « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »
 « ولقد سبقنا كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا
 لهم الغالبون » . « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان
 كفور » .

ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل
 في بعض المغازي فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة ولكنه أراد لهم
 ذلك ليذكروهم به وليزيدهم إيماناً بأن النصر من عنده « لقد نصركم الله في
 مواطن كثيرة ويوم نحين إذا أعجبتم كثرتكم فلم تنن عنكم شيئا وضاعت
 عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينة على رسوله
 وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »
 فمن نصر دين الله نصره الله ومن خذل دينه وخالف رسوله خذله الله في
 الدنيا والآخرة .

ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشبثوا
 في مكانهم عند الجبل ولا يزيغوا سواء أكانت الدولة للمسلمين أم عليهم فلما أقبل
 المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقيون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا
 والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا فلما اختلقوا فقال بعضهم قد انهزم
 المشركون فما موقفنا هنا ؟ وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وغادر نفر
 مكانه يجمع الأسلاب .

كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على
 المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صبا حتى هزموا وقتل من قتل وذلك كله
 بشر مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له وذلك معنى
 قوله تعالى : « وأقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم
 في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من
 يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

ولقد كان أهل المدينة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أفضل أهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول واعتصامهم بحبل الله ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم من المصائب ما لم يحجر عليهم من قبل « ولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم »

وكذلك الشام كان أهلها أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ثم قامت قنم بما كسبت أيديهم وبما اجتروا من السيئات وسلط عليهم أعداؤهم فأذلهم وضاع الملك من أيديهم .

وهؤلاء الأندلسيون كانوا رقاداً في ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فعمطوا النعمة وقابلوها بالاشتر والبطر .

فاشتغلوا بمعاصي الله تعالى وأكبوا على هوىهم ولم يتقوا مواقع سخط ربههم ومقتله ففعل الله بهم ما لم يحصه قلم كاتب فسلط عليهم عدوهم حتى مزقهم كل ممزق وفرقهم أيدي سباً ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه وما صاروا إليه وفي التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس انفاسون أفحك الجاهلية يبنون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون »

صورة كتاب

الشيخ محمد عبده إلى صديق جواباً على اتصال من هفوة بعد عتاب شديد لو عرضت على نعم الله وفيها عزة الأمراء ، وبرة الأغنياء ، ووفاء الأولياء لما اخترت منها غير الوفاء ، ولعددت نفسي به أسعد السعداء هذه خلتي - تقبلها الله - وفيها لمهجتى أحياء . بهذا تعلم ما أدخلت من المرور على ، فيما كتبت إلى ، ولو جعل الله للحمية شكراً أوفى يحقها منها لبدانته ، ولو قدر لها أجراً أجزل حائدة منها نفسها لالتمسته وقدمته . نعم كنت وجهت كتابي إلى شيطانك ، فلاقى الكتاب أكرم نفس فيك ، فانصرف والحمد لله عنك إلى حيث لا أواه فاهناً بكرم عتدك وزكاء مناك والسلام

تطور الاسلام

لأديب غير معروف

كان نشاط الاسلام الغريب مدعاة دهشة لعقول البشر ، منذ تلك الأيام المعينة في الزمن . التي حملت بلواعة من فرنسا إلى الصين . ولكن هذه الشعلة الروحية المتقدة ما لبثت أن أخذت تتمد على الأيام ، حتى ظهر الاسلام في القرن الثامن عشر في حال من الاحتضار . فأخذ العلماء يلتمسون المعرفة في آفاق محدودة من الدين - لا كما نزل به القرآن وجاء به النبي ﷺ : مشرقاً بالنور ، متجاً إلى أبعد الحدود - بل كما فهموه ، هزلاً ضيقاً ، بل على أكثر ما يكون عليه الدين من الهزال والضيق حين يبدأ فيسمح لظل آدمي أن يقوم بين العقل البشري والله . إن الاسلام ، دين الفكرة المنحصر ، الذي استطاع أن يطرد الخرافات الكهنوتية من البلدان التي استظلت بظله ، انتهى إلى أن يكون هو نفسه مثقلاً بأنواع العبودية والخرافات .

فكفرض الاسلام على معتنقيه أن يطلب العلم من المهد إلى الاهد ، ونقل عن النبي ﷺ أنه قال « فضل العلم أفضل من العبادة » . ولكن هذا الفرض أهمل في عصور انحلال الثقافة العربية إهمالاً مخجلاً اطرحت معه دراسة العلوم الطبيعية من زمان . فكان ذلك من أهم الأسباب لتأخر الاسلام في العصر الأخير . قال المستعرب الفرنسي الشهير ، « تازانوف » :

منذ أن خبت شعلة الثقافة العربية زمن الغزو العثماني ، ومنذ أن أخذ الاسلام الاول تنقله ربة « أرثوذكسية » متحجرة ، ونحن ننظر إلى عقل العرب الحديث كشيء يختلف عن عقولنا ، ونعتقد أن المسلمين ليسوا بقادرين على أن يفهموا أفكارنا ويمثلوه ، ناسين كلمة نبيهم الرائعة ، التي كانت مصدر الهدى لحضارتهم الاولى ، والتي تقول : « فضل العلم أفضل من العبادة » . إني لأسأل : أي رئيس ديني ، أو أي مبشر عظيم جرؤ في يوم أن يتلفظ بهذا الكلام الجسور ، الذي يكون « دستور الايمان » لعاثنا الثقافي اليوم ، في حين

أن كلاماً كهذا كان يمد — زمن غير بعيد — كفرةً عند الجماهير الكبرى من العقول المتفتحة . بل أستطيع أن أتساءل أي أوربي في عصر محمد استطاع أن يفكر بإمكانية فضاة كهذه . . . وعلى هذه ، فأصح البديهيّات عن حرية الفكر ، هذه البديهيّات التي تدع وراءها أجراً آراء « لوثر » و « كالفن » وأمثالها ، إنما فاه بها عربي من أهل القرن السابع ، هو مؤسس ذلك الدين الذي يزعم كثير منا أنه منحط انحطاطاً لا يرجى له علاج . وفي الحق ، ان تذوق العلم ، والتأملات الفكرية في شتى الميادين ، وان حب الفكر الاغريقي والاعجاب بما أثره ، وهذا الفضول الملح لمعرفة ما في الطبيعة ، والرغبة الحادة في رفع النقاب عن هذه الطبيعة — كل أولئك كان يمثل المازيا الصحيحة للروح العربية . إن هؤلاء العرب العظام الذين قفناهم في الأربعة القرون الخالية ، كانوا الأساتذة الكبار للفكر الحديث قبل عصر النهضة .

بيد أن العلماء الذين كان عليهم أن يرعوا تعاليم الاسلام الصحيحة ما لبثوا مع الزمن ، أن رفقوا كل اهتمامهم على القرعيات الصغرى من المبادات ، فكانت ، بذلك مفارقة خطيرة لمود الشرع الأول ، وكانت أن نشأت في البلدان الاسلامية رجعية متحرجة ، وتمصب مخالف لروح الاسلام ، وطدت على مراكر الثقافة العربية مدرسية متطرقة كالتى عرفت في القرون الوسطى ، تشوبها طائفة من الخرافات الفارغة . فـ الجهل رواقه على الطبقات الدنيا ، فرغبت عن كل تجديد وأصبح المجتمع الاسلامي قاسداً على الجملة .

إن روح الاسلام لا تمنى — على أي حال — الاطمئنان إلى هذا الوضع الذي يسود العالم الاسلامي ، أو القناعة به . لأن الجبر (أي الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنها جبار) لا يؤلف قسماً من العقيدة الدينية . أما العامة ، فقد تملكها بسبب الجهل والعبودية السياسية فيما يمد روح قنائة وتسليم تكفي لاحداث ركود تام فكان بذلك سبب رئيسي من الأسباب التي عاقت التقدم السياسي والاقتصادي للدول الاسلامية .

لقد تقدمت دول النصرانية في ميدان الحياة المادية ، كما تقدم المسلمون

زمان كانوا يخضعون لتعاليم الشرع التي نادى بحرية الفكر ، وحضت على طلب العلم . ودرس ما خلق الله . لقد ا طرح الأوروبيون الاصفاذ الاكاديمية والمدرسية الضيقة : فكان تقدمهم في الحقل المادى مدعاة لهدحشة . بقدر ما كانت الفتوح

— المادية والروحية — التي قام بها المسلمون الاولون .

وضعف آخر عانى منه الاسلام كثيراً في تاريخه . هو نفوذ الاوتوقراطية السياسية السيئة . فان قيام الاوتوقراطية المستبدة على رأس الاسلام قد اضر به كثيراً في الحقبة التي سبقت الحروب الصليبية بقليل . إذ كان جو الفساد الذي خلقته هذه الاوتوقراطية المستبدة عائقاً لتطور الاسلام . فتفشت الأمصار الاسلامية إلى وحدات يسيطر عليها طفاة منهمكون في منازعاتهم وحروبهم التي يستغل فيها الدين ويحذر لا غراض غريبة عنه . فما طال الزمان حتى كان الشرق المسلم ظارفاً في ظلام عميق ، ضيق من أفقه الثقافي . وانتهى به إلى عقم أدبي عام وعامل هام آخر ساعد على تأخر المسلمين . هو نشوء شعور بالتسامي مزور قام على النجج بالفتوح العظيمة . والتغنى بما أثر الاسلام في العصور الأولى . وحمل المسلمين على أن ينظروا إلى المخترعات الحديثة التي ولدها العقل الغربي نظرة استحقار واستخفاف .

إن المسلمين في عصور انحطاطهم لا يشبهون المسلمين الأول إلا قليلاً . فلم يعملوا بما قضته شريعتهم . ولا عنوا بتابع سنن نبيهم . لقد قطع المسلمون شوطاً بعيداً في الحقول العقلية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية أيما استمسكوا بأمر دينهم ونهيه . ولا كنهم لما رغبوا عن حبيلهم هذا المتين . فقدوا روح البطولة . وأسقط في يدهم . فأهملوا تنقيف أولادهم . كما أهملوا تنقيف بناتهم بخاصة . لقد ناءوا بهذه الحضارة وهذه الثقافة التي بناها أسلافهم بتأثير القرآن . والتأسي الشريف بالنبى ﷺ . فاستطاعوا لها صونا . وضعت روح التكامل وأخذ التفسخ يفسر واضحا .

وكان الغزو المغولي في القرن الثالث عشر ضربة أخرى شديدة على الثقافة

الاسلامية إذ عطلت جيوش جنكيزخان أعظم مراكز العلم ، وأودت بمعظم العلماء . كان كل ذلك في يوم كانت فيه الحدود الشرقية للامبراطورية الاسلامية غير مصنونة إلا قليلا . وهنا نلاحظ أن فرضا من فروض الشريعة قد ندى أو أهمل : هو الجهاد . فانتهى الامر أخيراً إلى سقوط بقايا الامبراطورية الاسلامية في أيدي دول الاستعمار الأوروبية .

لقد عاقت الحروب الصليبية نمو الاسلام . في حين أن اكتشاف طريق الهند التجارية الشرقية . واكتشاف أميركا مع مادعا إليه من اتجاه التجارة العالمية ناحية الغرب الى جانب ازدهار الحركة الصناعية والمواصلات عبر المحيط كل ذلك كشف أخيراً عالم الاسلام . فما آذن الزمن بالقرن الثامن عشر . حتى كان العالم الاسلامي غارقاً في سبات بينا شهد القرن التاسع عشر سقوط الدول الاسلامية . الواحدة بعد الأخرى . في قبضة الدول الغربية المغيرة .

ولكن السبات والركود ليسا من مبادئ الاسلام : إنهما إلا نتيجة لاحداث سياسية واقتصادية . وهكذا أخذت تقوم في ذلك الحين محاولات في الإصلاح الديني . أظهرت واضحا أن خلف الرماد حياة للاسلام صحيحة فذة . هذه الحركات الإصلاحية نشطت لاجيء مجد الاسلام الأول . وطامحت إلى إعادة الدين إلى شكاه الصافي الخالص قبل أن تنقله المعتقدات الدخيلة والبدع المفسدة . وكان ابن تيمية في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) العدو الأول لهذه البدع . ولكن أربعة قرون تصرمت قبل أن توثى آثاره أكفها باناما . ففى القرن الثامن عشر تأثر محمد بن عبد الوهاب من أهل نجد . بدراسة مؤلفات ابن تيمية فحاول كما حاول أستاذاه من قبله أن يرجع للاسلام حيويته الأولى وصفاءه الأول . وأن يحث الرذائل . ويبطل البدع الخائفة لتعاليم الدين الفطرية مجرداً حملته في سبيل هذا الإصلاح الديني حوالى سنة ١٧٤٠ بعد أن حز في نفسه ما رآه من التفسخ الأخلاقي وذيرع الخرافات بين المسلمين . وفى سبيل هذا بشر محمد بن عبد الوهاب بالرجوع إلى مصدرى الاسلام الأولين . كتاب الله وسنة رسوله .

وقد عمل هذا المصلح الظهري . مؤسس الوهابية كل ما في وسعه ليعيد للإسلام بساطته الشديدة الأولى . فكانت الحركة الوهابية في الواقع بشير الانتعاش للإسلام الحديث . ولا نستطيع هنا . بداعي ضيق المجال أن نعرض بكلام مسهب لنمو هذه الحركة . إنما يكفي الذكر أنها نشأت في جزيرة العرب في ظل البيت السعودي وانتشرت في نجد . ثم في الحجاز زمناً قصيراً تقلصت عنه بعده إلى أن قام عبد العزيز بن سعود ببضع حملات ناجحات استعادت بها الحجاز وضرب بسلطانه على القمم الأعظم من بلاد العرب .

امتدت الحركة الوهابية إلى ما وراء الجزيرة . وعمات على إثارة حركات مشابهة . مستوحاة منها في الهند وإفريقيا وجزر الملاي . بل إن حركة السنوسية الشهيرة نفسها مدينة في منشئها للإمام الوهابي .

ففي منتصف القرن التاسع عشر حمل السير سيد أحمد خان لواء حركة تحريرية إصلاحية في الهند . كان من ثمارها تأسيس جامعة إسلامية في عليكره يلتقي فيها الطلاب إلى جانب التربية الدينية . ثقافة عصرية عميقة . ولقد أشبه السير سيد علي في المسائل الفقهية اتجاهها حديثاً محالاً أن يلائم بين حياة الشعوب الإسلامية وبين العصر الجديد وأن يؤلف بين الثقافة والتقاليد الإسلامية . وبين الآراء الحديثة والعلم الحديث .

وبعد وفاة السير سيد تعهد الحركة مولاي شير اغ علي . ومن بعده سيد أمير علي الذي عبر عن آراء المجددين في كتابه المعروف : « روح الإسلام » . وتطورت الحركة من بعده ، جامعة بين « العقلية » والتحرر ، وكان لها مثلها في شخص : « من خودا بنخش » صاحب كتاب « رسائل هندية وإسلامية » . ويجب أن نذكر بصدد هذه الحركة العمل الذي قام به حكيم أجمل خان ، من دلهي ، إذ وقف نفسه على تدريب الطلبة المتأخرين من الجامعة في عليكرة ، وبعثهم إلى الخارج مبشرين ، لينشروا بين شباب الطبقات النخبة . ثقافة إسلامية حديثة مؤسسة قبل كل شيء على القرآن .

أما أعظم مصلح في الهند الإسلامية غير مدافع فهو المرحوم السير محمد اقبال

الفيلسوف الشاعر الكبير . الذي ألهمت آراؤه ومؤلفاته « مدرسة » من المفكرين
الدينيين والسياسيين في الهند . ومن أبرز آثاره كتابه المتع عن « تجديد التفكير
الديني في الاسلام » الذي كان يريد فيه كما يقول « ان يلبي ولو جزئيا هذه الرغبة الملحة
في إيجاد شكل على المعرفة الدينية عن تجديد طريق الفلسفة الدينية الاسلامية
على أساس من تقاليد الاسلام والتطورات الأخيرة في مختلف ميادين المعرفة
الانسانية . » ولكي تقدم فكرة صادقة عن قيمة مؤلف السير محمد إقبال هذا
لأنجد أفضل من أن نقبس ههنا الفقرة التالية من مراجعته له بقلم عالم « غربي »
متاز لما فيها من « إشارة » الى العلاقات الغربية الاسلامية :

« إن العالم الغربي لا يعرف السير محمد إقبال - اذا استثنينا طبقة من الخاصة
صغيرة - المعرفة التي يستحقها . قد لا يكون محمد إقبال مؤرخاً ولكنه فيلسوف
لاهوتي ديني من النطقة الأولى بعقل معجز جبار . وإدراك هذه الحقيقة لم يكن
بالسهل على الغرب بسبب « إسلامية » إقبال كما كان في شأن طاغور الشاعر الغامض
وغاندي الذكي الغريب . ان من الجليل أن يكشف الغرب مسلماً مجدداً حقاً هو
في الأقل صنواً لا عظم وفكرى الغرب في كل ناحية .

كما يكون من المؤسف أن نسلب القارئ الغربي لذة الاكتشاف الشخصي
بتقديمنا هذا الرجل اليه ملخصاً . فليس هناك رجل في العالم المسيحي يحق أن
يدعى عذرياً - أو ما شئت من النعوت - إذا لم يكن قد « اكتشف » بعد
محمد إقبال وليس هناك كتاب للسير محمد أجدر من هذا كدأة وصل في
هذا التعرف .

فذا انتقلنا الى تركية . كان علينا أن نشير الى حركة اصلاحية سارت ثورة
سنة ١٩٠٨ . غلب « تركية الفتاة » نادي بالاخوة والمساواة بين رعايا السلطان
جميعاً . وكان أحد مقمدي الزعماء في « جمعية الاتحاد والترقي » المصاح والسياسي
الأمير سعيد خليم باشا الذي كان يعتقد أن الإصلاح لا يقوم على اقتباس ماهو
غربي بل بالعودة الى الاسلام . وكان يعمل لامبراطورية إسلامية مستقلة .

ويؤيد الخلافة فعل السكينة المطلقة من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، مسترشداً بنائنه الأولى وهي بناء الدولة الإسلامية الصحيحة على قواعد حديثة . ولكن مؤثرات مغايرة كل المغايرة لأهداف الأمير سعيد حلیم باشا ما لبثت أن ذرت قرنها ، فقامت فكرة الوحدة الطورانية . رامية إلى خلق ثقافة تركية قومية حديثة بيد أن أبرز المصلحين في القرن التاسع عشر كان السيد جمال الدين الأفغاني الذي كان له الأثر الأعمق على الحركات الإصلاحية في شتى الأقطار الإسلامية . ومصر بخاصة حيث قضى ثمانى سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) وحيث تلمذ عليه الشيخ محمد عبده . مفتى الديار المصرية الذي توفي سنة ١٩٠٥

لقد شملت أعمال هذا الرجل العظيم جميع أمصار الإسلام على التقريب . خفضت أفغانستان وإيران وتركيا ومصر والهند جميعاً . وفي فترات متباعدة لأثره البعيد .

إن غاية جمال الدين القصوى كانت توحيد الشعوب الإسلامية في ظل دولة إسلامية واحدة يمارس فيها الخليفة سلطة مطلقة كالتى كانت لتخلفاء في أيام الإسلام الفرع قبل أن تنهك من قواد الفتن والتفسيخات . وقبل أن تفرق البلدان الإسلامية في ظلام من الجهل والمسكنة . فتصبح فريسة الاعتداء الغربى . كان يمتد أن هذه الدول الإسلامية اذا تخلت يوماً من وباء الاستعمار الغربى والتدخلات الغربية . وجددت نظرتها الى الدين بحسب مقتضيات العصر ، استطاعت أن تخلق لنفسها أوضاعاً جديدة باهرة دون تقليد للدول الغربية أو اعتماد عليها . وعنده أن الدين الإسلامى فى جوهره دين دنيا . وأنه قادر إلى أبعد - حد لما له من قوة روحية على أن يساير اختلاف أحوال الحياة . ويرى أن الثورات السياسية هى أسرع وأضمن سبيل يوفّر للشعوب الإسلامية الحرية التى لا تستطيع هذه الشعوب أن تنظم أمورها الداخلية بدونها . وقد وصف مؤرخ مصرى احتكاك جمال الدين بالشئون المصرية بهذه الكلمات . « لقد

ولدت بنزول جمال الدين مصر حركة جديدة قالت بوجوب تحديد التدخل الاجنبى والحكم الاوتوقراطى . وحاولت تحضير عقول الشعب لانشاء نظام قومى متحرر كما بذلت جهودا لاصلاح الحالة الاجتماعية للجماهير عن طريق تفسير جديد لتعاليم الدين التى افسدت من روحها الخرافات والتقاليد والتفصيلات الفقهية فى عصور الظلام »

قادت هذه الحركة إلى يقظة صحيحة تخطت في الاسلام الدينى . كما تخطت في البعث الثقافى والأدبى . وفى التطورات السياسية التى دلت على نمو فى الروح القومى . لقد كان جمال الدين أعظم شارح لفكرة الجامعة الاسلامية . وأخذت الحركة الاصلاحية والتجديدية فى مصر فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر شكلا محدداً على يد الشيخ محمد عبده قاصدة إلى تحرير الاسلام من القيود التى كبله بها التقليد المتحجر . وإلى الاصلاح الذى يجعل هذا الدين قادراً على مسيرة الحياة المصرية . وهكذا نشر محمد عبده فى مصر روح أستاذه جمال الدين ومثله العليا . وعمرت هذه الحركة فى مصر إلى وقتنا الحاضر تاركة آثارها فى شتى الميادين كما لاقت آراء الشيخ محمد عبده أذناً صاغية بين الطبقات المثقفة فى مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية فتقبلوها بقبول حسن .

وكان السيد محمد رشيد رضا السورى الأصل مقدم تلاميذ الشيخ محمد عبده . فلما قبض الشيخ الامام ظل رشيد رضا الأمين على رسالته . والشارح لتعاليمه . وهو مؤسس مجلة « النور » المشهورة التى أصبحت بعد لسان الدعوة لآراء الشيخ محمد عبده . ومقل الكفاح لتحقيق إصلاحاته . وهناك مدرسة ثانية من المجددين تأثرت بعيداً بحركة الشيخ محمد عبده بين رجالها أمثال قاسم أمين وفريد وجدى وعلى عبد الرزاق (مؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وغيرهم من كبار الرجال .

وانا لنلمس آثار جمال الدين الأفتخانى فى الأجزاء القاصية من العالم الاسلامى . كروسيا مثلاً حيث هب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر مصلح مشهور هو اسماعيل جاسبرنسكى محرر جريدة « ترجمان » الصادرة فى

من بلاد القرم ، والذي دعا إلى عقد مؤتمر اسلامي عالمي لبحث المسائل المتعلقة بالحركة الاصلاحية الاسلامية .

إذا نظرنا إلى الحال اليوم ، رأينا الاسلام يواجه أزمة تختلف في تأويلها المفكرون المسلمون والغربيون . قال السير محمد إقبال :

« إن الملاحظ السطحي للعالم الاسلامي الحديث هو وحده الذي يعتقد أن الأزمة الحالية في هذا العالم الاسلامي إنما ترجع إلى أيدي القوى الأجنبية .

« إن مسألة ما إذا كان الفرد مسلماً ، هي من وجهة النظر الاسلامية مسألة شرعية صرفة يحكم فيها على أساس المبادئ الرئيسية للاسلام . وما دلم الفرد

مؤمناً بالمبدئين الرئيسيين : وحدانية الله ورسالة نبيه فلا يستطيع أحد حتى أكثر الملوية تحرجاً أن يخرج من حظيرة الاسلام على الرغم من فهمه للشريعة

أو لنص القرآن فهما يعتقد فيه خطأ . لقد عانى الاسلام جحوداً كبيراً وآن المسلمين أن ينظروا إلى الحقائق . ان المادية سلاح خطير ضد الدين ولكنه ناجع

مستحب إذا جرد على الطرق الملوية والطرق الصوفية التي تشعوز على الرعاع مستغلة جباههم وصرة تصديقهم . ان روح الاسلام لا تخشى شيئاً من احتكاكها

بالمادة . وفي الحق إن القرآن يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »

« إن من الصعب على غير المسلم - إذا اعتبرنا تاريخ العالم الاسلامي خلال القرون الأخيرة - أن يدرك أن التقدم في النظرة المادية لا يمدو أن يكون ضريباً

من تحقيق الذاتية . ومن ناحية أخرى نجد روم لاندو يصف تأثيراته حيال الروح الحية التي

نرى في مصر اليوم :

« ان مصر الحديثة تقتبس اليوم عن أوروبا بسرعة توافقة طامحة إلى أن تلحق بالغرب في مضمار المدنية الحديثة . وترى في الوقت عينه وعند الشباب بخاصة ،

قومية متطرفة تنخذ في بعض الاحيان شكل العداء لكل ما هو أجنبي . ومهما كان هذا النوع من القومية داعياً الى الأسف فذلك شيء طبيعي عند شعب حاد

الزاج يطمح أن يرى بلاده مستقلة بعد مئات السنوات من السيطرة الأجنبية .
 « ان معضلة الطالب المصري تكاد تكون عين معضلة الروح المصرية الحديثة
 كلاهما يجتاز الآن مرحلة انتقال وفي كليهما اللهمة والنزق وغرور الشباب وحساسيته
 إن العناصر الروحية والمادية والدينية والقومية تختلط جميعاً الى درجة لا يرجى
 معها حل للمعضلة عن طريق نوع بعينه من هذه الاصلاحات . ورجال السياسة
 المصرية لم يعتمدوا في يوم على معاونة زعماء الدين والفكر معاونة فعالة اعتمادهم
 في يومنا هذا لا له ليس من ناقد نزيه يعتقد أن معضلة الشباب المصري يمكن
 حلها دون اصلاح روحي عميق يشمل تأثيره الشباب ويعدوهم الى الزعماء
 والسياسين . »

فإذا عرفنا أن التطور في البلدان الاسلامية كان دائماً على أساس الدين
 (ولا يمكن أن يكون إلا كذلك) اتضح أن إصلاحاً روحياً كالذي يتكلم عليه
 روم لاندو لا يتوفر إلا عن طريق تثقيف شباب الاسلام تثقيفاً دينياً صحيحاً
 إن نشوة القومية في البلدان الاسلامية يجب أن ينظر اليه « كرد فعل »
 دفاعي ضد الاستيلاء الغربي وكنتيجة للاعتقاد بأن التحرر الكامل من الغرب
 - سياسياً واقتصادياً واجتماعياً - شرط أساسي لنهوض الاسلام . وهكذا كان
 من الطبيعي للافتطار الاسلامية في هذا الدور من نشوئها أن ترى في القومية
 مصدر قوة وسلطان . ومهما كان فان هذا المظهر الانتقالي من القومية لابد أن
 يفسح المجال يوماً لضرب من « جامعة أمم » اسلامية مؤسسة البنين على قواعد
 روحية . ان المسلمين لا يستطيعون أن يفرطوا بتراث ثقافتهم للروحانية العظيمة
 لمجرد تقليد القومية الأجنبية في مظهرها الحالي . فالنتائج المضرة لهذا النوع
 المتطرف من القومية أوضح من أن تؤكد .

بيد أن بلدان الاسلام بالرغم من هذه القومية التي تغطي عليها تظل في الحقي
 أكثر تجانساً وأبعد وحدة ثقافية من دول أوروبا ففي شطر كبير من العالم
 الاسلامي أعني في الشرق العربي . تسود لغة واحدة لتخطب والكتابة ذات
 تراث أدبي وفلسفي غني جداً . ويستطيع أن يدرسها بسهولة المثقفون في العالم

الاسلامى كله تلك هى اللغة العربية اللغة المشتركة لستين أو سبعين مليوناً من الناس من براكنش إلى الخليج الفارسى وهى تحتل اليوم فى الأهمية المرتبة الرابعة بين لغات العالم كما أنها اللغة الدينية للعالم الاسلامى قاطبة — على حين أن اللاتينية — وقد كانت فى العصور الوسطى لغة مشتركة بين العلماء الأوروبيين لم تعد منذ زمان واسطة التعبير . وليس بين اللغات الحية واحدة لها حظ فى أن تصبح اللغة المشتركة أوفى أوروبا . بيد أننا لا يجب أن ننسى أن الدعاية القومية مع أنها كيدما على التروقات اللغوية تجعل هذا التطور بعيد الاحتمال فى الوقت الحاضر أما الروق فى النواحي الأخرى . أعنى فى نسيج المجتمع والنسل العليا السياسية . فالفروق بين مختلف أجزاء أوروبا أكبر بكثير منها بين مختلف أجزاء العالم الاسلامى . فالعالم الاسلامى إذ ب إلى أن يكون وحدة واحدة ربحاسة و مزايه الاجتماعية والثقافية ومؤسسته من أوروبا كلها .

إن من الخطأ أن نزع أن المنقذين من المسلمين ، والطبقات الرفيعة فى المجتمع الاسلامى قد أخذت فى الابتعاد عن الدين أو عدم الاكتراث به ، بداعى الاقبال على الحضارة الأوروبية والنسج على منوالها . بل أننا ليمكننا أن نذكر دليلاً واحداً يؤيد العكس ، وذلك فى مصر حيث تزدهر حركة عظيمة للأحياء الدينى إلى جانب حركة اقتباس الحضارة الغربية فجلة « الرسالة » وهى مظهر التقدم للفكر العربى الحديث والثقافة العربية الحديثة . تنشر فى كل عام عدداً خاصاً يذكرى الامام المهجرى الجديد بهذه زعماء الفكر . وبينهم رجال المدرسة الجديدة بمقالات فى الموضوعات الاسلامية . تظهر بوضوح روح احترامهم لشخص النبي وللقرآن . وهكذا فالتوفيق انما هو بين الحركة الاصلاحية الدينية وبين النظريات القومية . هذا التوفيق الذى يكون اليوم عاملاً قوياً فى نهوض الافكار الاسلامية . يجب أن ينظر إليه — كما المعنا — كظاهرة زائلة لاتعارض مع النزعة إلى إحياء دينى خالص . وفى الحق أن فى العالم الاسلامى اليوم جهوداً فردية تحاول أن تنظر إلى الدين نظراً صحيحاً . ولكن أصعب هذه الجهود جميعاً بل يكون ضرورة الاخلاص للقرآن والحديث . وليس هناك مسألة إصلاح

ديني على أساس مذاهب أو «كنائس» مستقلة كما كان الحال في الغرب لأنه ليس في الاسلام مكان ائقية «الكنيسة» هذه. إن الاسلام اليوم وغداً لن يقف في وجه التطور الاسلامي فحسب بل سيكون هو ملهم هذا التطور وبكلمة ثانية . فان الصبغة الدينية لطبع التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية كلها . إن الرابطة الدينية . وهو أعمق ما يشد بين الشعوب الاسلامية على رغم الفروقات المنصرية واللغوية سيظل الأساس لتطور البلدان الاسلامية الاجتماعية . وهكذا تزداد المعتقدات الدينية قوة على قوة لدى الأفراد . ولدى الأمة كجموع .

«المحرر» ننشر هذا المقال ونودع للكاتب رأيه الخاص في الأشخاص والحوادث التي ورد ذكرها فيه ولكننا نستخلص منه هذه الحقائق التي يزيد أن ينعم النظر فيها دعاء النهوض والاصلاح .

«١» إن المسلمين الآن قد خالفوا تعاليم الاسلام الصحيحة

«٢» إنهم بذلك ليسوا على نهج أسلافهم

«٣» إن طبيعة الاسلام تأبى السبات والركود فلا يأس من الاصلاح

«٤» إن فكرة القوميات في بلاد الاسلام التي كانت رد فعل للتعصب الأجنبي

«٥» إن التطور في البلاد الاسلامية كانت داعماً على أساس من الدين

(ولا يكون إلا كذلك)

(٦) إن الاتجاه الديني اليوم قوى حتى بين من تتفقوا ثقافة أوربية بحتة

«٧» إن الرابطة الدينية سيظل دائماً هو الأساس والملم للمنهضة الحديثة

نقلا عن مجلة (الايمان) البيروتية

من خطبة لمستر ماكدونالد وزير المستعمرات الانجليزية

« إن العالم الاسلامي دخل في مرحلة جديدة بقوة المتزايدة وبكل ما يتضمنه

الدين الاسلامي العظيم من قوة مضافا إلى التعاليم الحديثة إن تطورا جديداً قد

مارأ على العالم الاسلامي وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً »

صاحب المنار

السيد محمد رشيد رضا

(إنا نحن نحبي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في

سورة يس

(إمام مبين)

مات السيد رشيد رضا ، فأت بموت المنار ، ونعاه الناعون مع نعيه ، وأبته المؤمنين في حفلة تأييده ، واقترن الأسى على حرمان المسلمين من المنار ، بالأسى على منشي المنار ، وقد مضى أربع سنين خلت فيها ذلك الصوت المدوي الذي كان يملأ طباق الأرض ، وخبا النور الذي كان يشع في الشرق والغرب . أربع سنين عسمس ليلها ، وحار ذليلها ، ومل حذاقها . حتى إذا استبشس الركب ، وضنوا أنهم قد أحيط بهم ، لمع لهم نور (المنار) من مشرق جديد ، يبدد الظلم . ويكشف الغم ، وينفي صدور قوم مؤمنين ويدعب غيظ قلوبهم .

ولقد طالما قال القائلون ، إن أعمال المسلمين يقضى عليها بالفشل : تموت بموت أصحابها فلا تحس لها وجودا ، ولا تسمع لها ركزا ، مات (المؤيد) بموت الشيخ علي يوسف ، ومات أمين لرافعي فمات (الآخبار) بموته ، ومات السيد رشيد فودع المنار يوم وداعه ومات صاحب (الأهرام) فبطل أثر موته في انتشار الأهرام ؟ ومات جورجى زيدان منشي (الهلال) فلم يحل موته دون ذبوعه واطراد نموه ، ومات الدكتور صروف أحد أصحاب التقطع والمقتطف فلم يفت الوهن في عضد شريكه ، وظل في مده وفرأته .

ألا فليطمئن هؤلاء بالا ، فقد شذت القاعدة ، وانخرقت العادة ، وانبعث (المنار) من مرقده ، وعاد إلى الظهور وضاح الحيا ، باسم النور . يستأنف جهاده ، ويتم رسالته ، ويحتضنه جماعة الإخوان المسلمين ، الذين في العالم الاسلامي . بحرارة إيمانهم ، ودافع غيرتهم . متكئين على ماضى (المنار) الجيد

بسمته الفراء مترسعين خطا منشئه العظيم في إخلاصه وبلائه . وصبره وأناقته ،
مفترفين من نيفس حكمته : مقتبسين من أنوار معارفه : فلقد كان — رحمة
الله عليه — أمة وحده وكان حجة من حجج الله على عباده حتى لقد أتت من
بمعه : وظل التراك شاعرا فلم نجد من يسد مسده ، وأحجم كل من تقدمنا
إليه في المعاصرة على استمرار (المنار) ممتذرين بعظم المسؤولية وعدم استكمال
الادوات : يستوى في ذلك علماء مصر الأعلام : وغيرهم من علماء الإسلام وأذكر
هنا كفة المرحوم الشيخ حسين وإلى من كبار الأزهر المشهورين التي قاضا لنا
أيام المأثم ونحن ننذاكر الأمر : أين ترى رجل اجتمع فيه علم السيد رشيد
وصلاحه : وإخلاصه ، وصبره . وثقة العالم الإسلامي به : وأنا أضمن لكم
استمرار (المنار) وقال نحو ذلك الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتي
تديار . وكان الذين يطمنون هذه الأمانة : إنما قصارى أمنيته أن يكون
المنار الجديد صدى للمنار القديم : حتى لا يكت ذلك الصوت المنار ،
ولا يختر الأرض من قائم لله بحجة .

ولاشك أن المؤمنين سيفرحون بنصر الفكرة : وتحقيق الأمانة ،
وستقبلون المنار بقبول حسن ، وسيرحبون بمبادئ الإسلام الصحيحة ، قبل
أن تتناولها أيدي التحريف ، وتلعب بها رياح التضليل ، وسيجعلهم ذلك الحرص
على الرجوع إلى مجلدات المنار القديمة ، بل الرياض النضيرة ، يتفكرون ظلالها ،
ويقطعون ثمرها وإن جنها لدان ، وإياه المستساع في اللهيا

ولما كان المنار الجديد سيعرف قراء جديدين ، وستتناوله أيد جديدة ،
وسينضم له أعضاء جدد : كان من المستحسن أن تقدم لهم ترجمة مختصرة عن
صاحب المنار : نشأته وإصلاحه وآثاره وسائر ما يتصل بذلك ، لتكون نورا
بين يدي القراء ، فإلى اللقاء

عبد السميع البطال

فلسفة النفاق

المنافقون في فلسفتين وحكمتهم

بقلم أحد علماء الأزهر الفضلاء

«بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً : الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيتبعون منهم العزة ، فإن العزة لله جميعاً »
سورة النساء

تنادى الناس في فلسطين إلى الدفع عن أنفسهم والنود عن بلادهم وأجسادهم في سبيل الله . فتفرق فريق بنفسه ، وأعان فريق بماله ، وسام فريق بجهدهم ، وقعد الخلقون .

والخلقون عن الأمة في كل زمان هم المنافقون فيها ، يتخلفون عن جماعتها ، ويخرجون على أمرها ، ويقعدون عن نصرتها ، ويعملون على خذلانها . ويقولون أعداءها . ذلك أن الإيمان لم يدخل قلوبهم . والاخلال لا يجد سبيلاً إلى نفوسهم . وأخيراً يمد عنهم . والشر قريب منهم . فهم أعداء الله والناس وأعداء أنفسهم لو كانوا يعلمون . وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل ضيحة عليهم هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

هؤلاء الخلقون المنافقون هم الثمة التي ينشدها أعداء الأمة في صفوفها المتراسة ، يبصرون منها عوراتها . ويستطلعون أخبارها ويستكشفون أسرارها ، وينفذون منها إلى معاقبها الحصينة وحصونها الآمنة ، وهم مطايا الاستعباد ، ونذر السوء ، وأبواق الشر ، وعون العدو يئال بهم ما لا يقدر على نبذه بقضه وقضيضه وعدته وعديده

تذهب الناس جميعاً في فلسفتين لدفع كارثة التهديد والاستعمار عن بلادهم

ورفع الظلم النازل بهم ، وقرعوا خفافاً وتقالا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يبق منهم من لم يساهم في هذا السبيل بنصيب كثير أو قليل ، إلا أولئك المخلفون الخائنون الذين طبع الله على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان على عقولهم ، فأنحازوا إلى العدو ، وقعدوا عن نصره بلادهم ، وفرحوا بمقعدهم وراء العالمين المجاهدين من أمتهم ، يتربصون بهم الدوائر ، ويترقبون بهم النوائب ، وإن تمسهم حسنة نسوهم وإن تسبهم سيئة يفرحوا بها . تقرأ أعينهم بما تفيض له أعين الناس بالدمع ، وتسر أنفسهم بما تذهب أنفس المؤمنين عليه حمرات ، يرون وقد أعمى الله بصائرهم ، وأمات الفسق ضمائرهم في ضعف أمتهم قوة لهم ، وفي ذلها عزهم . فهم دوماً يسلكون سبيلاً غير سبيلها ، وهم أبدأ يعملون مع عدوها هذا هو حال أولئك المخلفين المنافقين في فلسطين اليوم ، وكذلك حالهم في كل زمان ، وكذلك يكونون في كل أمة ، يدخلون في عدادها وهم أعداؤها ، وينتمون إليها وليسوا منها ، وكما في الحيوان والنبات طفيليات تعاق جسمه وتلتصق به فتأكل غذاءه وتنفس هوائه وترحمه في معايشه وتعوق نموه فيؤدي ذلك إلى ضعفه فقنائه

كذلك في البشر طفيليون هم هؤلاء المنافقون ، يعملون في الإنسان عمل ذلك الحيوان والنبات ، حذوك النمل بالنمل وكما يعمد صاحب البستان في تعهد نباته إلى المبادرة بازالة هذه الطفيليات عنه والسرعة في إفنائها استبقاء له وحفظاً لثمره ، كذلك يفعل الناس بالمنافقين الخائنين منهم يعمدون إلى إزالتهم ويعملون على إبادتهم كما يحفظوا أنفسهم ، وتسلم لهم نفوسهم وجيودهم

ولئن كان الناس منذ القديم يرون في أعمال هؤلاء أعظم الضرر وأساء الجريمة ، ويمدون فعلتهم خيانة عظمى لا تعدلها أية خيانة ويجعلون جزاءها الموت ، فكذلك كان حكم الله عليهم ، وكذلك كان قوله فيهم إذ يخاطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لأغرينك بهم ثم لا يجاوروك فيها إلا قليلاً . ملعونين ، أيما تقفوا أخذوا

وقتلوا تقتيلاً . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .
 فانه سبحانه حين ينذر هؤلاء باغراء رسوله بهم ، وباخراجهم من البلاد فلا
 يجاورونه فيها وبلغهم وعاردهم من رحمته ، فهو يطالب بتعقيبهم داخل البلد وخارجها
 وأخذهم أينما وجدوا وأن يقتلوا تقتيلاً . ذلك أنهم حيث ما كانوا لا يدخرون
 وسعاً في أذية أمتهم والكيد لقوتهم وموالاة أعدائهم .

وتلك سنة الله في الخائنين من خلقه من قبل ومن بعد ، وذلك حكمة في
 كل زمان على المنافقين ، وعلى الذين في قلوبهم مرض من خور وفسق يصدون عن
 رضاء الله وصالح قومهم حباً لذاتهم واتباعاً لشهواتهم . وذلك حكمة أيضاً على الذين
 يرجفون حول المؤمنين فيشيعمون أخباراً سيئة عنهم ويقومون بالدعايات المغلفة
 ضدكم لاضفاف شأنهم وتوهين قراهم وتثبيط عزائمهم كما يفعل الخائنون المنافقون
 في فلسطين اليوم .

وما أشبه حال المنافقين اليوم حين أدلى كبيرهم بحديث لبعض الصحف المصرية
 يقول فيه « لو كنا نعلم أن هذه الثورة تقوم ضد الانكليز واليهود لساهمنا
 فيها ولكنها تقوم ضد العرب أنفسهم » . ما أشبه ذلك بحال المنافقين في عهد
 رسول الله فيهم ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو
 ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لا تبعنكم ، هم لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان
 يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يسكتون ﴾

بل ما أشبه هؤلاء الخائنين في فلسطين إذ تخلفوا عن المؤمنين في قتالهم
 وجهادهم وقعدوا من ورائهم يعوقون الناس عن الجهاد بشتى الوسائل ويخوفونهم
 بأس العدو وقوته - ما أشبههم بأسلافهم المنافقين الأولين الذين يقول الله فيهم
 حين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله والمؤمنين ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
 رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا
 في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلاً وليسكوا
 كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ إلى أن يقول تعالى في الحكم عليهم ﴿ ولا

لا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون ﴿

وكما أصدر أحد أئمة النفاق يابا أسماه الناس « الورقة الصفراء » لما فيه من صفرة الحياة . تردد فيه إلى اليهود وتغنى بحاسنهم ورحب بهم أن يكونوا أصعب البلاد في حين يريد المؤمنون إخراجهم منها . ومنهم بالتصارع حزبه حزب الشيطان لهم . وأغرام بأن يكون عونهم ليشيع جشعه من أموالهم . فكذلك قال أئمة النفاق لليهود السابقين حين عمل المؤمنون على إخراجهم من المدينة وكذلك وعدوهم ومنهم فقال الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً . ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم . ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴿

ذلكم بعض ما يقرم به في فلسطين المنافقون الخائنون الذين يتولى زعمائهم بأنفسهم أكبر أعمال الخيانة قمرهم والتجسس للمدو عليهم والاغراء بالمجاهدين العمامين . والدلالة على معاقبهم ومواطنهم والارشاد إلى أماكن أسلحتهم وذخيرتهم . والمساعدة على قيامهم وتمذيبهم مع أولادهم ونساءهم وهدم مساكنهم وإتلاف مؤنهم وأموالهم كما صنعوا في قرى بيت جبار وكفر مالك وحاحول والمزردة الشرقية وبيت ربما وغيرها من القرى والمدن العربية يبتغون بذلك العزة عند العدو ويطلبون الرفعة لديه « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عصبهم العزة فإن العزة لله جميعاً »

إن ما يقرم به هؤلاء المنافقون من فساد في الأرض وحرب لله ورسوله فليأذنوا أذن بحرب من الله والمؤمنين « إنما حزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم »

ذلك أحكم الله على المنافقين الخلفين الخائنين وذلك قوله فيهم ومن أصدق من الله قولاً ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .

فليحذر المؤمنون في فلسطين هؤلاء المنافقين ولينفذا حكم الله فيهم . من غير أن تأخذهم بهم رافة أو تمنعهم منهم صلة وقرى « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذنين . كتب الله لأذنين أنا ورسلي إن الله قوي عزيز . لا تجد قرماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه وبدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المنصرون »

كلمة الاستاذ الامام في المنار

وتدشك المنقير له صاحبه

من قلة الاقبال عليه

الناس في حماية عن النافع : وفي انكباب على الغار ، فلا تعجب إذا لم يشرعوا بالاشتراك في المنار ، فإن الرغبة في المنار تقرى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر بما هو أرحم للآجل وأعونه على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الأغنياء قليلاً والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الأمل في نجاح العمل .

المنار والاصلاح

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح إسلامي لا تجاريها في مضمارنا مجار ولا يسبقها في حلبتها سابق كانت تعنى بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية على طريقة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله فيه مدآن تقرر المعنى تقضى بما في الآيات من العبر مقارنة بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به وما عليه مسلمو هذا الزمان مهينة بهم منذرة لهم مبينة ما يحدثه المتبدعون في الدين من البدع مجلية شبه الضلال والملاحدين من الأمة بالأثرة الواضحة والحجج الساطعة وكان صاحبها أستاذنا العلامة السيد رشيد رحمه الله لا يخشى في الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا مجامل صديق ولا إصانع عدوا ولا يرى غنيا لغناه ولا فقيرا لفقره وكانت خاتمة الحاشي ما ناله الخالص رانامام ما انتهى اليه تفسيره (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وإي في الدنيا والآخرة ترفنى مسلما وألحقني بالصالحين) يالها من خاتمة حسنى وموقف جميل لم يكن إلا بتوفيق من الله لبيد رضى الله عنه وتولاه وأدخله في عباده الصالحين وأوليائه ولما توفى السيد رحمه الله قلت وقال الناس معي :

شمعة أطفئت وشمس توارت وكأن الحياة لمع سراب

ووقف للمنار وتوارى عن الظهور وخلا الكرمى ولم نجد من يملؤه بعده ولا من يسد مسده ذبا عن الاسلام ودرءاً للشبهات وبيانا لماقية الاملام حتى مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن يهب الاملام مرشدا رشيدا يغىء النهج وليل الجاهالات قائم وكأن الله سمع دعاءنا فقبض لمجلة المنار من بين يديها بعنا جديدا مصقفا إذا خطب مدرها إذا كتب ذكرى الفؤاد قادرا على حمل الأعباء

مالاً ألعيا وشجاعاً عبقرياً ذلك هو الأستاذ الرشيد الجليل الشيخ حسن البنا الرشيد
العالم بجماعة الإخوان المسلمين حفظه الله فنهته بهذا التوفيق ونهى مجلة المنار
وفراها بتولى حضرته رياسة تحريرها ونسأل الله له التوفيق والسداد والعون
على القيام بها

وقد اتدبني حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه وما كنت لأخافه لولا أغفال
كثيرة وأعمال متواصلة تستنزف الوقت كله ولكن لا بد من تلبية الطلب كلما
وجدت الى ذلك ميلاً بحول الله رفقته وإن كنت مزجى البضاعة عاجز اليراعة
وقه الاستعانة وعليه التكفل ولا حول ولا قوة إلا بالله
وسبكون موضوع كتابتي ان شاء الله الكتاب والسنة والدعوة إلى الله
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح ما استقامت وما ترفقني إلا بالله
عليه توكلت وإليه أئيب وكتبه أبو السرح

لماذا تأخر المسلمون

والاذا تقدم غيرهم؟

هذا سؤال طالما رده المصلحون وكثر ما حاروا في الاجابة عنه . وعظمت
دعوتهم حين رأوا المسلمين يتحدرون إلى هوة الضعف والاستكانة مع كثرة
عدهم وخصب أرضهم وتمدد وسائل النجاة عندهم .
وقد أجاب على هذا السؤال عطوفة الأمير شكيب أرسلان في كتابه
« لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » إجابة شافية جامعة مانعة وأبان بأنصح
برمان وأقوى دليل أبواب نجاح المسلمين الأولين وفشل المسلمين الآخرين وكشف
عن سر تقدم الغربيين واليابانيين . والكتاب في باب حجة دامغة وصفحة مجيدة
ليس لمسلم غناء عنه . فنشكر لعطوفة الأمير عمله العظيم ونحس جميع المسلمين
على قراءة كتابه النافع وهو يباع بمكتبة الحلبي بجوار المشهد الحسيني وغناه
خمس قروش

اتجاه محمود في الشرق العربي

بقلم الأستاذ عيسى عبده المدرس بدارس التجارة المصرية

وعضو لجنة المعارف بنشستر

أرى في أيامنا هذه اتجاهاً طيباً يتخذه بعض إخواننا في مصر وغيرها من البلاد العربية . وسيلتهم فيه البحث الدلعي المستنير وذايتهم خدمة السواد من أمنا العربية . وهذا السواد هو من غير شك أول الناس بجهودنا نبذلها في سبيل التخفيف عنهم اليوم وإسعاد أبنائهم في الغد اقريب — على أننا لا نزال في أول الطريق . فقد بدأنا بدراسة شئون العامة دراسة تمهد للإصلاح المرجحي، من ذلك ما يقوم به الأستاذ صمار بجامعة منشستر والدكتور الشافعي بجامعة فؤاد بالقاهرة والبروفسور تود بجامعة بيروت والمستر بتلر رئيس المكتب الدولي لامل بجنيف . وكلهم تناول شئوننا شرقية أو معربية بحنة . ولكن الناظر في الشؤون الشرقية والعربية من نواحيها الاجتماعية يجد ظواهر مشتركة بين الإفطار جميعاً . وهذا أمر طبيعي في بلاد جمع بينها منذ ثلاثة عشر قرناً أر تزايد وشائج لاتهن ولا تضعف أساسها وحدة الدين واللغة وبعض آثارها هذا الذي نرى من وحدة الالم والامل — فن وصف بعض هذه الإفطار فقد عرف عن بعض مادام وصفه يتصل بالنظم الاجتماعية :

وحدثنا اليوم يتناول فريقاً كبيراً من سكان مصر . ولي منه غرضان : أولهما أن يكون دعوة إلى الشباب المتقف في الإفطار العربية كافة أن يقوم بعض القادرين منهم بمثل البحوث التي قام بها الغرب من زمن والتي بدأتها مصر مؤخراً .

وثاني الغرضين أن أبين ما ينتظر منا نحن المتعلمين من مساهمة في حركة الإصلاح .

حين درست أحوال العمال منذ طامين تقريباً تكشفت أمور قد تغيب عن بعض
وقد يتجاهلها بعض آخر سأذكر بعضها تزكية للدعوة التي أوجهها إلى كل
عربي فالحال في بلادنا كما قدمت واحدة .

طبقة الإجراء في مصر تشمل العامل الصناعي والعامل الزراعي ومن نداهما
من الإجراء . وتكون الغالبية العظمى من الشعب ولئن كانت البيانات التي
اعتمدنا عليها في كلتنا هذه قد جمعت من نحو (١٠٠) ثمان مائة أسرة من أسر
العمال المقيمين في القاهرة فإنها تعين على تكوين صورة صحيحة عن حال الإجراء
بوجه عام مع تحفظ واحد هو أنها أشبه بالحال في المدن دون القرى . فإذا
أردنا أن نرى خلالها بيت العامل الزراعي وعيشه وجب أن نزيد من ألوانها القائمة

مياة العامل

يبدأ الكثير من العمال في سن مبكرة هي الخامسة عشرة . هذا إذا تجاوزنا
عما هو سائد في القرى من استغلال لأحداث في أعمال لا تتطلب جهداً كبيراً
ولكنها رغم بساطتها تدوق نوم وتذوق عليهم فرصة تحصيل المبادئ الأولية
التي لاغنى عنها لأبسط طبقات الشعب . على أن هذه الحال تتبدل اليوم إلى ما هو
خير منها قللت تركتها جانباً ولنحصر القول فيمن تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر
عاماً وستين عاماً . هؤلاء موزعون كما يلي :

نسبة من لا تبلغ أعمارهم ٢٠ عاماً : من العمال ٨ في المائة ومن السكان ١٦ في المائة
ونسبة من لا تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٩ : من العمال ٧١ في المائة ومن السكان ٩٦ في المائة
ومن تتراوح « بين ٤٠ و ٤٩ : « ١٦ » » » ١٨ في المائة
ومن « بين ٥٠ و ٥٩ : « » » » ١٠ في المائة

أما الذين يتخطون الستين من بين العمال فلا يزيدون على اثنين من كل ألف .
ونظيرهم من السكان خمسة من كل ألف : ولقد حسبنا هذه النسب على عدد
الذكور دون الإناث فما يزال العرف في مصر والشرق يجري على أن كسب

العيش من وظائف الرجال .

لبعض هذه الأرقام دلالة قوية جدا . فنسبة الشباب الذي تتراوح سنه بين العشرين والأربعين والذي يستأثر به العمل أكبر من نظيرتها في سائر نواحي النشاط الاقتصادي كوظائف الدولة والمهن الحرة . من أجل ذلك جاز لنا أن نقول إن ما يصيبه هؤلاء من عيش ضئيل له أسوأ الأثر في اقوى الحيوية للشعب كله

أنظروا إلى الباقيين منهم بعد من الحسنيين في معترك الحياة تجدوهم خمسة من كل مائة . إذن هذا العدد الضخم من الشباب الأجراء البالغين واحداً وسبعين في المائة من عدد المال والذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين عاما يخرجون من ميدان العمل خلال الحلقة الخامسة من أعمارهم إلا عددا منهم قليلا . ولقد أثبت البحث أن عدد من يخرج منهم بالترقي إلى مصاف أرباب الأعمال أو مستندا إلى ثروة جمعها أو إلى ولد قادر يكفيه مشقة العمل في سن متأخرة قليل جدا وأنه أولى بالأفقال . وهكذا تبقى أسباب الخروج من العمل منحصرة في الموت والعجز . هذه الظاهرة المحزنة إنما هي نتيجة طبيعية لظروف العامل في حياته الخاصة . ونرى أنه في حياته القصيرة يزرع تحت عبثين مرهقين من إجهاد وحرمان .

تزايد السكان

ربما بدا غريبا بعد هذا الذي قدمنا أن يتزايد عدد الطبقات العاملة رغم هوامل الفناء المحيطة بهم . ولكن للتزايد أسبابا قوية منها أن نسبة الزواج بين العمال تبلغ ٧٦ في المائة وهي للسكان عامة ٦٦ في المائة ويكثر العامل بالزواج حتى أن نسبة التزوجين قبل سن الخامسة والعشرين تبلغ ١٠ في المائة وهي نسبة هائلة لسن مبكرة في طبقات أجورها لا تفي الفرد فضلا عن الأسرة وهنا يجدر أن نلاحظ ظاهرة تميز الشرق بصفة عامة مما عدها . تلك أن الزواج في معظم الحالات لا يكون نتيجة لحاجة الرجل إلى من يدبر شأنه أو يهيء له حياة

منزلة هادئة فبين المتزوجين من العيال ستون في المائة يعملون قريبات لهم كوالدة أو عذارى وأرامل من ذوى القربى . وقد كان هؤلاء العيال من قريباتهم غنى من ناحية الخدمة ودافع من ناحية النفقة على ألا يفكروا في الزواج في سن مبكرة . ولكنهم يفعلون بدافع ديني . وهذه حال لا يمكن أن تستتبع اللوم وإنما تستحق العطف والتهذيب .

أما عدد الأطفال فكثير . ولما كان الزواج مبكراً فالعيال تبعاً لذلك آباء في سن مبكرة كذلك . فنلا بين العيال من سن العشرين نجد اثنين في المائة لكل منهما ولد أو ولدان . فإذا بلغ الوالد من الخامسة والثلاثين كان عدد الأبناء كما يلي -

من كل مائة من الآباء :

عشرون	لكل منهم	ولد واحد
وسنة وعشرون	»	ولدان
وسبعة عشر	»	ثلاثة أبناء
وثمانية	»	أربعة أبناء
وواحد	»	خمسة أبناء
وواحد	»	سنة أبناء أو أكثر

أما إذا تمسكتنا معهم إلى آخر العمر فطبيعى أن تتزايد النسب الأخيرة فتصبح من كل مائة والد

أربعة وأربعون	لكل منهم	ثلاثة أبناء
وأربعة وعشرون	»	أربعة أبناء
وعشرة	»	خمسة أبناء أو أكثر

بل هذا رغم ارتفاع نسبة الوفيات بينهم واستثنائهم بموتى المواليد . ولولا هذان العاملان لتزايدوا بأسرع ما نرى رغم الظروف القاسية التي

تحيط بهم .

أشرنا فيما تقدم إلى أن ٦٠ في المائة من أرباب الأسر يعملون إلى جانب

أبنائهم وزوجاتهم أقارب لهم طاجرين عن الكسب . هؤلاء من طرحهم
أمواج الحياة صرعى جهاد ظالم يبعثون فيه بغير سلاح . آباء قضوا ربيع الحياة
في خدمات لا تعود عليهم إلا بما يمسك الحياة فإذا أقبأت سنو الشيب . وهذه
تبكر لامناهم أقدم العجز عن كل كسب . ونساء فقدن المائل بالموت أو
بسواه وورثن عنه البدين دون المال . وهكذا ينشأ الجيل الجديد مرعقاً بنبعات
تقال تنزهه بالعصبة أولى القوة . فيلتبس السلوى فيما يحط من قواه ولا يصلح
له شأن . ثم يدفع بولده جاعلاً هزيباً إلى معترك الحياة وهو بعد في مقتبل
العمر عساه يلتقط بعض الثنات فيعين أسرته . وكذلك ينشأ نشأة أبيه . وإذا
بالمأساة تنصل وتنتق فصولاً من جديد وقد تبدل اللاعب وما أسدل الستار

ساعات العمل

يتدر أن تقل عن ثمانى ساعات في كل يوم ونسبة ذلك ١ على ٢ في المدة
من مجموع الحالات وهي .

في ١٥ في المائة من الحالات	ثمانى ساعات
في ٧٠ في المائة	وعشر ساعات
في ٥ في المائة	وأربع عشرة ساعة
في ١٠ » » على أن من هذه الحالات	وست عشرة ساعة
الآخيرة ما يبلغ ١٧ وأكثر	

الاجور

منخفضة جداً تبدأ بقرش واحد في اليوم للأحداث في بعض الصناعات
وتزيد كلما تقدمت السن بنسبة لا تكاد تبلغ الثالث مما يجب أن تكون عليه
الحال . ونتيجة ذلك أن تزايد التبعات ولا تنمو الموارد بالدرجة الكافية .
ولا يمنع العامل أجراً عن يوم راحته ولا مرضه وأكثر الثنات شيوماً
هي فئة العشرة القروش والخمسة عشر إذ يتقاضى أجوراً تقع بين هذين الحدين
٣٠ في المائة من المال . وعقود الاستخدام كلها رهينة الظروف وأكثرها
قد يومية يتجدد كلما تجددت الحاجة . ولهذا أثر سيء

فالعامل لا يرتبط بنجدة معينة وكل خدماته موزعة بين الناس ومجهوده السابق يهب الظروف المتقلبة من حوله . فإذا ما بلغ القوة من حياته وأتقن عمله وشارف أجره رقما عاليا يبلغ ثلاثين قرشا في ثلاث حالات من كل ألف ويبلغ ٢٥ قرشا في ٢٢ حالة من كل ألف لم يستطع أن يحفظ على ما وصل إليه من أجر عال نسبيا لأن رب العمل يتبدل وقوى العامل تنحط مع الزمن وأنه في كل يوم سوق أصرها منبهة . ولذلك نرى الأجور العالية التي ذكرها لا تكون إلا ما بين العشرين والخامسة والأربعين من العمر ثم تنحدر بعد ذلك حتى إن أعلى الأجور لمن تبلغ أعمارهم ٥٠ عاما أو يتخطونها عشرون قرشا .
واقدر يلقي العامل من غنت رب العمل ضعفا آخر فيؤخر أجره ضمانا لمواظبته أو يؤخره حتى يتوافر لديه مال حاضر .

المساكن

هذه الانقاض التي يزدحم فيها المال إنما تسمى مساكن من باب التجوز . ومن كانت حاله ما قدمت فأني له المسكن الصحي ؛ بحسبنا أن نذكر في هذا الصدد أن إيجار المسكن يتراوح بين ٣٠ قرشا و ٦٠ في معظم الحالات وأن ٣٥ في المائة من الأسر تسكن كل منها غرفة واحدة أو أقل من غرفة إذا نذكر أسر ثان أو أكثر في واحدة . وأن ٦٥ في المائة من الأسر تسكن كل منها غرفتين أو أقل أما الخمس والهواء والماء وسعة المسكن وأثاثه فلا محل لذكرها فضلا عن بنائها

آثار هذه الحال

هي الآثار الطبيعية لمنهاتها . حياة قصيرة ممثلة وموت مبكر بخلاف للأحياء أعباء تعجل بدورهم . وإنتاج يدوي ضعيف . ومقدرة فكرية أضف وأما المستوى الخاقي فتؤذيه هذه الحال أشد الأذى . وكيف تستقيم الحال في أسر لاسكل منها مخدع واحد ينتم الزوجين وخمسة أبناء أو سبعة منهم شباب وفتيات ؛ وكيف نرجو طبيب الخصال إذا اندمست أسباب النقااة

والتربية والتهديب وثقلت أعباء الحياة في وقت معا ؟

أقضى أراه أن هذه الحال التي نعالج أخطر من أن تتناولها بالبحث النظري لتقف عند حد البحث . ربما جاز هذا إذا كان الباحث لا تربطه بهؤلاء الناس أو أصر الأخوة وروابط أخرى لا تنقسم . أما وهم قومنا وإخواننا وأبناءؤنا وآباؤنا فملينا ما هو أجدى من القول والبحث . علينا ألا نكتفى باقتراح رفع الأجور والموارد باقية على حالها . . . أو إدخال نظم التأمين والعامل لا يملك أسباب العيش الخشن فضلا عن نفقات هذه النظم . علينا نحن معاشر المعلمين واجبان أحب أن تنهض بهما اليوم راغبين فهذا خير وأبقى . وهو أولى بنا من أن يضطر اليهما أبناءؤنا في غد كارهين . فما الأول فهو أن نزل عن بعض نعمتنا الشخصية في سبيل هؤلاء الذين طال حرمانهم صابرين .

فمثلا إذا زيدت الضرائب على دخلنا من أجلهم دفعنا مقتبطين . وإن لم ترد دعونا إلى هذا بما أوتينا من علم وبيان . وإن قلت رواتبنا من أجلهم كذلك قبلنا في غير ضيق ولا حرج . وأما واجبتنا الثاني فهو أن يثبت بينهم افتادرون منا على معاشة الشؤون الاجتماعية يفتنمون صفوفهم ويرشدونهم إلى ما فيه خير . وهذا يتطلب تضحية بالوقت والمال في سبيل الدعاوة والمعونة لادبية والمادية . ولندكر جيدا أن منا نحن المعلمين من سيدتظم في هذه الصفوف إن عاجلا أو آجلا وهذه بعض آيات الرقي في الأمم فلننبه إلى إذن الجو لصغار إخواننا ولا بنائنا . وهذا دافع شخصي يضاف إلى ما تقدم من إثبات كريم

كذلك فلندكر أن هذه الجموع التي بدأنا اليوم ذكر فيها . . . هي التي تمد الدولة بأكثر عدد من الرجال فينتظم بهم صفوف الدفع . وفي السلم كلما زادت كتابتهم زاد الإنتاج الأهل وارتفع المستوى للخاصة والعامة . غير أن الخطوات الأولى تتطلب كثيرا من جهاد النفس وشجاعة الرأي . ولقد تخطت الماركة طور البحث وتجاوبت أصدااء الدعوات . . . فلنكن ممن يبادرون بتلبية النداء ما

ظهور المنار ودلالته

لما توفي المغفور له السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار خشي المصلحون أن يذهب المنار بذهاب صاحبه ويخبو ضياؤه الذي لبث ثلث قرن يشع على العالم الإسلامي علما وثقافة وفضلا وخيرا وبركة ويضع العلامات في طريق الجهاد الإسلامي ليسلك المجاهدون على بصيرة وعلم ونور .

وقد حدث ما خشي المصلحون فانه صدر من المنار بعد وفاة صاحبه بضعة أعداد ثم توقف عن الصدور وخفت صوته المعروف الذي كان علامة آفاق الأرض وخلا مكانه من الصف وطويت أعلامه وظن الناس أن لن يعود

وكنا نخاطب عنه بحسب الإصلاح لينتاعزوا على إصداره ويحتموا على إرجاعه سيرته الأولى ، ولكنهم كانوا يمتدرون بأن هذا الأمر فرق طاقاتهم وأن وقتهم وحاضهم لا يسمحان بتحقيق هذه الأمنية العزيزة المرجاة .

وبينما التفتلاء في يأس من عودته إذ تقدم رجل شاك السلاح مدرع قد جمع في نفسه المؤهلات الكافية لخدمة الإسلام والحق والإصلاح . تقدم هذا الرجل ورفع راية الإصلاح المناري ونادى بأعلى صوته قائلا :

أيها الناس . إني على بركة الله وبتوفيق من الله أخذت على عاتقي إصدار المنار الأثر حتى لا يحرم المسلمون منه ولا تنقطع عنهم فيوضاته ولا ينضب معين إصلاحه .

فتلفت الناس إلى المتكلم فاذا هم يجدون الأستاذ حسن البنا المرشد العام للأخوان المسلمين والمصلح الذي وقف نفسه على نصرة الإسلام والمسلمين فاطمأنت قلوبهم رازنحت صدورهم وحمدوا الله عز وجل على فضله ونعمته وآلائه

وهكذا ظهر المنار بعد اختفاء وأسفر بعد احتجاب وكتب الله له الحياة على يد من لا يريد لقومه إلا الحياة .

وإن لظهور المنار دلالة نخب أن نسجلها هنا بإيجاز حتى يعرف القراء الحقائق

ويكونوا على بينة من الأمر ولا تأخذهم الخيرة مما يشاهدون أو يقرءون أو يسمعون .

لما توفي صاحب المنار رحمه الله تعالى حزن محبو الإصلاح وأصابتهم الحسرة على إغداد سيف كان يجاهد في سبيل الله ولا تأخذه في الحق لومة لائم ولكن قريباً آخر طرب وصفق وتبادل التهنائي والتبريكات لزوال من كانوا يظنونهم عدواً لهم لأنه يحارب تحريفهم ودجلهم وجردهم وقد جبروا فيما بينهم باقطاع المنار إلى الأبد وأقاموا الحفلات لضعف أخلاقهم فرجوع المنار يسر المصلحين المخلصين ويكتب الشامتين الضعفاء اليقين . ومن المدهش عندنا أن العمل العظيم إنما يكرم به فرد فذا أفلت منه ذنب في طي النسيان . وهذا صحيح إلى حد ما . ولكن حظ المنار كان طيباً فكتب الله له البقاء . ولما هرت رايته كان هوياً استناداً وارتكازاً للراحة والاستجمام ، وتقدم فضيلة الأستاذ حسن البنا إلى تسلم الراية ورفعها على القمة ليراها القادي والرائع فلم الجمهور أن عمل الفرد المخلص لا يضيع أبداً بل يقبض الله له من يحياه ويعدده بما يعمد إليه الشباب وتقويه .

وكنا نسمع من كثير من الناس أن دعوة صاحب المنار لا تتمدى أفراداً معينين ولا تصل إلى مدى يصح معه أن نقول بوجود الإصلاح في الأمة . ولكن الرغبة الملحة في إسداد المنار وقيام رئيس الأخوان المسلمين بهذا الإصدار يدل دلالة قوية على أن الأخوان وحم أولف كثيرة يؤمنون بهذا الإصلاح ويفقدونه بالآرواح وإذا عرف القراء أن الأخوان جمهورهم من الشباب النقف فلم علم اليقين مقدار تغفل الإصلاح الإسلامي العتيد في النفوس التي ترجيها الرفع شأن الأمة والدفاع عن ديارها وإعلاء مكانها .

هذه بعض أوجه الدلالة في ظهور المنار يعلم منها أهمية العمل الذي أخذه على عاتقه الأستاذ الكبير رئيس الأخوان المسلمين .

ونحن نقترح هنا ما يجب على القراء وعلماء المسلمين في مشارق لأرض ومغاربها ليؤدي المنار مهمته العليا النقية ولينجح النجاح المرتقب له من كافة المؤمنين المخلصين

أما اقراء فلو اوجب عليهم أن يعاضدوه حسا ومعنى ويعاونود بما في جهدهم
ليصلوا في ميدان الجهاد ويحاربوا ويستندوا في مقاومة كل ما ياتى بحق الاذى
بالاسلام والمسلمين ويرسل الجند نواحيهم تصرع أعداء الله وتحذل الذين
يريدون الاسلام بسوء .

وأما العلماء ائمة المؤمنين المخلصون الذين أحبوا المنار وأنشروا في قلوبهم
مبادئه السامية وطريقته النقية فعليهم أن يحبوا المنار بطقهم ويمدوه بأرائهم
المهتمة وأفكارهم المنيرة ويستخدموا علمهم النافع في تقويته وإنجازه وإكثار
أركان جريته .

ونحن نعلم أن محبي المنار الفضلاء الكائمين متبثون في أنحاء العالم الاسلامي
من الصين شرقا الى اوكراينا غربا ومن التركستان شمالا الى جنوب افريقية جنوبا
وهم بتوفيق الله في مكننتهم خدمة المنار الخدمة الجليلة ليكون صحيفة الاسلام
العالية في الدين والاجتماع وحتى ما يحتاج اليه المسلمون
ونعود فنهيء فضيلة المرشد العام بما ندب نفسه اليه من خير وإصلاح
كتب الله له انتجاح وأمدته بروح من عنده وأعانه على الجهاد في سبيل الله
والله قوي عزيز .

القاهرة . مصطفى أحمد الرفاعي البان

كتاب الفتح الرباني

لترتيب مسند الامام أحمد الشيباني

كتاب بلوغ الأمان

من أسرار الفتح الرباني

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظاً ورواية ودراية وفقهاً ،
وجرحاً وتديلاً .

ومسنده أوسع الأصول في الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة
لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستنادة منها ، وقد كان الناس في حاجة إلى من
يرتب أحاديثه على أبواب كتب السنن : فوفق الله خادم السنة السنية الأستاذ
الفاضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير (بالساطي) ، فرتبه وملك فيه
صيلاً لم يسبق إلى مثله .

وقد جمعه أربعين جزءاً ، كل جزء أربعة أقسام ، وعد أحاديث كل كتاب
بالأرقام ، واقتصر في السنة على اسم الصحابي . وقد صدر من الكتاب أحد عشر
جزءاً في أربعة وأربعين قسماً ، بحرف مشكول . وذيل بشرح وجيز يبدأ فيه
بذكر المسند ، فتفسير غريب الحديث ، فالضروري من معناه ، فتخرجه .
ففتح المحدثين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه وعن الجزء منه ١٢ قرشاً

الدين والعقل (أو) برهان القرآن

« تأليف الأستاذ أحمد حافظ هدايه »

في استنباط براهين عقائد الاسلام من القرآن الكريم مثبتة بأحدث النظريات والعلمية
يتمتع على مقدمة وسبعة أجزاء فيها نحو أربعمائة فصل ، وقد قرطه كبار علماء
العصر . فنحت الجميع على اقتنائه . وهو ثلاثة مجلدات . قيمة الاشتراك في المجلد
الواحد ١٠ قروش قبل الطبع . وفي الكتاب جميعه ٢٥ قرشاً . والثن بعد الطبع ٤٥ قرشاً
وترسل الاشتراكات باسم المؤلف بدار الرسالة شارع المبدولى رقم ٣٤ بمعايدى مصر

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْأَمْرَ يُطِيعُونَ أَمْرَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْزُقُهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَفَاتُونَ

الْمُلْكُ

يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُلَاقِ اللَّهَ فَلَاحِقَهُ
أَمْرٌ عَظِيمٌ أَمَّا
يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ أَمْثَلَهُمْ

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضرى « وما را » كذا الطريق

غرة رجب سنة ١٣٥٨ هـ

أغسطس سنة ١٩٣٩ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سورة الملوك
بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ »

أكدت الآية الكريمة الاولى في أول السورة صدق القرآن وأحقية ما نزل على النبي ﷺ من ربه وإن أعرض أكثر الناس عن الايمان به . وفي هذه الآيات الكريمة بيان لأول ما يجب أن يؤمن به الناس ويصدقوه ويصدقوا بأحقية وذلك هو الايمان بالله) فعرفة

الله والايمان به أول ما يجب أن تتوجه اليه اللهم وتعني به الفوس
وقد سلكت الآيات الكريمة بالناس إلى هذا الايمان أنوم السبل وهي
سبيل التفكير في مخلوقات الله وعجائب صنعته من رفع السموات
وتسخير الكواكب والاجرام وتدير الأمور والشئون وتصريف
الآيات والعبر ومد الأرض وبسطها وإمدادها بما ينفع أهلها من الجبال
والانهار والنبات والجنات على نسق رائع بديع هو الآية في الإعجاز
وصديق التصوير والاستيلاء على المشاعر والقلوب

(الله) أكبر أسماء الخالق سبحانه وتعالى وأجمعها لا يثنى ولا يجمع
والألف واللام من بنيته لم تدخل عليه للتعريف اذ هو أعرف المعارف
قال الخطابي والدليل على ذلك دخول حرف النداء عليه كقولك يا الله
وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام ألا ترى أنك لا تقول
يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل على أنها من بنية الاسم
(الله) اسم كريم للموجود الحق الباري الخالق المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد
بالوجود الحقيقي لا اله الا هو سبحانه - ولا تظن أنني أحاول بذلك الشرح
أو التفسير فكلمات الحق تبارك وتعالى فوق هذا ولكن أريد أن
أخلص لك رأى الاسلام الموجز الحق الذي بشيع الروح ويطمنن
القلب فيما يجب على المسلم أن يمتدده في ذات الخالق جل وعلا
وصفاته مستغن بالقليل عن الكثير فاعلم أن الاسلام قد أجل ذلك فيما يأتي
أولا - عدم التعرض للحقيقة والمامية من حيث هما مع التنبيه
على المخالفة البتامة بين ماهية الاله وماهية الخلق . يقول القرآن ذلكم

الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير «
سورة الانعام الايات ن ١٠٢ ، ١٠٣ ، وهو بذلك يشير الى الكف
عن التعرض للماهية ، ويقول أيضاً « فاطر السموات والارض جمل
لكم من انفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير » سورة شورى الاية ن ١١ ، وهو بذلك
يشير الى المخالفة التامة بين الخالق والمخلوقات جميعا . وفي الحديث :
« تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » (١) . ومن البدهي أن
هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام في شيء فان العقل البشري وهو عماد

(١) الحديث ورد بالفاظ يتفق معناها . قال الحافظ العراقي في تخریج
أحاديث الاحياء . رواه أبو نعيم في الحلية بالمرقوع منه باسناد ضعيف ، ورواه
الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في
الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر . وقال هذا إسناد فيه نظر —
قلت فيه التواضع بن نافع متروك اه . زاد الترمذي في الشرح قلت حديث ابن عمر
لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا
في كتاب التفكر وأبو الشيخ في العظمة ، والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن
مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب ورواه
أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق
فانكم لا تقدرون قدره » . ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة :
« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » الخ وتعدد هذه الروايات واجتماعها
يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد اه . نقلا عن
تعلیق صاحب النار علی رسالة التوحید .

المقيدة في الاسلام يقف الى الان موقف المعجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذي وصل اليه إنما هو الخواص والصفات والانوار أما الحقائق والبسائط المجردة فلم يصل اليها بعد . وما كان الاسلام يكلف الناس ما لا يتطوعون أن تدركه العقول والافهام :

ثانياً — التوصل الى معرفة صفات الآله وادراك كمالات الالهية ومميزاتها عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً ونحرر العقول والافكار من الموروثات والاهواء والاغراض حتى يصل الى الحكم العائب . والقرآن مملوء بالحث على النظر في المكونات والتأمل في المخلوقات وقد ذكر العقل في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعاً متروكاً بالتبجيل والتكريم والحث على الجد والعمل في ادراك الحقائق والسير في سبيل كشف مستوراتها وذلك من مثل قوله تعالى « إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » سورة البقرة الآية ١٦٤

ومن مثل قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر ٣٧ فهو في هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد بأقسامه ثم يرتب على ذلك

الحشية من الله لما بين معرفة الكون ومعرفة مكوّنه من صلة ومن
مثل الايات الكريمة التي نحن بصددّها من سورة الرعد

ثالثا - ايات صفات الكمال للخالق نتيجة للنظر في هذا الكون
فالله موصوف في الا - لام بالوجود والعلم والقدرة وبالحياة وبالسمع
وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ مع الافرار بأن كفاياتها
وحُدودها مجهولة ضرورة الجهالة بذات الله تعالى وانكنا نعلمها علم
اليقين من وضوح آثارها في هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم
لما يجتلي في كونه من أسرار حكمته وقادر وعالم بأجمع معاني العلم
والقدرة لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة
محيطة وهكذا . والقرآن يعدد هذه الصفات في كل المنايات مثل قوله
تم الى ه هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
سورة الحديد ٢ - ومثل سورة الاخلاص وهكذا

رابعا - نفى صفات المشابهة والتشبيح عن الخالق . فالتشبيح
منفي عنه لأن المادة تتحول والخالق لا بد أن يكون ثابتا والتناهي
منفي عنه لأنه تركيب والاله لا بد أن يكون واحدا والابوة
والبنوة منفصلان عن صفات الخالق لأنهما تجزئه والخالق لا يتجزأ
وهكذا والقرآن يقرر هذا ويجادل عنه في منطق دقيق وحجة قوية
من مثل قوله تعالى (أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان
فيها الهة الا الله افسدنا السخ) الانبياء ايات ٢٢ - ٢٩ ومن مثل قوله
(قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون . الى قوله تعالى . ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من إله اذن لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) المؤمنون الايات ١٤-٩٢ وقول مثل ذلك في نفى التثليث وغيره من عقائد الأمم السابقة جميعا

خامسا - تقوية الصلة بين الوجدان الانساني والخالق حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا وذلك أن الوجدان الانساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة والارثام فالإسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكافية في الانسانية لتتصل بالله تبارك وتعالى وتسمو الى حظائر الملأ الأعلى. يقول للقران الكريم (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد اية ٢٨ وفي ذلك يقول أحد الفلاسفة الكونيين (إن ضمايرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تشهد به عقولنا) ويصور القران هذا المعنى في الاية الكريمة (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعين إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) الاسراء اية ٩٧

هذه الصلة الخفية بين الضمير الانساني وبين الخالق التي تبدو في غاية الوضوح واجلاء عند الشدائد التي تنقطع فيها الامال هي التي تدعو الاسم كثيرا على أن تكون ضروا يتعرف به الانسان خالقه العظيم سبحانه وتعالى

سادسا - مطالبة المؤمنين بأن تظهر دليهم نتائج هذه العقائد

العملية فالمؤمن إذا اعتقد أن ربه قادر كنت نتيجة هذه العقيدة العملية أن يتوكل عليه ويلجأ إليه وإذا اعتقد أنه عالم راقبه واستتوات عليه خشيته وإذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه إلا إليه وحده وإذا اعتقد أنه عظيم عظمه فخافه وأحبه وهكذا وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة في كثير من المواضع قال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) سورة الأنفال الآيات ٤٠٢ والآيات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى وكل عقيدة لا تنتج أثرها ولا تحمل صاحبها على مستلزماتها فهي عقيدة واهية ضعيفة لا تؤدي إلى الإيمان الكامل الصحيح

وأمل من تمام هذا البحث أن أنقل لك بعض عبارات المؤمنين الصادقين في التعريف برب العالمين جلست ذاته وتقدمت صفاته . سأل ذعبل الجاني علياً كرم الله وجهه فقال هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضى الله عنه أفأعبد ما لا أرى فقال السائل وكيف تراه ؟ فقال : (لا تدركه العيون بمشاهدة العيان وإنما تدركه القلوب بمحائق الإيمان قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مبين متكامل لا يروية مرید لا بهمة صانع لا بجراحة لطيف لا يوصف بالدفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالخاسة رحيم لا يوصف بالرفة تعنو الوجوه اعظمته

مخافته ومن كلامه رضى الله عنه في هذا المعنى (لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل معدود. أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له) اه
من نهج البلاغة (١)

وسئل بعض العلماء عن صفته تبارك وتعالى فقال (هو الواحد المعروف قبل الحدود والحروف) وسئل آخر عن التوحيد ما هو فقال (ان تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات) ومن أحسن ما قيل في التنزيه قول بعض الصالحين (تنزه ربنا عن أحوال خلقه فليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بمحدونهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالله والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده معرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور في الأوهام فهو بخلافه فالذى ينظر الوجه به يرتقى التصوير اليه لا تماثله العيون ولا تقابله الظنون علوه من غير توكل وبحيثة من غير تنقل « هو الأول والاخر والظاهر والباطن ليس كمنزله شيء وهو السميع البصير »

« الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » يحسن قبل الكلام عن

(١) في نسبة ما جاء في نهج البلاغة لعلي رضى الله عنه اختلاف المعروف بين الأدباء وسواء أكان هذا القول من كلام على رضى الله عنه أم من كلام الشريف فمعناه من حيث تعظيم الله وحسن الظن به رائق بديع

رفع الله سوات وما يليه من آيات الكون . في هذه الآيات البينات أحب أن
الفت النظر الى أصاين مهمين (أولهما) حكمة ذكر المظاهر الكونية
في القرآن الكريم (وثانيهما) معرفة مدى ما وصل اليه العقل الانساني
في تعرف حقائق هذه المظاهر

لماذا نذكر هذه المظاهر الكونية في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم ذكر السموات والأرضين والشمس
والقمر والسحب والأقطار والنبات والحيوان وعجائب الخلق وغرائب
المكونات في كثير من المواطن فهل يريد القرآن بهذا أن يتناول هذه
النواحي بالتحليل العلمي فيوضح للقارئ ما هيتمأ وكنها رعاصرها
وأجزاءها ويبيز لهم طبائعها وخواصها ويكشف لهم عن أسرارها واميها
وحقيقة قوانين سيرها ووقوفها ونحوها وضعفها - أم أن القرآن
الكريم يعرض لكل هذه الظواهر الكونية لغرض آخر غير هذا
التحليل العلمي ويدع هذا التحليل لوقته والظروف الملائمة له عند
ما تنهيا العقول البشرية لقبوله وإدراك غوامضه وأسرارها ؟

لا شك أن القرآن الكريم لم يجر ليكون كتاب فلك ولا هيئة
ولا كيمياء ولا هندسة ولا تغير ذلك من الشؤون التي تتناولها العلوم
الكونية البحتة . وإنما جاء ليكون كتاب هداية وإرشاد وتطهير للنفس
البشرية وسمو بها الى الكمال الممكن اللاتق بجمالها وإيضاح وتقوية
للصلة بين الخالق والمخلوق وبين المخلوقين بعضهم وبعض وتقدير

للحقوق والواجبات وتفصيل للمصالح والمضار في الأمور والمنهيات
التي تنصل بسعادة الناس في معاشهم ومعادهم . وإن أشار في كثير
من الأحيان إلى دقائق العلوم الكونية . وعجائب النواميس التي تسير
عليها المخلوقات . وإنما جاء القرآن كذلك حكيم جليـلة (منها) أنه إذا
تناول حقائق العلوم والمعارف الكونية بالشرح والبيان . فقد قطع
على العقل البشري سبيل الرقي وحرمه لذة الجماد الملمى وقضى
على استقلاله وحرية باجمود واخلود ولم يبق للملأ فضل على الجهلاء
وكان الناس في المواهب سواء فلم تشهد الانسانية الاجيالا واحداً
يقضى عليه - بعد ذلك بالفناء (ومنها) أن طبيعة العقل البشري في
نشوئه وتكوينه لا تقبل هذه الطفرة ولا تحملها ، وإنما يسلك العقل
البشري في النوع الانساني مسلكه في الفرد والواحدله أطوار وأدوار
فهو ينشأ ضعيفاً لا يكاد يدرك ما حوله ثم تنمى أمامه آفاق الإدراك
وحدوده فلا يزال يتعلم فيعلم حتى ينفذ أقصى قوته ويأخذ من المعرفة
بالنصيب الذي كتب له وأنت إن فاجأته وهو في دور طفولته وضعفه
بما لا يستطيع ادراكه ولا يقوى على اكتناه ماهيته أذيته وشرده
وأضلته وقذفت به في مهاوى الفتنة والشك والارتباب وتصور أن
طفلاً سأل عن قوانين التيار الكهربائي كيف يقول وكيف يسير وكيف
تتحرك به القوى العظيمة وتشتعل بضوئه المصابيح القوية على البعد
والقرب سواء أو سأل عن أوجه القمر في نشوئه هلالاً ثم اكتماله
بدراً ثم عودته بعد ذلك من الكمال إلى النقص حتى يختفي جرمه ويختبئ

نوره أو سألك عن البخار كيف يدبر البواخر ويحمل على الماء الأعلام
المواخر أنتستطيع أن تتبسط في شرح ذاك لطفل صغير لم يتلق مبادئ
هذه العلوم ولم يستق بعد من معين هذه المعارف ؟

كذلك العقل الانساني في نشأته وأدوار حياته وأطوار نموه
دائم الرقي والاكتمال بحسب ما يكتسب من المعارف المتجددة والتجارب
المتكررة المتعددة . وما كان للقرآن - وهو كتاب المصور كلها والأتم
كلها والعقول جميعاً - أن يتناول من علوم الكون إلا ما يتفق مع مدركات
هذه العقول ثم يدع لرفيها الفكري الكشف عما سوى ذلك بحسب
فوائين النمو والارتقاء . وذلك من أدب الاسلام في التعليم ومن سنته
في ارشاد الناس الى حقائق المعارف . روى البخارى في صحيحه عن
على كرم الله وجهه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله
ورسوله) وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (ما أنت
بمحدث قوما حديثنا لا تبالغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة)

ومن هنا نستطيع أن نفهم السر في اجابة القرآن الكريم للسائلين
عن أوجه القمر بصرفهم عن السؤال ولفت أنظارهم الى فوائد ذلك
ومزاياه (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

(ومنها) أن القرآن الكريم لو عرض لبيان هذه الشئون كلها
واستوعب حقائقها وتفصيلاتها لصعب على الناس حفظه ولمضت
الأزمان الطويلة دون استيعابه نزولاً أو معرفة ولنسى الناس هديه
وارشاده فان كثير الكلام يذسى بعضه بعضاً . ولقد يسره الله تعالى

وسهله ليكون ذلك أدعى الى تذكره وأقرب للوصول الى مقاصده
والعمل بما فيه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

تلك هي بعض الحكم التي من أجلها لم يتناول القرآن الكريم حقائق
العلوم الكونية بالتفصيل والتوضيح وترك ذلك للعقل البشري يرقى
اليه يبحثه المتواصل ويتذوق لذة معرفته بكفاحه وجهاده وهذا الك
حكم أخرى لا نطيل القول فيها وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد
والكلام في أسرار كتاب الله ذاسعة

ومن ذلك نستطيع أن نقول ان القرآن الكريم جاء بهذه الظواهر
واستعرضها وعرضها على الناس في كثير من المواضع لغرض واحد
هو العبرة والمظة ولفت العقل والقلب الى ما فيها من جلال وروعة
ورقة واعجاز وابداع لا يكون الا عن صانع حكيم متصف بالكمالات
كلها لا يلاحقه نقص ولا يناله قصور جل ربنا عن ذلك وتعالى عما
كبروا يسوق القرآن كل ذلك ليكون سبيلا الى معرفة الخالق والايان
بانه وفي الوقت الذي يقصد فيه الى هذا المعنى نجد أن في ذكر هذه
الخلوقات ولفت الانظار اليها ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح
بعلو منزلة العلماء بها دفعا بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار
هذا ليكون العجيب

ذلك مع الاشارات اللطيفة الى بعض الحقائق الدنيوية التي تعموا
لها عقول الخاصة وتنحى أمامها هام الفطاخل من الراسخين في العلم
يتلوهما عليهم أمي كريم لم يدخل جامعة علمية ولم يتعلم في مدرسة كذكر

ناموس التلقين (وأرسلنا الرياح لواقح) وذكر ناموس التقدير في المخلوقات (إن كل شيء خلقناه بقدر) وغيرها من النواميس

والمجيب في شأن القرآن الكريم أنه حين عرض لهذه المكونات ساق الكلام عنها في مساق غريب وأسلوب مدهش معجز حقا يسائر تمام المسيرة الإدراك الفطري ويتفق تمام الاتفاق مع التحليل العلمي والبحث الفلسفي المنطقي فهو يجمع بين الشعر والمنطق ويغذي العاطفة والعقل ويرق الشعور والفكر ويستولى على الإرادة كل الاستيلاء ويفيد هذا وذلك الأثر المقصود والعزة المنشودة وذلك من أسرار الإعجاز التي انفرد بها القرآن الكريم وامتاز بها كلام الخالق العليم عن كلام المخلوق القاصر العاجز

تقرأ مثل قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) فتصور هذه الآية الكريمة في النفس العادية ذلك المعنى الفطري السهل وتمثل لها ذلك الضلال رجلاً منهموكاً متعباً قد بهرت أنفاسه وقطع نياط قلبه مما حمل من أعباء الضلال كأنما عليه أن يقاسى في مرارة متجددة هول صمود السماء والاية بهذا المعنى الفطري تحدث في تلك النفس المامية ما قصدت إليه من تأثير في تقبيح صورة الضلال والابادة عنه وهذه الآية نفسها تنير في النفس العلمية ذلك المعنى الكوني الذي أبدته البحث وأثبتته العلم من تخلخل طبقة الهواء كلما علا الإنسان عن سطح الأرض وفناء عنصر الاوكسجين منها وهو العنصر الصالح للتنفس

فتنقطع بذلك أنفاسه ويقف عن التنفس صـ صدره فيزول عنه معنى الحياة جملة بل إن الضغط الهوائي ليختل توازنه على جنبات جسمه باطنها وظاهرها فتنفجر عروقه ويسيل في الفضاء دمه مهدورا والآية بهذا المعنى العلمي تحدث الأثر المقصود لها كذلك من تقبيح صورة الضلال وإبعاد الناس عنه

هذا معنى من معاني الإعجاز لم يتفق لغير القرآن الكريم ولو كن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

وأسوق لك هنا بمناسبة هذا البحث ما ذكره الأستاذ الامام عند تفسير آية الأهلة في بيان موقف الروحي من العلوم (١) قال رحمه الله (العلوم التي نحتاج إليها في حياتنا على أقسام - منها ما لا نحتاج فيه إلى أستاذ كالمحسوسات والوجدانات فهذا هو (القسم الأول) ومنها ما لا نجد له أستاذا لأنه مهلا مضح للبشر في الوصول إليه البتة وهو كيفية التكوين والإيجاد الأول المعبر عنه بسر القدر - يمكن للنبأ أن يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والأطوار التي يندرج فيها مذبكون نقطة إلى أن يكون إنسانا عاقلا مستقلا ولكن لا يعرف نبأ ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أو مادتهما لأول مرة

ولا كيف وجد غيرها من المخلوقات ومن هنا كانت العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة . جهة الابداع والخلق . لا يمكن اكتناهاها وكذلك لا يمكن اكتناها ذات الله تعالى وصفاته وهذا هو (القسم الثاني) ومنها ما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب تطور الهلال وتنقله من حال الى حال وهذا هو (القسم الثالث) ومنها ما يجب علينا للخالق العظيم الذي أودع فطرنا الشعور بإسطانه وهدى قلوبنا الى الايمان به بما نراه من آياته في الآفاق وفي أنفسنا فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما من حيث ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفي حكمة خلقنا ومراده منا وما يتبع ذلك من أمر مصيرنا ومن حيث ما يجب له من الشكر والمباة وهذا مما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعي أو كسب بشري فقد وقعت الأمم في الحيرة والخطأ في مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فمنهم من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تقيد أو تؤله وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لأجل ذلك . ومنهم من توهم أن الحياة الآخرة تكون بهذه الأجساد والجزاء فيها يكون بهذا المتاع فاخترعوا الأدوية لحفظ أجسادهم ومآعهم (١) . وإذا كان الانسان عاجزا عن تحديد ما يجب

(١) والتي يؤخذ على هؤلاء قصور ادراكهم عن إمكان الاعادة بعد التحليل في الأجساد والمساواة بين نعيم الدنيا والآخرة مع أنه لا نسبة بينهما فقيم

عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الاخرى وما يجب عليه في الحياة الاولى شكرا لله واستعدادا لتلك الحياة لان الخواص والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل اخر يدرك به ما يعوز أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل . وهذا هو (القسم الرابع) وبقي (قسم خامس) وهو ما يستطيع العقل البشري إدراك الفائدة منه ولكنه عرضة للخطأ فيه دائماً بعرض له من الاهواء والشهوات التي تلقي الفسادة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو تشبه منافع الضار وتلبس الحق بالباطل ومثال ذلك السعاية يدرك العقل ما فيها من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية لشخص يزينها له هو او يراها حسنة من حيث هو يخفى عليه ضررها لذاتها . وكذلك شرب الخمر واخشيش قد يعرف الانسان مضرتهما في غيره ولكن الشهوة تحجبه عن إدراك ذلك في نفسه فيؤثر حكم لذته على حكم عقله انذى ينهيه عن كل منار فصار محتاجا الى معلم اخر ينصر العقل على الهوى ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدى

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانهم ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التي وهبها الله إياها ليصل بها الى ذلك ، وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني اسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى الآخرة أجل وأعظم من أن يقاس بهذا المتاع الغالى مهما بالغ الناس في المحافظة عليه

الله جهرة ، وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس والعقل متمذراً
أو تحديده متمسراً فهو الذي نحتاج فيه إلى هاد مخبر عن الله تعالى
لنأخذ عنه بالإيمان والتسليم ولذلك قلنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
عقل الامة

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب
أن تعطّل مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم
أن يتلقى كل فرد من أفراد معلوماته بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل
في كل أمة كافياً لتعالم أفرادها في كل زمن كل ما يحتاجون اليه من
أمر ومعاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب ألا يكون الانسان
هذا النوع الذي نعرفه

نعم ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ينبهون الناس بالأجمال
إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي
ترقى بها نفوسهم ولكن مع رصدها بالتنبيه على ما يقوى الإيمان
ويزيد في البرة اهـ

ونستطيع بعد ذلك أن نلخص موقف القرآن من العلوم الكونية
المصرية وغير المصرية مما سبقها أو مما سيلحقها أو موقف هذه العلوم
من القرآن الكريم في هذه النقاط ..

(١) ليست مهمة القرآن شرح بحوث هذه العلوم تفصيلياً وإنما
ترك ذلك للعقل الانساني يكشف في كل طور من أطوار رقيه وكآله

جزءاً منه يتناسب مع قدرته وما أتبع له من وسائل البحث والادراك السليم

(٢) إنما عرض القرآن لما عرض له من هذه البحوث تنبيهاً لما فيها من دقة الصنع وجمال الابداع ليكون ذلك حافزاً إلى معرفة الله وصدق الايمان به كما يكون حافزاً إلى دوام البحث والنظر كذلك

(٣) ان هذا لم يمنع القرآن الكريم من أن يتعرض لكثير من النواميس الدقيقة في هذه العلوم ارشاداً للخاصة من الناس واثباتاً للنسبة هذا الكتاب انكريم إلى المعلم الحكيم

(٤) كان أسلوب القرآن في التكلم عن هذه المظاهر الكونية أسلوباً معجزاً حقاً... فيه إجمال وفيه دقة وفيه وضوح إلى جانبها، فهو يرضى النفس الفطرية كما يشبع نهمة الفكرة العلمية كما لا يمكن أبداً أن يصطدم في مرونته وسعة معاني أنفاظه بنتائج البحث العلمي أيا كان في أي عصر من المصور، وهذا من أبلغ وجوه إعجاز القرآن

(٥) ان القرآن بهذا الأسلوب فارق ما في أيدي الناس مما يزعمونه التوراة والانجيل فقد امتلأت بالتفريعات الدقيقة لهذه العلوم والتفصيلات الشاملة للتحديث عن كل مظاهر الكون والتصوير المادي لكل ما فيه فكانت نتيجة ذلك أن اصطدمت هذه المذاهب والآحكام بنتائج البحوث العقلية الثابتة فسقطت قيمتها العلمية في نظر الكونيين سقوطاً لا قيام لها بعده، وكانت عن ذلك الخصومة اخادة التي ذهب ضحيتها كثير

من العلماء أمثال غاليليو وغيره وانتهت بأن قبح الدين في زوايا الكنائس والاديرة وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله وهو قد ساير العلوم والمعارف منذ نزل على قلب محمد ﷺ فأشرقت الدنيا بنوره الى الآن فلم يصطدم بنظرية علمية صحيحة ولم يخالف حقيقة كونية ثابتة ولم يأنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك لأنه تنزيل من عزيز حكيم (٦) والنتيجة من هذا البحث أنه لا يصح للمسلم أن يعترض نصوص القرآن بنتائج هذه العلوم فإن من هذه النتائج ما لم يثبت بعد ومنها ما توهم العقل البشري ثبوته في عصر ثم نقضه أشنع النقض في عصر آخر وتلك طبيعة الترق العلمي كما ستري في الفصل الذي يلي هذا وفي التفسير الذي يجمع بين الايمان بالنص وإرضاء نتائج البحث الصحيح مندوحة، بل مخارج كثيرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا يجوز للمسلمين أن يقفوا عن البحث العلمي في مستورات الكون وخفاياه اعتمادا على ما جاء في القرآن من ذلك، ولا سيما القرآن نفسه مملوء بالحث على النظر في السكون ووجوب الازدياد من العلم - وقل رب زدني علما - ولعلك بعد ذلك تدرك سر هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم - فالأولى حث على تعرف ما يمكن معرفته مما هو في حيز البحث العلمي والثانية نهى عن مزاوله ما لا يمكن الوصول اليه حتى تنصرف الجهود للنافع

الى أى مدى وصل العقل فى العلوم الكونية ؟

محسن بعد هذا البحث أن نجيب على هذا السؤال ليعلم المغرورون بنتائج البحث العلمى الى أى مدى وصل العقل الانسانى فى حل مشكلات الكون وكشف مستوراته ؟ وسنورد فى هذا البحث بعض الشواهد من كلام علماء الكون غير المسلمين وامتدحهم عن ذلك مقدما . فلست فى حاجة الى تأييد كتاب الله تبارك وتعالى بغير ما هو فيه ولكننا قصدنا بذلك الى أمرين ، أولهما انتزاع الدليل من غير المؤمنين بالقرآن ليكون ذلك أبلغ فى الفضل وأقوى فى الاستدلال : «والفضل ما شهدت به الأعداء» وثانيهما . إقناع المغرورين بعلوم الفريضة المفتونين برقى أوروبا المادى أعظم الفتنة إذ اعترفوا أن أساتذتهم قد أعلنوا المعجز واعترفوا بالتصور وطامنوا من غرورهم وخفضوا من حدة تمصيبهم لما لا يعلمون والله الهادى الى سواء السبيل .

أقد أتى على الناس زمان نالت فيه الكشوف العلمية المادية ولمس الناس آثارها العملية فى مجرى حياتهم الدنيا . وظن علماء الكون أنهم وصلوا الى لب الحقائق وابتكروا من النظريات والتواعد ما يستطيعون به تفسير كل المظاهر الكونية . وأعلن كثير منهم فى ذلك الوقت تبرمه بالأديان وأنها العقائد ومعتقداتها وطغت موجة من الاتحاد على العقول

والأفكار ثم لم تلبث هذه الموجة أن انحسرت أمام ما تجلى لهؤلاء العلماء أنفسهم من عظمة الكون، وأمام ما انكشف لهم من النواميس التي هدمت ما اطمأنوا اليه من قبل وما اعتقدوا أنه الحق فطامنوا من غرورهم واعترفوا بقصورهم وأعلنوا هذا المعجز التام . وواصلوا بحوثهم في تواضع وأدب

ذلك أمر طيب يبي فان هذا العقل السائح في ملكوت الله لا يستطيع أن يكشفه جملة ولا أن يصل الى مكتوباته طرفة فهو لا بد أن يبلغ المدة التي كتبها الله له باحثاً متقبلاً ولا بد أن يصل الى الحقائق متدرجاً ولا بد أن يخطئ مرة ويصيب أخرى فيتلقى عن الخطأ درساً ويكشف بالصواب حقيقة وهكذا دواليك. على أن العقل مهما بلغ من الكمال فهو لم يصل بعد الى حقيقة شيء من الأشياء إنما كل ما ظفر به بعض العوارض والصفات التي تنفع الناس أما حقائق البسائط المجردة فهو لم يصل الى شيء منها بعد . وأغلب الظن أن ذلك ليس من شأنه ولا مما يعنيه وإنما هو سر الخلق الذي استأثر الله بحلمه

واليك بعض أقوال علي الكون في ذلك نستفتحها بقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد في هذا المقام

(اذا قدرنا عقل البشر قدره وجدنا غاية ما ينتهي اليه كماله إنما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الادراك الانساني حسا كان أو وجدانا أو تفعلا ثم التوصل بذلك الى معرفة

مناشئها وتحصيل كليات لانواعها والاحاطة ببعض القواعد لمروض ما يمرض لها ، وأما الوصول الى كنهه حقيقة فما لا تبلغه قوته لأن اكتناء المركبات انما هو باكتناء ما تركبت منه وذلك ينتهي الى البسيط الصرف وهو لاسبيل الى اكتناؤه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره . خذ أظهر الاشياء وأجلاها كالضوء .. قرر الناظرون فيه له أحكاما كثيرة حصلوها في علم خاص به ولكن لم يستطع ناظران يفهم ما هو؟ ولا أن يكنه معنى الاضناء نفسها، وانما يعرف من ذلك ما يعرف كل بصير له عينان وعلى هذا القياس اه

«١» ونحوث الفيلسوف الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه تحول المادة عن تطور المعارف الانسانية الكونية وقصور العقل البشري عن ادراك حقائق النواميس الطبيعية في كلام طويل تقتطف منه مايلي (كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد .. لان تاريخ العلم التجريبي المحقق لا يصعد الى أبعد من ثلاثة قرون وفي هذا العهد القريب قريبا نسبيا حدث دوران مختلفان من أدوار التحول في أفكار العلماء - فالدور الاول كان دور الثقة والاعتماد فكانت فيه المقررات الفلسفية والدينية وهي قواعد مدرجاتنا القديمة عن الوجود تضمحل وتزول ببطء أمام المكتشفات العلمية التي تتوالى يوميا ولا سيما في

«١» هذه الشواهد منقولة من كتاب « على أطلال المذهب المادي للاستاذ

محمد فريد وجلي »

النصف الاول من القرن الماضي وكان يظن مؤسسو كل علم جديد أنهم
 متى آمنوا ببناء الصرح العلمي استمر هذا الصرح قائماً إلى انقراض
 أوهام الزمان الماضي فكانت العقيدة العلمية في هذا الدور على غايه تمامها
 دامت هذه العقيدة في المقررات الكبرى للعالم المصري حافظة اقوتها -
 الى أن حدثت في الأيام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة فضت على
 الفكر العلمي أن يتكبد من الشكوك في نتائج بحثه ما كان يعتقد أنه
 قد تخلص منه أبداً لا بد من : فان الصرح الذي كان لا يرى صدوعه إلا عدد
 قليل من العقول العالمة تزعزع فجأة بشدة عظيمة فصارت التناقضات
 والمحال التي فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث تكاد
 لا تبلغها الظنون - أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين
 وأسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة لمقررات اليقينة
 لمعارفنا الطبيعية لم تكن الافتراضات واهية تحجب تحت غشاها جهلاً
 لا يسر له غور - فحدث في ادراك المقررات العلمية مثل ما حدث
 قبل ذلك للمعتقد الدينية^١ عند ما شرعوا في مناقشتها الحساب فبدأت
 ساءة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان - لا مشاحة في أن
 الاصول التي كان المسلم يحتال بها اختيالا لم تنزل كل الزوال بل هي
 سبقي أمدا طويلا في نظر الدهماء كحقائق مقررة - ونستمر الكتب

١ « يتعد الثوائف العقائد الدينية عندهم وآلاف عقائد الاسلام قد ساءرت

العلم في كل عصر فلم تضف امامه وقد بينا سر ذلك في الفصل السابق .

الابتدائية علي نشرها ولكنهما قد فقدت كل ما كان لها من الاجلال
 في نظر العلماء الحقيقيين - تلك المكتشفات التي نوهت بها آتفا قد
 كشفت اللثام عن الظنيات التي بدأت تنفض عنها الكتب الحديثة وبذلك
 دخل العلم نفسه في دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه
 الى الآن ، وأصبحنا نرى أصولا كان يظن أنها ذات قاعدة رياضية
 محققة صارت موضوع النزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها
 والدفاع عنها - ثم أورد بعد ذلك عدة شواهد علي قوله هذا من كلام
 (هنري بوانكاريه) و (أميل بيكار) و (ماتش) و (لوسيان
 بوانكاريه) ختمها بقول هذا الاخير (فلا راء التي كانت تظهر ان
 صبقنا كانها تأسست تأسيسا ثابتا صارت اليوم لدينا موضوعا للمناقشة
 وقد رفض اليوم علي وجه تام الرأي القائل بان كل الظواهر الطبيعية
 تقبل تفسيراً ميكانيكياً، فان أصول علم الميكانيكا نفعه صارت
 مشكوكاً فيها وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة
 بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت أساسية إلى اليوم) ثم قال بعد
 ذلك - من حسن الحظ أنه لا شيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه
 الفوضى فالوجود نفهم بمجهولات لانراعا والحجاب الذي يحجبه عنا
 منسوج غالبا من الاراء الضالة أو النافسة التي توجبها علينا تقاليد
 العلم الرهين بأشد الاشياء خطرا علي تقدم العقل الانساني هو تقديم
 الظنيات للقراء لابسلة حلل الحقائق المتدرة علي نحو ما تفعله كتب

للمسلم - والتطاول لوضع تخريم للعلم : رسم حدود العلم . تمكن معرفته
كما كان يود ذلك (اجوست كونت) اهـ

(٢) حتى (دارون) نفسه وقد فتن مذهبه كثيرا من الاغرار بين أن
غاية نجاحه العلمى لم يعتمد بعض التفسيرات فى أصل الانواع وقد كتب
فى هذا المعنى الى صديقه المستر (هيات) فقال (اسمح لى أن أضيف
الى هذا بأنى لست من قسلة العقل بحيث أنصرر أن نجاحى يتمدى
رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع)

(٣) ومن كلام وليم جيمس الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة
داز علمنا ليس إلا نقطة واسكن جهلنا بحر زاخر والامر الوحيد الذى
يمكن أن يقال بشىء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الخالية
محاط بعالم أوسع منه من نوع آخر لم تدرك خواصه المكونة له
إلى اليوم)

(٤) وقال الاستاذ وليم كروكس الانجليزى من خطبة له فى مجمع العلوم
(متى امتحننا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية لم نبدأ
بادراك الى أى حد تحصر هذه النتائج أو النواميس كما نسميها فى دائرة
نواميس أخرى ليس لنهايتها أقل علم عندنا . أما أنا فان تدركى لرأس
مالى العلمى الوهمى قد بلغ حدا بعيدا فقد تقبض عندى هذا النسيج
المنكوبونى للعلم كما غير بذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم يبق منه إلا
كرة صغيرة تكاد لا تدرك)

وقال «كاميل فلامريون» في كتابه المجهول «ترانا نفكر، ولكن ماهو الفكر؟ لايسد ليع أحدنا أن يجيب على هذا السؤال وترانا نعيش والسن ماهو العمل العضلي؟ لايعرف أحد ذلك، بل كيف ينقل العصب البصرى الصور الخارجية الى الفكر؟ وقل لى كيف يدرك هذا الفكر وأين مستقره؟ وماهى طبيعة النفس المخلوقة؟ استطيع أن اسأل عشر سنين ولا نستطيع أكبر رأس فيكم (يقصد العلماء الكونيين) أن يجيب على أحقر أسئلتى »

وقال الفيلسوف «أندريه كريسون» في كتابه قواعد الفلسفة (العام لايعطينا عن الوجود فى مجموعه الا معارف مبهمه لانهاية فانا لانعلم البدء الحقيقى للنجوم ولا الفكر الكب الذى تحيط بالشموس البعيدة فابداً فرض والحالة هذه على تركيب مجموع الكون لايمكن أن يسكون إلا تحكما)

تلك صورة مصغرة فى الحقيقة عن اعتراف علماء الكون بحجم التهم بنواميس الكون نسوقها تذكرة لآخواتنا الذين افتتنوا بهذه البحوث وأرادوا أن يتخلصوا من سلطان العقيدة الدينية استنادا إليها بل أزيد من ذلك أن الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر كان من حبيبيه القوية فى المطالبة بالانهاية بالعلوم الطبيعية أن معرفتها مما يقوى الايمان ويؤدى الى معرفة الله فان ما فى الموجودات من جمال التناقض والابداع ودقة الصنع والاختراع يثير فى النفس الانسانية فطرة الايمان

المعيق فتعترف راضية مطمئنة بعبادة الخالق العظيم ويزيدها تسليما
وتقويضا عجز العقل البشري عن تحطيط الحدود العرفانية المقررة له
وضرب لذلك عدة أمثلة في غاية الروعة فلتراجع في رسالته في التربية
ومن ذلك نعلم أن الانسان لازالت أمامه مراحل واسعة لادراك
حقائق الظواهر الكونية فاذا عجزنا الان عن ادراك ملكوت السموات
وعن تعرف عجائب الارض . وعن اكتناه سر الحياة إذ أن القرآن
الكريم لم يكشف لنا من ذلك الا ما يحتاجه للعظة والتهجيرة ، والعقل
البشري لم يصل في كشفه الا الى بعض الجوانب دون بعض ، اذا عجزنا
الان فليس ذلك بنقص ولا بعيب ، ولاننا ملزمين ابدأً بادراك كل
الحقائق فلنقتنع مؤقتا بما وصلنا اليه ولنعمل بمجد لادراك ما خفى عنا
امره ، ولكل مجتهد نصيب ، والذين جاهلوا فينا لنهديهم سبيلنا
وإن الله لم يحسنين .

(الله الذي رفع السموات والارض بغير عمد ترونها) تقدم في
سورة الاعراف في الجزء الثامن من تفسير المنار كلام مضمول نفيس عن
السموات والارضين وعن الايام الستة التي خلقت فيها وعن المطابقة
بين الوارد في القرآن والمعروف من نظريات علماء الفلك ، وفي الرد على
كثير من الاقااصيص حول هذه الموضوعات فليراجع هناك وخلاسته
ما يأتي -

(١) ان السموات والارض بطلاقان في مثل آية الاعراف : على

كل موجود مخلوق أو ما يعبر عنه بالعالم العلوي والعالم السفلي وإن كان
العلو والسفل فيهما من الأمور الإضافية - وقد تطلق السموات على
ما دون السفلي من العالم العلوي - ولا سيما إذا وصفت بالسميع وهذا
المعنى هو الموافق في آية الرعد

(٢) أن الأيام الستة التي وردت في خلق السموات والأرض هي
من أيام الله التي يتجدد اليوم منها بعمل الذي يكون فيه ، فأراد بها إذا
والله أعلم - التطورات التي اعتورت خلق السموات والأرض من
الدخان إلى المائية إلى اليابسة إلى خلق الأحياء والتميز بالنسبة للأرض فهذه
أربعة أيام . ثم إلى تكوين الأجرام السماوية في زمنين آخرين فليست
من كأيام الدنيا . وما جاء من الآثار في ذلك فهو اسرائيلي أو ضميم
وأصح ما ورد فيه حديث أبي هريرة في ذلك وفي سنده حجاج بن محمد
الأشجري وهو قد تغير في آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله
(٣) أن تكلف التوفيق بين ما ورد في ذكر السموات السبع وبين
الافلاك التسع المعروفة في الهيئة الفلكية عند اليونان مردود ببطان
هذه النظريات ولا حاجة إلى الخوض فيه

هذه خلاصة ما تقدم في سورة الأعراف ونزيد عليه هنا ما انفردت
به هذه الآية وهو :

النص على أن رفع السماء بغير عمد إظهار الكمال قدرة الله سبحانه
ثم إلى وعظيم سلطانه فهذه السموات كلها وما فيها من الأجرام

والكواكب والخلائق مرفوعة بأذنه وامساكه من غير أن تستند على شيء بل بذلك التاموس العجيب الذي أودعه طبيعتها وجمع له لازما لتكونها فاستغنت به عن أن تعتمد على ما سواه وسواء أسمينا هذا التاموس جاذبية أو نسبة أو امساكا إلهيا أو قدرة ربانية فلا تنبر هذه الأسماء من حقيقة الامر شيئا

(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)

وقد نقل بعض المفسرين عن بعض السلف أن للسماء همدا ولكن لا ترى أو أنها مرتكزة على الأرض كما يشاهد في الأفق وكل ذلك غير صحيح وقد نفاه شيخ المفسر بن ابن جرير فقال في ذلك : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله سبحانه وتعالى . الله الذي رفع السموات بغير عمد رونها فهي مرفوعة بغير عمد تراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه) بل إنه وقد ورد في شعر الجاهلية ما يفيد الاستدلال على قدرة الله وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد . قال أمية بن أبي الصلت ويرونها لزبد بن نفيل رضي الله عنه

إلى الله أهدى مدحتي وثنائيا وقولا رضيا لابني الدهر بانيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدائيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى فانك لا تخفى من الله خافيا

واباك لا تجمع مع الله غيره
 رضى بك اللهم رباً فإن أرى
 وأنت الذى من فضل من ورحمة
 فقلت له: فاذهب وهرون فادعوا
 وقول له: هل أنت سويت هذه
 وقول له: آأنت رفعت هذه
 وقول له: هل أنت سويت وسطها
 وقول له: من يرسل الشمر غداة
 وقول له: من أنبت الحب فى الأرض
 ويخرج منه حبه فى رمسه
 فرب العباد ألق سيباً ورحمة
 فان سبيل الرشد أصبح بادياً
 أدين اله غيرك الله ثانياً
 بعثت إلى موسى رسولا منادياً
 إلى الله فرعون الذى كان طاغياً
 بلا وقد حتى استقلت كاهياً؟
 بلا عمد أو فوق ذلك بانياً؟
 منيراً إذا ما جنك الليل هادياً؟
 فيصبح مامست من الأرض ضاحياً؟
 فيصبح منه الشب يهتز راياً؟
 فى ذاك آيات لمن كان واعياً
 على وبارك فى بنى وماليها

نقله الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية عن ابن اسحاق

وما ورد فى تحديد مادة السموات وتقدير الأبعاد بينها وبين
 الأرض أو بينها وبين عوالم الملائكة الأعلى لا يصح فضلاً عن أنه غامض

مبهم

(ثم استوى على العرش) قال صاحب المنار رحمه الله فى مثل
 هذه الآية من سورة الأعراف بعد كلام فى المعنى المتأخى للاستواء
 والعرش وإيراد للآيات التى ذكر فيها ذلك مانعه (لم يشتبه أحد من
 الصحابة فى معنى استواء الرب تعالى على العرش على علمهم بتنزهه

سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق اذ كانوا يفهمون أن استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر ملك السموات والارض له وانفراده هو بتدبيره . وان الايمان بذلك لا يتوقف على معرفة كنه ذلك التدبير وصفته وكيف يكون ؟ بل لا يتوقف على وجود عرش .. ولكنه ورد في الكتاب والسنة أن لله عرشا خلقه قبل خالق السموات والارض وأن له حملة من الملائكة فهو كما تدل اللغة مركز تدبير العالم كله قال تعالى في سورة هود (١١ - ٧) (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) ولكن عقيدة التنزيه القطعية الثابتة بالنقل والعقل كانت مانعة لكل منهم أن يتوهم أن في التعبير بالاستواء على العرش شبهة تشبيهه للخالق بالخلق ، كيف وان بعض القرائن الضعيفة لفظية أو معنوية تمنع في لغتهم حمل اللفظ على معناه البشري فكيف اذا كان لا يعقل وكيف والاستواء على الشيء يستعمل في البشر استعمالا مجازيا وكفاثيا كما تقدم ؟ والقاعدة التي كانوا عليها في كل ما أسنده الرب تعالى إلى نفسه من الصفات والافعال التي وردت اللغة في استعمالها في الخلق أن يؤمنوا بما تدل عليه من معنى الكمال والتصرف مع التنزيه عن تشبيه الرب بخلقه فيقولون إنه انصف بالرحمة والمحبة واستوى على عرشه بالمعنى الذي يليق به لا بمعنى الافعال الخادث الذي نجمده للرحمة والحب في أنفسنا ولا مانعده بالاستواء والتدبير من ملوكنا وحسبنا أن نستفيد من وصفه بهاتين الصفتين أثرهما في خلقه وأن نطلب رحمته

ونعمل ما يكسبنا محبته، وما يترتب عليهم ما من متوابعه وإحسانه واستفيد
من الاستواء على عرشه كون الملك والتدبير له وحده فلا نعبد غيره ولذلك
قرنه في آخر آية يونس بقوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وفي
سورة المائدة - جده ٢٢ - ٣٣ (الله الذي خالق السموات والأرض وما
بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع أفلا تتذكرون) هـ

ونقول: لك أن تقول هذا فتلاحظ في معنى الاستواء الوارد في
آيات القرآن والملازمات وذكر الخلق والتدبير والتصريف ونفي
الشفعاء في معظم الآيات التي ورد فيها الاستواء ولم يحج به ذلك عبثا
وإنما جاء لرابطة بين المعاني الواردة في الآية فتمتقد أن المراد بالاستواء
على العرش مطلق التدبير والتصرف وتصرفه صرفا تاما عن معناه الذي
يؤم التشبيه كما جاء في هذا القول المتقدم وذلك أن تتوقف العبارة في التورع
فتقول: نعمه كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. ولكل
من الموقفين موضعه فأنت إذا خفت على نفسك أو غيرك شبهة التشبيه
فأمامك المعنى الأول ينلج الصدر وبطن القلب ولا يتناقى مع ظاهر
اللغة ولا يقدح في جلال الصفة، وإن كنت رجلا رضى النفس مطمئن
القلب بالآيات مستريح البال بالتفويض والتسليم تخشى أن الكلام في
هذا المعاني يفتح عليك وعلى غيرك أبوابا من الغممة المغنقة فقللت آمنت
بما جاء عن الله على مراد الله والله أعلم بمراده واستنت قلبك وإن أفنوك

وان أفتوك وان أفتوك والله أعلم

(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى)

وقد يكون المراد بالجريان ما يرى من حركتهما الظاهرة التي تلازم ناموس الاتصال بينهما وبين الارض وبقية الكواكب حتى تقوم الساعة فيبطل ذلك النظام ويختل ذلك الناموس وتبدل الارض غير الارض والسموات. وقد يكون المراد جريانها الحقيقي. وقد ثبت أن لكل الاجرام حركات حول نفسها ولكثير منها حركات حول غيرها وللشمس حركة حول نفسها ولها هي وجموعتها الكوكبية حركة انتقالية في السماء بحيث أنه دوران الارض حول الشمس ليس في خط منحني مقفل بل في خط حلزوني مفتوح دائماً يجعلها لا تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ دارت الى الآن وهذا عجيب حقاً. والى أين تسير الشمس في السماء؟ لا يجيبك أحد من الفلكيين ولكن القرآن الكريم يقول (مستقر لها) وأين هذا المستقر ذلك ما يعلمه الله ولم يصل اليه العلم التجريبي بعد وكلا المعنيين صحيح الاول مني نظري والثاني معنى علمي وهو أسلوب القرآن المعجز الذي ذكرت لك آنفاً. وانما خصت الشمس والقمر بالذكر لصلتهما الواضحة بالارض وما عليهما والا فالسخر والتصرف والقهر يتناول كل الاجرام السماوية بل كل العوالم وقد صرح القرآن بذلك في كثير من الايات كقوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

(يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون)

هذا النظام المعجز والخلق البديع والتكوين الكامل والتصريف المجيب هو تدبير الله وصنعه وكذلك يدبر الله أمر الخلق ويفصل لهم الآيات الكونية والقولية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجج الغفلة ويزيل غشاوة الشك والريب فإذا أدركوا بعض مظاهر هذه المنظمة الربانية اعتقدوا وأيقنوا أن هذا الخالق قادر على أعادتهم وأنهم سيعلقونه فيحاسبهم على ما قدموا من الأعمال في حياتهم الدنيا . واليقين صفة من صفات العلم ومرتبة من أعلى مراتب الإيمان وهو فوق المعرفة والدراسة هو سكنون القلب واطمئنائه مع ثبوت الحكم في النفس واستقراره وزوال كل عوارض الشك والريب والله أعلم

«الجهاد في سبيل الله»

من كلام الامام علي كرم الله وجهه
أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه
وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة
عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء وضرب
على قلبه بالاشداد ، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف
ومنع النصف ... فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا ...
فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
وتفرقكم عن حقائقكم ، يفار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون
وبعضى الله وترضون ... ١١

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشر طعلى السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

الاحمدية (القاديانية واللاهورية)

سيدي الاستاذ محرر المنار الاعز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد طالعنا في بعض الجرائد الاسلامية مقالات حول طائفة القاديانية وحول وجود بعض من ينتسبون اليها بالازهر الشريف لطلب العلم وأن فضيلة شيخ الازهر قد ألف لجنة من بعض كبار العلماء للتحري عن مذهب هذه الطائفة ولم نعلم نتيجة هذا التحقيق بعد فترجو التكرم ببيان موجز عن عقائد هذه الجماعة وعن الفرق بين القاديانية والاحمدية وعن نشأتهم وعن واجب المسلمين بازائهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد فهمي أبو غدير

كلية الحقوق

الحمد لله وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رأس هؤلاء الجماعة رجل هندي اسمه غلام أحمد ولد عام ١٨٣٩م

ومات عام ١٩٠٨م بقاديان من أعمال بنجاب الهند ادعى أنه المسيح
الموعود به وأن روح الله قد حلت فيه وأنه المهدي المنتظر وأنه أوحى
اليه بكثير من اللغات ومنها الانكليزية وخالط ذلك بكثير من
الدعاوى الفارغة التي تتناقض مع أصول الاسلام كل المناقضة وقد
وجدت السياسة الانكليزية فيه مطية من مطاياها في التفريق بين
الشموب وأغرته وأمدته بالمال وإجاءه حتى كان قضاة المحاكم الانكليز
يتساهلون معه في الاحكام في القضايا التي رفعت عليه وعلى أتباعه في
جرائم كثيرة وفي نظير هذه المساعدات من الدولة الانكليزية أصدر
هذا المدعى فتاوى صريحة بسقوط أحكام الجهاد بل وصرح بأن من
يرفع السيف في وجه انجلترا آثم مرتكب لأكبر الجرائم وقد وقعت
بينه وبين علماء الهند الفضلاء مناظرات ومجادلات عدة ووقعت بينه
وبين صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا رحمه الله محاورات وتناول
السيد هذا الموضوع في كثير من أعداد المنار وترى بعض هذه المقالات
في الاجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادي والثلاثين وقد
كان من عادات هذا المسيح المدعى أن يدعو مناظريه إلى المباحلة وأن
يجعل موت خصمه قبله دليلاً على انتصاره وبالعكس وقد مات سنة
١٩٠٥ بعد أن زعم قبل ذلك أن أجله قد انتهى فمكث بعد هذا الزعم ثلاث
سنوات وقد بني مقبرة بقاديان وادعى أن من دفن به سيدخل الجنة بشرط
أن يتبرع بربع ماله. وأبقى الله فضلاء العلماء الذين قاموا ببيان زيفه

وغلظه فما كانت هذه التمهيدات لتكون دليلاً على حق أو هادمة لباطل وإنما كانته الافلاس من الدليل وقد قام برياسه جماعته من بعده ابنه بشير محمود ومقره الآن قاديان من البلاد الهندية وتنسب الطائفة إلى أبيه فتسمى الطائفة الاحمدية

(٢) وقد انقسمت هذه الطائفة الاحمدية الى فريقين فريق اعتقد النبوة لعلام احمد وصدق بكل ما قاله وهؤلاء هم احمدية قاديان ورئيسهم ابنه بشير وفريق اعتقد فيه أنه مصلح مجدد وأخذ ببعض مزاعمه دون البعض على حد اعترافهم وقراههم والله أعلم بحقيقة ما يضمرون وإن كانت كل أعمالهم تدل على أنه لا فرق بينهم وبين اخوانهم السابقين وهؤلاء هم احمدية لاهور ولسانهم الناطق السيد محمد علي صاحب ترجمة القرآن وهو غير مولانا محمد علي رحمه الله - وكلام الفريقين بعيد عن أصول الدين فإنه إذا كان غلام احمد قد صرح بأنه نبي وأنه يوحى إليه وصرح بغير ذلك من الطوامم والفضائح فهل يغنى شيئاً عن اللاهوريين أن يقولوا إننا نعتقد أنه مجدد؟ وأي القولين يصدق الناس قول المتبوع الذي يصرح بنبوة نفسه أم قول التائبين الذين لا يباغون به هذه المرتبة؟ لو كان هؤلاء صادقين لرجعوا إلى الحق ولو افقوا جمهور أتباع المسلمين ولبرموا إلى الله من هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

(٣) والغريب في أمر هذه الجملة أنها تلبس على المسلمين بأمرين

اولهما نشاطها في الدعوة إلى نخلتها بزعم أنها دعوة إلى الاسلام. وتشجيع الانكليز وإغراؤهم من وراء ذلك والا فلا لا يبرز هذا النشاط قويا الا في بلاد الانكليز وما يالحق بها ؟ والثاني مجادتهم للمبشرين وهدم لمزاعم دعاة النصرانية وهم في هذا مهرة مجيدون وهدم الباطل سهل ميسور وهم يستغلون هذا الانتصار ليقولوا للمسلمين اننا اخاص الناس للاسلام وها أنتم ترون كيف نهزم دعاة النصرانية وبخفون عنهم أنهم ان هدموا عقائد النصرانية فهم لا يبنون عقائد اسلامية ولسكن عقائد خيالية لعل النصرانية خير منها وفيما يلي نموذج من أقوال رئيس هذه الطائفة في كثير من المسائل وفي اسقاط الجهاد وتحريم رفع السيف في وجه الانكليز

(١) قال غلام أحمد في رده على صاحب النار بكتاب أسماء (الهدى والتبصرة لمن يرى) يذم العلماء لانهم لم يؤمنوا بمسيحيته الموعودة ويعلم أن رفع السيف على الانكليز جرم عظيم

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذي هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراد فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود.. فكفروا به كأنهم اليهود . وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصايب وعند تغليب الاسلام كل التغليب فملا اتباع العلماء هذا المسيح كلا بل أكفروه واطهروا الكفر القبيح وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس فأخدم القسوس وشجوا الروس وأذاقوهم ما يذيقون

المحبوس فرأوا اليوم المنحوس - سيقول العلماء ان الدولة البريطانية
أعانت التمسوس ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين لينصروا المسلمين
في جميع العالمين

والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعدورين فان الدولة ما نصرت
القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أكثر منكم
ليرتاب من كان من المرتابين بل أنشأت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها
حق عليكم لو كنتم شاكرين

أتريدون أن تسيئوا إلى قوم أحسنوا إليكم والله لا يحب الكفارين
الغامطين ومن إحسانهم أنكم تمشون بالامن والامان وقد كنتم
تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان - وأما اليوم فلا يؤذيك
ذباب ولا بقرة ولا أحد من الجيران وإن ليلكم أقرب الى الامن من
نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ومن الدولة حفظة عليكم لتعتصموا من
الصوص وأهل العدوان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. وإننا رأينا
من قبلها زمانا موحشا من دونه الخطمة واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة
تقطف من ثمارها وتاوى إلى أشجارها ولذلك قلت غير مرة إن الجهاد
ورفع السيف عليهم ذنب عظيم وكيف يؤذى المحسن من هو كريم ومن
آذى محسنه فهو لئيم

هذا كلام المسيح الموعود عن طغاة الاستعمار المنكود فهل
يدافع الانجليز عن أنفسهم في كل مكان بأكثر من هذا الهديان اللهم ان

هذا هو البهتان وانظر إايه كيف ينفي عن الانجليز مساعدة المبشرين
وهم أعضاءهم في كل وقت لا ينكرون ذلك ولا يخفون ما هنالك بل
يساعدونهم في كل حين بأوقاف المسلمين وما أنباء التبشير في السودان
الآن وفي غير السودان من قبل يعمد عن هذا المسيح الموعود ولكن
الغرض يعنى وبصم

وقد نشرت مجلة الفتح للغراء في العدد ٦٦٤ بتاريخ ١٠ جمادى
الآخرة سنة ١٣٥٨ استفتاء لعلماء الهند جاء به كثير من أقوال
هذا المدعى المكفرة مثل قوله (انى نبي وأنا المخصوص بالنبوة في هذه
الامة) من كتاب حقيقة الوحي ص ٣٩١ له

وقوله (خاطبني الله بقواه اسمع يا ولدى) من كتاب البشرى
ص ٩٤ له

وقوله (كان المسيح متعمدا على الكذب والافتراء) من كتاب
ضئمة أنجم آثم ص ١٧

وهكذا من هذه التخريفات وقد أفتى علماء الهند الفضلاء بكفره
لهذه الأقوال الشائنة وذيلت هذه الفتيا بتوقيعات كثير من الافراد
والطبقات العلمية في جميع بلاد الهند تفريفا وفي كثير من بلدان الاسلام
(٤) أما حادثة الازهر فخلاصة أن طالبي البانيين ممن ينتسبون
الى هذه الطائفة اندرجا في سلك طلبه القسم العام وتنبه لهما بعض
البقطين من الطلبة فأبلغوا أمرها الى الجهات المختصة في الازهر فأجرى

تحقيق بمعرفة شيخ القسم العام ثم ألفت لجنة للكشف عن حقيقة هذا المذهب وقد أمد بعض القيورين هذه اللجنة بكثير من كتب هذه الطائفة التي تصرح بضلالها ومحالها.

وكامتنا لحضرات أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الاجلاء وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الاكبر أن الامر أهون من ذلك كله والحق واضح بين . ووجود هذين الطالبين بين الطلبة في — خطر محقق ذلك إلى أنهما سيستخدمان لهما للأزهر وحملهما لاسم طلب العلم فيه استخداما خبيثا في تأييد نملتهم الضالة الهدامة . وقد ذاع الامر الآن في مصر وفي غير مصر من بلاد الاسلام وعلى يد هذين الطالبين وامثالهما ممن يشابههما في البانيا ذاع السفور والتحلل من عقدة الاسلام ورأى الأزهر رأى رسمى يتخذة الناس حجة في كل أقطار العالم فتبوء في هذا كبيرة عظيمة ومسئولية في هذا لا يعلم مداها إلا الله

نرجو أن تضع اللجنة نصب عينها هذه الحقائق وأن تقذف هذه الفتنة بالحق الواضح فتدمنها فإذا هي زاهقة وان تأخذ بالحزم فتعصى عن حرم الأزهر كل طالب لاخير فيه للاسلام والله الهادى إلى سواء السبيل

« في العدد القادم »

ورد علينا سؤالان أحدهما خاص باب تحضار الارواح والثاني خاص باب نيل في خطيته آدم عليه السلام نرجى الكلام فيها إلى العدد القادم

(المنار منذ عشرين سنة)

رجب سنة ١٣٣٨ هـ

عاقبة حرب المرنية الأوروبية

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كتبنا في أثناء هذه الحرب مقالات يينا فيها أسبابها وعللها وحكمة
 الخلق فيها وفضائلها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الإسلامية
 التي امتازت بالرحمة وبجمل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وتحرر
 القوة والفضائل فيها، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة في الاستعداد
 والمزايا، وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد إحدى الدولتين
 الرئيسيتين في الحائزين الكبيرين الجرمانى والانكليزى — وهما المانية
 وانكلترة — بالسيادة والمظمة في العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت
 سبنسر الشهير للأستاذ الامام : إن ضعف الفضيلة وتغلب الافكار
 المادية في أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الافوى
 ليسود العالم

ومما ينداه في بعض تلك المقالات أن المانية اتقنت الاستعداد للحرب
 اتقاناً يمكنها من محاربة أوروبة كلها وأنها فافت جميع الدول في السلاح

والنظام وان اعدادها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغاية
كما قال الشاعر العربي

ولست بالاكتر منهم حصا وانما العزة للـ كاتر
وقد كان من أمر هذه المكثرة أن انكثرة ألبت على المانية أكثر
دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد، وإنما كان
ذلك بعلو كعبها على الألمان بغيرهم في الدهاء والسياسة الذي هو أدق علوم
البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، وقد قلت مرة لصاحب
لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه
وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات. إنني مقتنع بأنكم فقم الانكليز
في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله
وأعظم - وهو السياسة - فإني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها. فقال
صدقت

وقد ذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها
قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات
من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم ورجي بك زيدان
وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قل صاحب الدار في ذلك المجلس
أنه باغته أن المانية عقدت مع روسية معاهدة سرية على انكثرة وبسبب ترتيب
على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له
لا تغتر بهذا الخبر فإن انكثرة كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم

يغض وتكون هي الرابحة فهي كما قال مسلم بن الوليد كالسـيل
يحذف جملودا بجملود

انني لم أصنق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه
الحرب مما اكتشف من أسرار انقيصرية الروسية أن له أصلا وأن
مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون انمامها فان كان هذا وقع
بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فعن الجائز أن تكون
مقدماته ووسائله قد سبقه بسنين ، والذي تقصده من العبرة في هذه
السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانيا على روسية فحالفوها على الترك
والفرس ثم جعلوها بائنا قهم مع حليفهم افرنسة فدية لهما في هذه الحرب
فكانت مصب تقمة المانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان أسرتها
وكذلك تعبت الأمم العليمة الحكيمة بالانم الجاهلة الخرقاء فتجعلها
فدية لبا كما فعل الحلفاء بأمم أخرى وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكترا السياسية تسخير دولة
الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإيقاد حلفائها من جحيم الامان
المسكرى بعد أن عجزت أوروبا كلها ومن ظاهرها من أأم آسيا
وافريقيا وأمريكا الجنوبية عن فل حـدم ، وإيقاف طغيان مدم ، وهي
الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله
وعدم مشاركتهم في شئ منه . وقتها انكترا رقيتين استخرجت بهما
حيثما من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها . إحداهما دعوتها

إلى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الالمانية التي تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونموذم المالى فى تلك البلاد ؛ وقد وعدتهم انكاثرا بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان فى الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوى التحمس الدينى من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ؛ وأما المسلمون فلم يصدف ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التى جهزوها باسم تنزيف مكة سليمان الرسول على الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه . فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر فى إمكانه ؟ لا ولكن الانجليز فعلوا ما لم يكن يخطر فى بال بشر فاستردوا هذه البلاد وماحوها من المسلمين الذين غلبوا قلب الاسد ملك الانجليز وسائر ملوك أوروبا فى الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوع المستر لويد جورج وزير انجلترا الاكبر هذه الدولة بالرفيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكبيرة وقفا على انتماذ الخلفاء من ألمانيا بل هاجمت ألمانيا بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى - قوة الدعوة الى الصالح المبني على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ؛ وإبطال ماجرت عليه الدول القوية فى المصور الخالية من المحالقات السرية

على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من اصول الحق والعدل التي مازال الانقياء يهدمونها بمحاول القوة ، ومنها وجوب حرية البحار وجعل الانجائز وغيرهم فيها سواء ، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات بحارب المانيا بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية . فقام بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصالح تلك القواعد الخدابة الخلابية . فقامت في زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعمل السحر ، ولا سيما قاعدة حرية البحار في زمني الحرب والسام فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية وهي في أوج انتصارها ، وذروة فخارها : أمرت أسطولها بأن يهاجم الاسطول البريطاني فاعتصب بخازناته وأبنو الامتنال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلب عقد الصاخ على قواعد الرئيس «ولسن» العادلة اذ هي أفضل من نصر عسكري يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم ونحزبت أحزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لانضمامها . ولم يقنعهم القول بأن هذا خداع ، لان الامر يكتفين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستهلتهم الحكومة وبما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسا فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشترائط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الالمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لا يستطيعوا العودة فثم المنتصر ؟ أمير كافي الظاهر وانجلسترا في الباطن . بل المنتصر إنما هم

رجال السياسة الانجليزية وخدمهم . فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة
 بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها المانيا وساعدهم
 على ذلك صلف الالمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم
 الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا لسقوط الترك ، وهم المتصدرون
 لادارة دفعة سياسة العالم بعد التمهيد لها واقتحام ما يقوم أمام هذه الادارة
 من العقبات . ومن ذلك اقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية
 وتأييد المدينة بالاشراف على تركيا ، والنهوض بالجمهورية الارمنية .
 ويتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة الى العراق فعمان - ماخلا
 سوريا الشمالية فان ادارتها جماعات لفرنسا تنفيذا لمعاهدة سايكس - بيكو
 من جهة وحتى لانتؤوب فرنسا بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة
 بالآباب من جهة أخرى . . والبلاد الفارسية المتصلة ببلوخستان فالهند
 فالتبت . .

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل
 الخاك المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة النصارى الى اليها ليكونوا حكاما
 فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلا معارض
 وقد أسسوا للسواحل الحجازية واليمينية محافظة سموها (محافظة البحر
 الاحمر) وأرسلوا بعثة الى الامام يحيى ولكنها أسرت قبل الوصول
 اليه - وأرسلوا بعثة أخرى الى السيد الادريسي الاتفاق معه . وعقدوا
 اتفاقا مع حكومة ايران نشر في الجرائد فشكت منه الصحافيون ورجال

السياسة واحتجوا بأنه مخالف لعهد (عصبة الأمم) إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار إليها، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق في المطالبة باستقلالهم وحريةهم ولم تفقر تلك الشقة - حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية في البلاد التي كانت تظن فرنسه أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل. فقد كان طلاب المساعدة الأمريكية قالا بـ انجليزية من أهالي البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية، فلم يبق لفرنسا بد من اللجأ إلى أرضاء إنجلترا والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة نصرها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم. جرى كل ما ذكر على طريقة السياسة الأوروبية المعروفة المألوفة من تصرف الافوياء في الضعفاء والعلماء في الجاهلاء، بمد أن ذهبت جميعه خطب الرئيس «ولسون» في الهواء وهو ما كنا نتوقمه من وراء هذا النصر ونحدث به من كثناء في عواقب الحرب، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين، ولا غرابة في غرور أطفال أعرار في مهد السياسة والحركة العربية الحجازية في بدء ظهورها تكبرها في أعينهم بعض الجرائد.

فان قال قائل. ان كتاب الله قد أثبت أن العاقبة للآتين وقد فسر

علمائنا التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز - بهذا المعنى - هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف في أرض الله الواسعة ؟ نقول إن قول الله تعالى لا ريب فيه ، وإن كلام العلماء في تفسير التقوى صحيح ولكنه يحمل من فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذي شرعه الله تعالى ، وأن ترك المنهيات خاص بترك الحر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك - فهو قصير النظر ضعيف الفهم . التقوى أعم من ذلك وهي تختلف باختلاف ما يتطلب فيه كما يشاهد في مواضع من تفسير المنار ونبينا أهل العصر إلى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا في بيان ما في الكتاب والسنة من الأصول الاجتماعية ومبادئ السياسة والعمران

فالتقوى المكررة في قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا) الآية غير للتقوى في معاشره النساء المكررة في سورة الطلاق ، وغير التقوى في قوله تعالى (وحرمة عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تمحشرون) فلكل مقام خصوصية هي المقصود الاول من المعنى العام والتقوى في قوله تعالى (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ما ذكر كله . فالاولى والثانية في أحكام الطعام والصيد وهما من الأحكام الشخصية الفردية ، والثالثة في أحكام الزوجية وهي منزلية

(أوعائلية) والرابعة في شؤون الأمم والعمران وهي ما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الحية والفشل في هذه الأمور . والامان كذلك إلا أن المان فاقوا الانكليز بالقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا وأحكموه . ولذلك كانت العقابة لهم في المعارك الحربية . ولكنهم لم يتقنوا كالاكليز إتقاء التنازع الداخلي فوقمت الثورة الاشتراكية في أممتهم . وصدق عليهم قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالاكليز اتقاء ضغط الأمم والشعوب عليهم فأسخطوا الأمة الأمريكية على حين صارت أعظم الأمم ثروة واشتدت حاجة جميع الأمم اليها . فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم . ولم يتقنوا خروج العرب على الترك بستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خضر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لأوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاحمرين) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وأصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وامتكالاً أعراض وإفسادا للأخلاق . على حين كان الانكليز يجدون في استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضرور الاستمالة قال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشابهم مشابة فعلية أو سلبية الأمير عبدالعزيز ابن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق . ووالاهم شريف

مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سوريا والعراق بقيادة أبرع أبنائه في الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سوريا) وقد اعترفوا له بيلائه واخلاصه في اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى ابقاع الفشل والخذلان في جيش الترك المدافع عن سوريا حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصل سل حسامه في نصر الخلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشئ، ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ في التجاح. وقالت ان الامير فيصل كان يرغب في الاستقلال التام للحجاز وحده، وأما المسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن الترك فقط. وأن نطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتعنى دولتها المجترة (اه ملخصا من عددها الاسبوعى المؤرخ في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاته الشريف أكبر مما ذكر في فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا. ولو كان الألمان منسل دهاثم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر. وإذا استطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندي ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولا سيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ووصلوا الى شواطئ البحر الاحمر. بحر العرب ولم يكن ذلك عليهم

بمسير

فان قال ذلك القائل. فهمنا معنى التقوى في السياسة والحرب

ومعنى كونها من سنن الله تعالى في النجاح ، ولكن خفي علينا ما بينت في تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهي عادل من الدول والشعوب الظالمة انفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التي لم تشكر نعمه الله تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، وانا نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبه صادقة في شكواها - لانها مهضومة الحقوق بضعفها - فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ورفع العقاب عن أولئك الباغين ونحكيهم في بلاد قوم آخرين

إن قال ذاك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فانا نجيبه بأن ما يراه هو مشكلا لانراه نحن كذلك . فانا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبول الافوياء المسلطين عليها بما كان من تفریطها . لم يحصم ما حل بها ويرجعها الى رشدها . وإن الدول الباغية الظالمة قد ذافت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تنب وترجع الى ربها . وكذلك شأن الدول والامم التي غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهي لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ولا هي انتهت بما وضع من معاهدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لادليل على ثباته ودوامه ، وإذا طال العهد عليه بمحتنا عما اقتضى ذلك من أسبابه

وسنن الاجتماع فيه : وإنما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يحجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمها خسران الانجليز ذلك الصيت الحسن الذي غرسوا فسيله . وزرعوا بذوره . وتعاهدوا زرعه بما ينمي به عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المنمللة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تمنى لو تنفياً ظل حكمهم ، ولكن لا يزال في الشعب الانجليزي ذى العرق الراسخ في مكرم الاخلاق وبعد الروية وطول الاناة وحب العدل والانصاف رجال يرجي أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ويراعوا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجرت هذه الحرب قواه التي جمعت في عهد بعيد ، كما تنفجر البراكين من الارض باخر نقطة أو دفعة من الغلازات المولدة للضعف فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب ببقائهم على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعي الاكبر . إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ما ذكرنا . وتركوا لهذه الشعوب استقلالها في ادارة بلادها وسياساتها وحالفوها على أن يكونوا هم المتقدمون على جميع أمم المدنية في مساعدتها العلمية والفنية التي تقرر استقلالها وتعمير بلادها ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والادبية التي تكون بالتراضي لا بالقوة الاحتلالية فانهم يؤسسون

لشعبهم السكسوني المجيد . مجدا طريقا إلى مجده التليد بحيث يرجي أن يكون خالدا لا يبلى ولا يبيد . مما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحد ويحيث نذكر له العاقبة المحمودة ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته الهائلة من غير نفقات كبيرة . كالتفقات التي لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة . ويكون سببا لاصلاح الكون وعمران الارض

أكتب هذا باعلاء العقيدة الثابتة المؤيدة بالدلائل الاجتماعية للناهضة لا يباعث الاغراض القومية . أو قصد الاتهامات السياسية تاركا تصديقه للزمان وتفسيره لحوادث الايام وسنن الله في الانام لا مبدل لسنته ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته

(المنار) من تأمل هذا المقال رأى كيف أن التاريخ يعيد نفسه وكيف أن صنف الفضيلة تغلب الافكار المادية في أوروبا الآن سيدفعان بل قد دفعهما فلا دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الأقوى ليسود العالم كما وقع ذلك من قبل . وكيف أن انجلترا كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم يبعض وتكون هي الراجحة . وكيف أن دهاء اليهود ونفوذهم المالي يعمل عمله دائما وراء الستار في كل فتنة وكيف أن جمعية خطب الرئيس وليس قد ذهبت في الهواء بعد انتصار الحلفاء وجرف السياسة الأوربية على سنتها من الاستغلال والاستبداد وكيف أن انجلترا لم تأخذ بهذه الصيغة الذهبية التي أسداها اليها صاحب المنار منذ عشرين سنة ولم يوجد فيها بعد أولئك الرجال الذين يقاومون الاطماع الاستعمارية ويضعون لدولتهم سياسة جديدة أساسها العدل والانصاف

دعوى علم الغيب

ومنازلها لوصول الاسلام

لا ريب أنه قد جاءت آيات وأحاديث في أفراد الله تعالى وحده يعلم الغيب ومى كثيرة ومقتصر هنا في الآيات على ما في سورة الانعام والرحمن والجن قال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث حديثى ابن عمر في البخارى وعائشة في مسلم فالذى في البخارى قوله « صلى الله عليه وسلم » مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس باى أرض تموت ان الله عليم خبير » والذى في مسلم هو قول عائشة « ض » « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية إلى أن قالت في بيان الثالثة ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله » وقد بسط ابن العربى في أحكام القرآن القول في هذه المسئلة أول سورة الانعام وحكم بكفر من دعى علم واحدة من الثلاث المذكورة في كلام عائشة « ض » وحكى ابن الحجاج في حاشيته على « صغير ميارة » الاتفاق على كفر من يقول ان الانبياء يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ونقل ابن حجر في الاعلام بقواطم الاسلام وابن عابدين في حاشية الدر المختار وغيرهما من النجباء في المذاهب الاربعية كفر من ادعى علم الغيب قال الشاطبى في الموافقات جزء ٤ : صحيفة ٨٤ « وقد تعاضدت الآيات والخبار وتكررت في أنه لا يعلم الغيب الا الله وهو يفيد

صحة الموم من تلك الظواهر حسب مامر في باب الموم من هذا الكتاب فاذا كان كذلك خرج من سوى الانبياء من أن يشتركوا مع الانبياء صلوات الله عليهم في العلم بالمغيبات قال بعض العلماء ويراد بعلم الانبياء بالغيب ما كان عن طريق الوحي كما لا يخفى وقد ذكر ابن قتيبة مبنى على علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم فقال في رسالته الاختلاف في اللفظ غلت الرافضة في حب علي وفي علم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل التي جمعت الى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباء انتهى صحيفة ٤٧ باختصار على موضوع البحث قلت وقد سرت هذه البدعة في الرافضة الى متأخرى الصوفية وقد ظهر شيخ جديد من الاكراد اسمه الشيخ نورى اليرفكانى أخذ يدعو الناس منذ خمسين سنة بلسانه وبكتب ألّفها الى قواعد وأصول تتنافى مع الروايات والأحاديث بدعوى أنها كرامات وملاك بذلك مسلك الغلاة من متفلسفة الصوفية حيث جعلوا دعوى علم الغيب وما هو أفظع منها من قبيل الكرامة وجهلوا أن شرط الكرامة ألا تضاد مع أساس الدين ولذلك قيد النووى في بستان المارفين الكرامة بالألا تؤدي الى رفع أصل من أصول الدين قلّبه ابن علان في شرح رياض الصالحين جلد ٧ ص ٣٦١ وهو قول أنى اسحاق الشاطبى في الموافقات حيث قال « لا يصح أن تراعى وتعتبر «أى الكرامة» إلا بشرط ألا تضدم حكماً شرعياً فان ما يصدم قاعدة شرعية أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم من اتقاء الشيطان» ذكره في الجزء الثانى ص ٢٦٦ وقد كثرت الكتب التى تقرر هذه الدعاوى وتذيعها فى الناس من مؤلفات المحدثين والتقدمى من غلاة الرافضة ومتفلسفة الصوفية وعم خطرهما وزاد شرهما وضررها وقد تداولتها الايدى أكثر من تداول صحيح البخارى وعمل بها الكثير من الناس فى أكثر البلاد على رغم ما فيها من الاحداث المبتدعة الهادمة للدين أصولاً وفروعاً ففتت آثار الايمان من قلوب العاملين بها الا قليلاً ممن صانه الله وحماه وأبعده

عنها وذلك لفلبة الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله

فإن الله يا أمة الاسلام ويا علماء الدين أن تدعوا هذه الكتب من غير انكار وتحذير
منها وبيان لما فيها من الضلال البعيد فضلا عن أن تدافعوا عنها وتروموا بقاءها
مندجة في كتب الدين الاسلامي الحقيقي فانكم والتى لارب غيره إن فعلوا ذلك
لا بد أن تستوجبوا مقت الله وغضبه وأن تلاقوا الصغار والحوار في هذه الدار وتلك
الدار فتحن نطالب كافة العلماء أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من انكار تلك الكتب
ونحوها من كل كتاب فيه مصادمة لكتاب الله ودعوى علم الغيب لغير الله وأنبيائه
ونحو ذلك من الأمور المبتدعة التي هدموا بها عماد الدين وقوامه فإذا فعلوا ذلك
ونصروا الله ودينه واغتاروا الله ولا نبيائه مما وقع في تلك الكتب من الاحاد
المعظم رجوا حينئذ نصر الله لهم قال تعالى «وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم» وقال
سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم فاما أنهم يرجون النصر من غير نصر الله
والغيرة على دينه بل بمجرد المحافظة على الوحدة والوفاق بما يوجب خذلان الله ومقتنه
وتسليطه الاعداء على المسلمين فذلك غرور وأمانى باطلة لأن الله تعالى قد علق نصره
بنصر العباد لدينه وأكد ذلك في غير ما آية ومعلوم أن ما ربط الله به حصول
السبب عند تماطى أسبابها لا يمكن تخلفها فضلا عن أن يوجد عكسها وهو أن
ينصر سببها وتعالى من يخلد دينه فان مفهوم مخالفة آية إن تنصروا الله ينصركم
إلا تنصروه لا ينصركم وقد أشار الى هذا المفهوم منطوق آية وإن يخلدكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده وهذه الآية تدل على أن ما عدا نصر الله لا يكون سببا
لنصره هو سببها لمباده وعلينا أن نتأمل في حالة النبي ﷺ في أول مبغته
وما شجر بينه وبين قومه من الحروب والخلاف لأجل إقامة الدين وإزاحة البدع
وكيف جعل الله عاقبة ذلك النصر المبين ثم من بعد ذلك لما حدث محر العمل بما
كان عليه النبي ﷺ من الجهاد لإعلاء كلمة الدين كيف أن المسلمين من ذلك الحين

لازوالوا في انحطاط ورجوع الى الوراء وما ذلك الا لانهم وضعوا اسبابا اخترعوها
من قبل انفسهم وهى ان الوفاق وترك الجهاد وعدم إقامة أحكام الدين واستبدالها
بالقانون الوضعى كل ذلك يوجب لهم الراحة والاتحاد والوفاق وعدم الاضطراب
وهب أن ذلك يحصل لهم الراحة ونحوها مدة من الزمان استدرجا ومكرا في حياتهم
الدنيا فاني لهم الخلف والنجاة من يوم يجعل الولدان شيبا هذا ما رأيت إبداءه
لاخوانى المسلمين لما رأيت من كثرة تطلبهم للوحدة والوفاق ونفرتهم مما يوجب
التفرق والشقاق ولو باسكار أعظم المنكرات التى يترتب على انكارها نصر الله
نصرا عزيزا وما ذلك إلا من عدم تمسكهم بالكتاب العزيز مشيا منهم مع مبادئه
النظر وعدم التفاتهم الى وعد الله عباده المؤمنين فان كنت غالطا فيما أبديته
نصيحة لعامة المسلمين فالمرجو من الاخوان أرجاى إلى الصواب والله فى عون
العبد ما كان العبد فى عون أخيه والسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته

المراق

محمد على بن حسين

وصف الدنيا

وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة . وليست بدار نعمة قد تزينت بفرورها .
غرت بزينتها . هانت على ربها . غلظ حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها
بموتها . وحلها عرها لم يعفها الله تعالى لأوليائه ولم يرض بها على أعدائه خيرها
زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد . ومالكها يسلب . وعامرها يحرب فما خير
دار تنقض نقض البناء وعمر يقضى فيها فتاء الراد . ومدة تنقطع انقطاع السير
اجتروا ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم وأسمعوا
دعوة الموت إذا نكحكم قبل أن يدعى بكم . إن الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وإن
ضحكوا . ويشتد حزنهم وإن فرحوا

الامام على فى نهج البلاغة

تراجم اسلامية

الشيخ محمد عبده

(١)

الآن تعود (النار) إلى البدان . بعد ما اختار الله مؤسسها السيد رشيد رضا إلى جواره . في غنقوان جهاده ، وفورة نتاجه مع ما كان عليه من كبر السن ، وتقدم العمر — أخرج من نكون اليه في عصر اختلفت فيه المقاييس ، وقلبت فيه الأوضاع — تعود قوية نشيطة . تزخر بالحياة وتنفض بالحرارة ، وتندفق حيوية ، ونفيس إيماناً . على أيدي فتية الشباب من خيرة المسلمين متبعي السلف الصالح . قد وهبوا له أنفسهم . وأرواحهم خالصة لوجهه . مستبسلين في ميدان الجهاد . غير هيا بين ولا وجلين . مولين وجوهم شعر كتابه العزيز يذيعون تعاليمه ودعوته . دعوة القرآن الكريم . دعوة القوة والمجد ، والعز الاسلامي الذي لا يعرف الدل ، ولا يلتقي والخور في قرن . وينفثون قواعده التي عرفها الناس صالحة نافعة رأسه التي جربها العالم ، وعرف أن فيها سعاده التي لا تعرف الشقاء . وهناءته التي لا يشوبها الألم .

أجل تعود (النار) إلى البدان جادة لتواصل السعي ، وتداوم الجهاد والكفاح الذي من أجله أنشئت ، وفي سبيله عملت ، وتحقق الغرض الذي طالما استشرف اليه المخلصون المؤمنون . حتى كانت مثلاً أعلى في الدفاع عن بيضة الدين ، والدود عن حياضه . وفي أسلوب يسار المدنية ولا يتعارض والعلم ، ولا يضعف بجانبه فينزل على تعاليمه ونظرياته الدائمة التحول والتبديل والاضطراب . بل

يحمل من نظرياته وآثار حضارته دليلاً على حكمة الله من خلق السموات والأرض
الذي هو أكبر من خلق الناس . لو تفكروا وتحجرت منهم العقول . :
تعود لترفع الراية وتحمل اللواء ، وتتقدم الصفوف حيث التضحية التي لا تعرف
جبناً ، والشجاعة التي لا تقل من صلابتها في الحق شدة ، ولا يضمف من عزها
كثرة مهمات تأزمت حلقاتها .

وأعتقد أنه من الوفاء لرجل كان له أكبر نصيب في تأسيس (النار) وهو
الامام الشيخ محمد عبده . أن نخمسه بوضع مقالات تناول فيها بالتحليل شخصيته
مع بعض النواحي التي تعنى قراء (النار) وتنتبع دعوته بالنظر الدقيق . لننظر
كيف أثرت هذه الدعوة في العالم الاسلامي ، وكيف هزت صلد القلوب فألانتها
وغزت جامد الافئدة فحركتها ، وطرقت مقفل الاذان ففتحتها ، وكيف وقف
التاريخ يسجل لهذا الرجل في انصاف واعجاب .

واليك من تاريخ الامام ما يحدثك عن نشأة النار .

جاء السيد رشيد رضا الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحة الامام . ثم
إنشاء صحيفة اصلاحيية ينشر فيها حكمته وخبرته ، فوصل الى الاسكندرية
مساء الجمعة ٨ رجب ١٣١٥ هـ فقام فيها أياماً ثم انتقل منها الى طنطا فلتنصورة
فدمياط ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم ٢٣ رجب وفي ضحوة
اليوم الثاني ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية ،
واستشار السيد أستاذه في إنشاء الصحيفة التي يريد ، وشاوره في تسميتها
وذكر له اسم (النار) مع أسماء أخرى . فاختار الاستاذ الامام اسم « النار »
ثم شرع السيد في تحريره وكتبه تحت الممد الاول بالقلم الرصاص في جامع
الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية ، وكان ذلك في منتصف شوال ١٣١٥ هـ
وذهب بها الى داره وعرضها عليه فأعجب بها كل الاعجاب ورعى كل ما ذكر

فيها من المقاصد والأغراض إلا كلمة واحدة هي تعريف الأمة بحق الامام وتعريف الامام بحق الأمة . قال ماممناه « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن . وأن الكلام في الامامة منار فتنة يخشى ضرره . ولا يرجى نفعه الآن » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأى أستاذه وإشارته .

فهذا الرجل الذى عرف قيمة جهاده الخاص والعام وسادت آراؤه بعد محاربة . وفشت نظرياته بمد مدافعة وإنكار . وطمن في دينه وإيمانه وبقينه وحرور في غير هواة وتسم الجوارح له حتى مرت كراهيته في النفوس بفضل ما كان يذاع عنه . ويلقى ضده . واليك الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق يتحدث عن صورة من هذه الكراهية في مقدمته لكتاب (الإسلام والتجديد في مصر) .

« في بعض سنوات الحرب . شهدت الجامعة المصرية . قبل ضمها إلى وزارة المعارف . حفلة جمعت جمهرة من شباب العلم . وخطب فيها طائفة من كبار الأدباء وكبار الأساتذة .

وكان يجرى على ألسنة الخطباء ذكر أئمة النهضة الحديثة في مصر في فروعها المختلفة من سياسية واجتماعية وعلمية . فتهتف الجموع . ويبلغ حماس الشباب أقصاه . حتى إذا جرى ذكر الشيخ محمد عبده خفت هنالك صوت الشباب وفترت حدة الهاتمين .

انصرفت يومئذ حيرا محرونا . أكاد أنهم بقلة الوقه بلدا ينمى فيه فضل الشيخ محمد عبده بعد سنين . لكن غنى على شبابنا كان ممزوجا برحمة . لأنهم لم يرفعوا من أمر الرجل شيئا يفريهم بأن يحبوه ويقدروه حق قدره . ولعل قصارى ما كان يعرف طلاب العلم في ذلك العهد من أمر الامام أنه كان شيخا مكروها هو وآراؤه من الشيوخ . كما يحكره الشيوخ النار وصاحب

النار قلميذ الامام .

واكتفى بهذه الصورة الان لأن بسط هذا العنصر له مكانه في الكلمات المقبلة إن شاء الله . وكل ما أريد أن أخلص اليه . أننا في حاجة قصوى الى دراسة هؤلاء الذين استشهدوا في ميادين الجهاد . وراحوا ضحية بريئة لشهوات متضاربة وأغراض متناحرة تفك بالامم . وتقوض الشعوب .

ومحمد عبده علم من أعلام هؤلاء المجاهدين . فحدير بنا أن نفنى بآثاره . وأن نعرف قراء (النار) حقيقة هذا الرجل حتى يغيروا تلك الصور القديمة عنه . ويأخذوا عنه صورة صحيحة واضحة للامم . بينة التقاطيع . صورة أعاهد الله ألا يكون للشهوة فيها أصبع . ولا لحظ النفس منها نصيب . وستكون صورة هذا الرجل أول صورة من صور كثيرة اعزمت بمشيئة الله رسمها على صفحات (النار) في عهده الجديد . وكل غابتي من هذه التراجم الاسلامية إنما هي القدوة الحسنة وترسم خلى الماملين الذين لم يألوا جهدا في سبيل الدعوة إلى الله ورفعة دينه واعلاء كلمته . ليجد النشء غداه النافع . جعل الله عملنا خالصا لوجهه . انه محييهم مجيب ما

عبد الحفيظ أبو السعود

يتبع

من كلام الامام على رضى الله عنه

لو تعلمون ما أعلم مما طوى عنكم غيبه إذا أخرجتم الى الصدقات تبكون على أعمالكم . وتلندمون على أنفسكم . ولتركتهم أموالكم لاحارس لها . ولا خالف عليها . ولهمت كل امرئ نفسه لا يلتفت الى غيرها . ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم .

نهج البلاغة

انتقاد المنار

حول فتوى آيات الصفات وأحاديتها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب الثالث ننشره مع رده فيما يلي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن احتجاب المنار بموت صاحبه عليه
رحمة الله تعالى كان من دواعي أسف المسلمين جميعا بل حزنهم العميق ، ولم يكن
ذلك طبعاً لأنها مجلة اسلامية فقط . بل كان ذلك لما ظله قراء المنار من الميل مع
الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها
ولا أفنك تحيل مواقف صاحب المنار عنيه رحمة الله مع كثير من أخص أصدقائه
وهو لم يكن يعرف الا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم نعهد
فيه رحمة الله عليه مدهانة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة
التي نعرفونها في نفوس جميع أهل الملة المحمدية . . . فاذا كنتم تريدون السير
بالمناير سيرته هذه فلا شك أنها إن شاء الله تعالى متعبي حياتها الاولى والا فاسم
المنار وحده لا يغني شيئا .

تقد استفتاكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدى النبوي والاسلام
فاذا اقيتم : إن رأى المنار في موضوع الخلاف بين المجلتيين معروف مسطور في
أعداد المنار السابقة ، فهل نفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لما ضيه ، وينسى
برنامجها ؛ لقد قلتم بإسبدي الأستاذ إن كلنا الجانبين عى الحق !!! ولا يعقل فيما نفهم

أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبت الآخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق ، لا . . . ليس هذا شأن النار الذي عرفناه وبكيناها لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق في أي الجانبين هو كما عودنا صاحب النار ان كنتم تنصرون الحق لله وفي سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله . قارىء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه

« وبعد » فعلى حضرة القارىء المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم بظهار اسمه حتى تتعارف في سبيل البحث من الحقيقة ولعله — وفقنا الله وإياه — رأى في ستر اسمه معاونته على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحن القن ونشكر للاخ الفاضل خطابه مؤكداً دعوتنا الأولى بجميع اخواننا في انتقاد ما يروونه مستحقاً للانتقاد في النار حتى تتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا ننتهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالنقد الأدبي مسلكاً نبيلاً لا يجر فيه ولا إغذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنسكمل به أنفسنا فإن الكمال لله وحده والمعصية لانبياؤه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أو ظن بها ذلك فهذا حين النقص ونسأل الله ألا يحرمنا من يبصرنا بعبوبنا ويحملنا على الصواب والسداد وإلى الكاتب وإلى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد في هذا الخطاب .

(١) نسب البنا الأستاذ الكاتب أننا صرحنا بأن كلنا المجتهدين على حق وبني على هذا أنه من غير المنقول أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبت الآخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن تصارح بالحق في أي المجهتين هو ؟

ولا أدري من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذي نسبته إلينا إن كان قد جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين في نظرنا أصدقاء لنا ومن يتصدون للدعوة إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما في موضوع نزاع بعينه والذي صرحنا به في موضوع خلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافا وليس بلام أن يكون كل مختلفين أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعا وهو ما صرحنا به بوضوح فإن فريقا تنال في التأويل وفريقا تنال في الجود. ورأى السلف في ذلك وهو رأى النار الذي يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذي أَوْضَعْنَاهُ في مقالنا أن مذهب السلف ترك الخوض في هذه المعاني مع اعتقاد تنزيه الله تبارك وتعالى عن أمثاله المنسوبة لخلقه وإمرارها كما جاءت وتوقيض علم حقائقها إلى الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط في التأويل وألزم نفسه غير ما ألزمه الله به ومن فسر بالاستقرار فقد تورط في التشبيه وألزم سامعه جواز نسبة صفات المخالفين إلى الخالق من قل (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشيء والاولى أن يقف عند النص والحق في هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتوقيض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا تتجاوزه كما ذهب إليه السلف في معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذهاته

تلك أمور فصلناها وقررناها ولمنسا الفريقين على أنها طرقا يجوز لنا كهذه بمنزل الأسلوب الذي غاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصار حنام أن الحق ليس في أحدا الجانبين فأين القصور إذن؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى النار فيه بالذات وأظن أن فيما قلناه في باب التفسير في هذه المعاني كناية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم

أن المنار لا يتنكر لماضييه في الحق ولا ينسى برنامجيه من المدمع به ولا يناقض نفسه في الصواب ويبقى بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب ببعض ما فاتته معرفته من برنامج المنار الذي سارت عليه في ماضيها وتريد أن تسير بها عليه في حاضرها صرح صاحب المنار بقاعدة وأسمائها قاعدة المنار الذهبية فقال (تتعاون فيما اتفقنا عليه ويعتمر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) فواطن الخلاف بإسبدي يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ما سنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصعد بالتححرر من الجود وينمي على أهل التقليد الاممى الذين يقدمون أقوال الناس التي لم يقم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على هذا التقليد الذي نعاه صاحب المنار على أهله؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق ندور معه كيفما دار وإن خائنا صاحب المنار؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن الشافعى كان من خلصاء تلاميذ مالك رضى الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره ورسوخه في علمه وتقواه لله بالمنزلة التي لا تتسامى اليها القوادح ومع هذا فلم يمنع هذا الشافعى أن يخالف مالكاً وأن يكون له رأيه ومذهبه فنحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الاصول الاساسية التي لا خلاف فيها في منهاج الاصلاح العام وخطته وقيما وضع الحق فيه واستبان وجه عليه الدليل في الشئون التي فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التي لم يقم عليها الدليل المقنع في نظرنا على أن ندلى برأينا وحجتنا وندع لكل من أراد التنبيه أن ينبهنا لما فاتنا والله الموفق للصواب

حسن البنا

موقف العالم الاسلامي السياسي

انتهت حرب السلام بين الدول الأوروبية المتناحرة وتغيرت الأوضاع الدولية في أوروبا فحقق اتفاق إنجلترا وفرنسا مع روسيا وحل محله ميثاق روسي ألماني وكانت مفاجأة غير متوقعة وأمر أدهش له العالم. أن يتفق الهر هتلر - وهو الذي بنى دعوته الأولى على مكافحة الشيوعية الروسية وانطوى لها على أشد حالات الخصومة والبغض مع زعماء هذه الشيوعية التي ندد بها ونال منها ولكن القوم في أوروبا لا يعرفون إلا المصلحة المادية وسرعان ما ينسون المبادئ والعقائد والأفكار مهما كانت سامية نبيلة - وتبع ذلك أن تشددت عزيمته ألمانيا فأقدمت على غزو بولونيا واجتياحها بقوة المسلحة وردت إنجلترا وفرنسا على ذلك بإعلان الحرب على ألمانيا وسوق الجيوش إلى الميدان الغربي حيث رابضت أمام خط سيجفريد الألماني - وكانت مفاجأة أخرى أن تقدمت روسيا بجيوشها تحتاح القسم المجاور لها من الأرض البولونية وبذلك تم للجيوش الألمانية والروسية أن تقضى على استقلال بولونيا وتوزع فيما بينها أرضها وتضطر حكومتها إلى الفرار حيث تألفت في باريس من جديد ومهما كن من حلفاء بين الروس والألمان على خط الحدود فإن الأمر الواقع الآن أن بولونيا قد قسمت مرة أخرى بين روسيا وألمانيا والذي نحب أن نلفت إليه أنظار الشعوب الإسلامية أن

بولونيا تضم ستين الفا من المسلمين غالبيتهم فى أنحاء فيلنو و نو جرديك
وقد أقاموا فى بولونيا منذ القرن الخامس عشر الميلادى وكانت الجمهورية
البولندية تسمح لهم بأقامة شعائر دينهم بتمام الحرية فأخلصوا لها كل
الاخلاص وحاربوا فى صفوفها واشترك عدد كبير من ضباطهم وم
معروفون بالشجاعة والاقدام - شأن المسلم المجاهد - فى الحرب الاخيرة
ودافعوا كثيرا عن المدينة المعبودة مركز الاسلام فى بولندا وفيها
يقيم المفتى الحاج الدكتور يعقوب سليمان شينيكيفتش . والآن وقد صار
هذا القسم تحت حكم البلشفية الروسية فهل تدع حكومة السوفيات
المسلمين فيه يتمتعون بشعائر دينهم وحريةهم كما كانوا فى عهد الحكومة
البولونية؟ أم أنهم سيعملون على بلشفتهم ويحاربونهم فى عقائدهم ويهدمون
ما بقى لهم من مساجد ومعابد كما فعلوا بهم ذلك من قبل حين اقتسمت
روسيا والمانيا بولندا فى أواخر القرن الثامن عشر؟ من واجب
الحكومات الاسلامية وبخاصة الحكومة التركية التى هى على صلة بالروس
والتي هى أقرب حكومات المسلمين الى بولندا أن تتحرى ذلك وأن
تعمل على حماية هذه الجالية الاسلامية الشديدة التمسكة بدينها القديم
ولا تدرى هل تصفى حكومة تركيا إلى هذا النداء أم تعتبره شأنا
إسلاميا خاصا يتناقض مع ما اختارته لنفسها من أن تكون حكومة
«لادينية»؟..

كان اجتياح بولندا سببا فى تخوف دول البلقان وفى تردد تركيا

بين المعسكرين المتخاصمين محور موسكو برلين نارة ومحور فرنسا
وانجلترا نارة أخرى ووقفت إيطاليا موقف المترقب المنتظر ولم تحدد
موقفها تحديدا صريحا بعد وأخذت اليابان ترقب هي الاخرى مجرى
الحوادث وأعلنت أمريكا سخطها على عمل ألمانيا ولم تعترف بالحالة الواقعة
في بولندا الآن واعتبرت الحكومة البولونية القائمة في فرنسا حكومة
شرعية واعترفت بها وارتفعت صيحات بوجوب الصلح ووضع الحسام
والاتفاق على ما يريح العالم من غناء الحرب ولا ندرى ماذا ستلقاه هذه
الدعوة من الاصغاء وما سيكون لها من النجاح وان كان أغلب الظن
أن هذه النفوس الظمأى الداوية بالاطماع والاهاو اسوف لا يرونها الا الدم
المتفجر من البشرية الذبيحة

ذلك هو الموقف الدولي عامة فما موقف العالم الاسلامي خاصة؟
لقد قدمنا أن العالم الاسلامي قضت عليه ظروف وأوضاع أن
يرتبط بالدول التي تسمى نفسها ديمقراطية وهي انجلترا وفرنسا ارتباطا
وثيقا وأن تشتبك مصالحه بمصالحها اشتباكا قويا وقد برهنت الحكومات
والشعوب الاسلامية من جانبها أنها وافية لهذه المصالح مقدرة الموقف
تمام التقدير منزهة عن العيب والكيده الرخيص والاستهلال الذي
لا يتفق مع الشرف الذي والنزاهة النبيلة وأخذت الحكومات المتماهدة
مع انجلترا تكسر والمراق تنفذ نهماتها بكل إخلاص
ومع هذا كله فالى الان لم تقدم الدول الديمقراطية دليلا واحدا على

تقديرها لهذا الموقف النبيل من الشعوب الاسلامية واكنفت بأن
تناولها ببعض كلمات المديح والاطراء في الخطب والمقالات التي لا تقدم
ولا تؤخر. فسوريا الجنوبية (فلسطين) لا تزال قضيتها حيث هي
لم يؤثر فيها تصريح المفتي الاكبر بالثناء على فرنسا ولا كتابه للحاكم
البريطاني ولا تصريح المجاهدين أنفسهم بأنهم لن يطعنوا إنجلترا من
الخافولن يستغلوا اشتغالها بالعرب الاوربية في الاتفاق مع خصومها
أو التقرب اليهم . وكان أقل مقتضيات رد الجليل في مثل هذا الموقف
أن تأمر الحكومة الانجليزية حالا بالافراج عن المعتقلين ، والتصريح
بالمودة للمبعدين والمفوء الشامل من المسجونين واعادة النظر في سياستها
بالنسبة للحقوق العربية الواضحة

وسوريا الشمالية لا يزال الامر فيها على ماكان عليه ولم تظفر إلى الان
من فرنسا حتى بوعد منها أنها ستعود إلى الانصاف والعدل بل حوكم
كثير من رجالها وحكم عليهم بأحكام قاسية شديدة تقبلوها راضين
هادئين .

وسوريا الوسطى (لبنان) تغير فيها نظام الحكم تغيرا تاما ولو إلى
حين كما يقول المندوب الفرنسي وأوقف دستورها وحكمت حكما
أجنبيا مباشرا أو ما يقرب منه

وكان من واجب الدول الديمقراطية أن تنتمز هذه الفرصة فتعدل
سياستها مع هذا القطر الشقيق وبخاصة فرنسا التي شهدت أن أول دم

أهذر على أرضها وللدفاع عن حدودها أمام خط ماجينو إنما كان دم المسلمين العرب من المغاربة الجزائريين والسينغاليين

إن شعوب العالم الاسلامي قسمان قسم تحت ساطان الحكم الاجنبي المباشر وهذا لا يملك أمر نفسه ولا يستطيع أن يخطط لنفسه طريقا خاصة فهو تحت رحمة الاقدار ونسأل الله أن يتداركه بلطفه ورحمته

وقسم قد تحرر ولو بعض الحرية فمن واجبه في هذه الظروف العصبية حكومات وشعوبا أن يكون دائم اليقظة والتنبيه للحوادث والمفاجآت فلا يتورط في خطوات وخصومات هو في غنى عنها ولا تعود عليه بشيء ولياتزم الحدود التي رسمتها له الاتفاقات والمعاهدات - وعليه أن ينتهز هذه الفرصة للاسراع في أعداد المدد وتقوية نفسه تقوية تنفعه في المستقبل وتحفظ عليه كيانه واستقلاله بعد أن تضع الحرب أوزارها وعليه كذلك أن يكون مطمئنا هادئا فائنا إن لم نستفد من هذه الحرب القائمة فلن نخسر فيها أكثر مما يخسر غيرنا والصالح خير انا والحرب ليست بضارة بنا وعسى أن تذكر هو انشيتا وهو خير لكم

تعليق

تحدث إلينا الاخ الفضال السيد عبد الرحمن حاصم وكيل النار السابق ببعض ملاحظات حول المدد الماضي وقد ضاق عنها فكان هذا المدد وسنتحدث عنها في المدد القادم إن شاء الله

السيد محمد رشيد رضا

بقلم وكبير وابنه عمه السيد عبد الرحمن عامر

ولد السيد محمد رشيد رضا في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وتوفي في

٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

وتربي تربية عالية لم تتحكم في نفسه طاعة من العادات السيئة الضررة كالتدخين
وأدمن شرب القهوة والشاي وأخذ أخذ الامام الغزالي بكتابه الاحياء من أول
بدئه بطلب العلم .

وراض نفسه عليه واتخذ له خلوة بالقرية الشرفة على البحر من جامع جده في
قرية القملون لدرس العلوم والتعميد بالعلاء بتدبر القرآن الحكيم .

وتعدى من ذلك الحين للوعظ والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فالتدريس
رشيد طلب العلم بالاخلاص وتوجيه الارادة ليكمل به نفسه ويؤهلها للاصلاح الديني
الاجتماعي فكان من أشجع دعاة الاصلاح وأشدّ جرأة في مواطن الحق على
الحكام والملوك غير هيب ولا وجل . ولولا أنه كان راسخاً في إيمانه واثقاً بصحة
علمه ومخلصاً في وعظه وإرشاده لما تجرأ على نقد حكام الدولة العلية في العصر
الحيدري والانحادي . وقد أصابه أذى كثير منهم في والده وأسرته من بعد
ما عرضوا عليه أوفى وأحسن ما تصبو اليه نفوس طلاب الدين من رتب ومناصب
وغيرها ليصمت عنهم ويسخر قلبه في خدمتهم .

هذا ولم ينهيب بريطانيا العظمى وطن في تمنعها في حكم قومه وأهل ملته

والإبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذروهم من مصادقتها لأنها خداعة مكررة وهو مقيم في مصر تحت سلطانها

ومن الأدلة على ذلك خطبته المشهورة أمام الرحوم أبي الثورة العربية الملك حسين في جوع «منى» سأذكر خبرها وخطبته في داروجيه من وحياء بيروت في القاهرة في حفلة جمعت رجال السياسة العربية من أقطارها تحت ستار الترحيب بضباط عراقيين وسوريين قدموا إلى مصر - ليتقابل المجتمعون ووجوا اتفاق سايكس بيكو على تقسيم بلاد العرب فيما بينهم . ولكن السيد رشيد عارض ذلك معارضة عنيفة حملت مستر كلايتن باشا فيما بعد . وكان كالحاكم بأمره بمصر على معاتبة السيد رشيد على قوله في الانجليز وما أجابه به السيد : هل من العدل أن تمنع أمة ضعيفة من الدفاع عن نفسها إذا اعتدت عليها أمة قوية ؟ كفوا عن الهجوم علينا لنكف عن الدفاع عن أنفسنا .

وكم حاول سمو الخديو السابق أن يفرق بين السيد رشيد والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالترغيب والترهيب لهذا مرة ولذا مرة ولم تنجح محاولاته عندها وكان جواب الاستاذ الامام لبطرس باشا غالى الموفد من الخديو أحب أن تعلم ويعلم الخديو اننى أفضل أن أعيش أنا والسيد رشيد ههنا في رمل عين شمس على البقاء في منصب الافتاء وعضوية مجلس ادارة الأزهر لأن هذا الرجل منحد معى في العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل . . وأجاب الاستاذ الامام أيضا فضيلة الرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر على رسالته من الخديو (كيف أرضى بإماماد صاحب المنار وهو ترجمان أفكرى)

ومن كلام السيد رشيد للشيخ على يوسف صاحب المؤيد جوابا عن رسالته الخديوية . . ولكن لى غرضا من تعظيم قدر (الشيخ محمد عبده) وتفضيله هو

فوق قائمة انتشار النار بكثير . وهو أن الإصلاح الاسلامى الذى ادعوا اليه لا ينهض الا بزعم تتق به الامة ولا أعرف أحدا أجدر منه أو يساويه فى استحقاق هذه الزمامة ولما لم تلن قيادة السيد لسمو الخديو أراد إخراجه من مصر وبلغ ذلك رياض باشا الشهير وخاطب السيد فى هذا الشأن بقوله هل تغير شيئا من خطة النار ؟ قال السيد حاشا لله . ما كنت لأغير على التابع لعقيدتى وخلقى وكل فضيلة لمصر عندى أنى أستطيع فيها خدمة ملتى وأمتى بما أعتقد أنه الحق النافع فإذا زالت هذه الحرية منها فلا يحزنى الخروج منها وأنا لا أملك فيها شيئا قال الباشا للسيد : « كده أريدك »

هذا وقد ألف السيد كتابا فى نقد بعض أكابر علماء الأزهر سباه النار والأزهر . والمال والرب والوظائف ، عند الشيخ أبى المهدى والاتحادين فى الدولة العثمانية وعند الأزهر والخديوى والانجليز بمصر وقد حاولوا صرف السيد عن خطته الإصلاحية بشتى طرق الاغراء بالمال والمنصب وبترهيبه أيضا بفنون الترهيب وصبر على أذاهم ولم يفتن بالمال ولم يفتقر بالرب ولم يرهبه الوعيد لأنه كان مخلصا فى توجهه لخدمة أمتة وملكه

ومما عرف من صلابته وإخلاصه لقومه أن الانجليز لما عرضوا عليه أن يكتب مقالات أسبوعية فى صحيفة « السكوكب » التى أنشئت بالقاهرة لخداع العرب اعتذر فى كتاب الى نائب الملك ونجت باشا جاء فيه .

لو بذلت لي المال أو استلتم لسانى أو قطعتم أنامل على أن أقول أو أكتب ما يخالف دينى وكرامة قومي العرب قان لا أقول . وجاءه رد بالاعفاء من ذلك التكليف واعتذرا بأنه كان بخطئه كسكليف رئيس تحرير التيمس الكتابة بحريضة هزلية ولما عزم السيد على أداء فريضة الحج فى أثناء الثورة العربية دعى إلى قصر عابدين وقدم إليه رئيس الديوان شكرى باشا صرة نقود قائلا . بلغ مولاي السلطان عزمكم على السفر الى الحجاز وأمرنى أن أقدم هذه النقود اليكم . أجاب

السيد . الحج على المستطيع وقد تهيأت لادائه بصحبة سيدتي الوالدة والشقيقة
قال الباشا : خذها من دعاء . آجاب السيد الدعاء لا يقوم بنمن وسأدعو لمولاي
السلطان ولخاصة المسلمين وعامتهم بما يلهمني الله عز وجل . قال الباشا : خذها
وتصدق بها فان الصدقة في الحجاز بعشرة أضعافها آجاب السيد . ذلك صحيح
ولكني أحتار فيمن أعلى القليل الذي أتصدق به وقصور الملوك والولاة
مفتحة الأبواب للقصاد والوراد . قال الباشا . بما أعوذ إلى مولاي السلطان
وعطايا الملوك لا ترد . آجاب السيد أرجو أن تذكروا لمولاي السلطان ما عرفه به
الاستاذ الامام من أتى لأقبل عطاء بدون مقابل .

ولما كان السيد على عرفات تحققت عنده صحة الاشاعة بأن الحاج سيدعون
في « منى » لمبايعة (الشريف) بالخلافة فذهب الى غيم الشريف وذكر له ما بلغه وذكره
بوعيد الحديث « اذا بويح خليفة » فقال (الشريف) رحمه الله إن تلك المساعي من
رغبات أحد أنجاله والاتباع . ولما اجتمع الحجاج في « منى » وتهيأ العلماء والخطباء
والشعراء لتبنيته (الشريف) بالسيد ، جاء الشريف عبد الله والشيخ عبد الملك الخطيب
باشا إلى السيد وطلبا منه أن يقول كلمته .

وكان (الشريف) يقف في المناسبات في أثناء الخطبة ويقول للسيد . صدقت .
وبعد ذلك حضر الى السيد من يقول له إن الخطبة ينقصها أن تكون مقدمة
لدعوة الناس لمبايعة سيد الجميع بالخلافة . ولكن السيد حول الحديث من سياسي
الى أدبي وأجاب . أخشى أن يقال لي عندئذ ما قيل لذلك الشاعر الذي وهب
السكري الى المشاق . وهبت ما لا تملك إلى من لا يقبل

وسأقص على القاري الكريم نبذا أخرى من رسائل السيد الى بعض ملوك
العرب ليقف منها على مقدار مراحته في الحق وإخلاصه في النصيح غير مبداح
ولا مرأف في ذلك قوله في كتاب الى جلالة الملك عبد العزيز (ولا أزال كدهك

أجاهد معكم مادمتم تجاهدون في سبيل الله وإعزاز دينه (وفي آخر « وموضع العبدة أن الله تعالى قد استخلفكم في الأرض التي فضلها على كل أرض لينظر كيف تعملون »)

ومن كتاب آخر (وقد عاهدناكم على أن تؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الاسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومسئوعات العتقون العصرية في أمور الحرب والعمران

ومن أحسن ما كتب السيد الامام إلى امامي الجزيرة العربية صراحة وإخلاصاً في النصيحة لما وقع الشقاق بين الحكومتين اليمنية والسعودية . قال رحمه الله ورضي عنه (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعودية والمملكة السعودية من حق سياسي أو جغرافي فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين فكل منهما واسع الأطراف قابل لضعاف ما هو عليه من العمران . فلا يمتدز أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل »

ثم قال يخاطب كلا من الامامين . إن جزيرة العرب هي تراب محمد رسول الله وخاتم النبيين الاسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودي ولا ليحيى حميد الدين . فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها فيجب أن تذكر هذه التبعة وتنقيها الله وتحرمها على حسن الجامعة)

وقد كان للاخلاص بهذه النصيحة وللوفد الذي أرسله السيد رشيد إلى الامامين أثر طيب لديهما وكان مولاي السيد يطلعني على رسائله تربية لي وتعلماً وإلهي أجيد فيها حرصاً نافعاً أو زائداً لأصلحة وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فانه رحمه الله كان يسمعها ويعضها إذا أقرها . وإن أنسى لا أنسى أنني

وجلت شدة في خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وراجته فيها ففضب وقال
لى . يا عاصم . أتريد أن تعطى المداواة والجبن ؟ ! أقفل المكنوت وأرسله الى
البريد . واعلم أن مزيتى عند الملك إخلاصى وصراحتى فى النصيحة ومزيتى عندى
انه يقبل النصيحة

والسيد الامام ما كان لترك فرصة تقوته بدون تذكير طيب نافع ومن ذلك
ما جاء فى كتاب منه الى المرحوم الملك غازى (. . . معتصمين بمجمل الهداية
الاسلامية التى اشتدت اليها فى هذا العصر حاجة شعوب المدينة كلها . إذهددت
الافكار المادية دولها بالانحلال والاباحة الالحادية حضارتها بالروال ولم يبق لها
منقذ إلا الهداية الروحية الجامعة بين المصالح الدينية والمدينة . . . وقال فان نحرم
على هداية دينك القويم ولنة قومك وحضارة أمتك وشرف بيتك ونضم إليها
الفنون المصرية المرفية للزراعة والصناعة والتجارة والنظم المالية والقوى العسكرية
تكن ان شاء الله من الملوك الجدد بين سيادة الدنيا ومساعدة الدين)
كان رحمه الله مضيا مواسيا بماله لتقليل أهل الحاج من الأسر المستورة
مساعدا العاملين فى سبيل أمتة وقومه فكم ساءم فى تفقات الوفود والجمعيات
والتوترات العربية السياسية . ولولا الأزمة المالية التى أصابته مؤخرا لكان
وزنه كفافا كافيا لنفقاته . ولكن توفى رحمه الله وعليه أكثر من الذى جنبه
مصرى خلافا لما كان يحب كثير من الناس .

نعم خلف مؤلفاته ومطبوعاته وهى أكثر من دينه ، بل هى ثروة علمية
اصلاحية عظيمة تركها السيد الامام ذكرا وشرفا له ولقومه وأمتة .

كان السيد مشغول البال دائما بأمتة يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها
وكانت السيدة والدته تسأله اذا رآته مكتئبا . هل أحد من مسلى الصبي يشكى

من شيء؟ . تريد أنه يكتب إذا أصاب مكروه أحد من أخوته في الدين مهما بعدت داره ولو في الصين

كان في السيد المستولي على شعوره إصلاح شأن العرب والمسلمين بالتأليف والتعليم . وقد كسب في التفسير والفتاوى وسائر ضروب الإصلاح ما لم يسبق إليه في القدار والفائدة وكان رحمه الله يقول لي . أخشى أن يحاسبني الله عز وجل على عمري فيما أفقته وأكون مقصرا فيما وجب علي يساهنه من أمرار الشريعة وحكمها وكان يأمرني أن أغنيه بقدر الامكان عن مقابلة الزائرين لبيتى منصرفا الى التأليف . وقد فرح فرحا عظيما حين أنتم أنفس صكتبه تأليفا وطبعها أغنى به كتاب «الوحي المحمدي»

وأنشأ منذ ثلاثين سنة مدرسة دار الدعوة والارشاد مما برأى الأستاذ الامام في تعليم طائفة من مختلفي الأقطار العلوم الدينية مصفاة من الآراء والاهواء وكذلك العلوم الأخرى القديمة والحديثة بقدر ما يكفي لتقنينهم وإعدادهم للدعوة والارشاد (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد نجح في ذلك جماعة من الطلاب وفي مقدمتهم السيد أمين الحسيني الذي انتهت إليه الزعامة الدينية والسياسية في فلسطين والشيخ يوسف ياسين أمين سر جلالة ملك المملكة العربية السعودية . والشيخ عبد الرزاق المليح آبادي صاحب المؤلفات والصحافي المشهور في الهند وقد سجن مع مولانا أبي الكلام الزعيم الهندي الكبير لمشاركته إياه في جهاده . والشيخ محمد بسيوني عمران في جاوة ومواقفه مشهورة بالتعليم والارشاد . والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والأستاذ عبد السميع البطل وهما من خيرة العلماء المصريين في الاخلاق والوعظ والتعليم تلك نبذة من كلام السيد في رسائله الخاصة والعامة وطائفة من أخباره تدل على تفرزه في إصلاحها باخلاص ولذا كان عزيزا كريما لم تدنسه الاطماع ولم تله الاهواء . ولا يخاف إلا من الله عز وجل كان السيد رشيد مدرسة في كل وقت من أوقاته في الدار وخارج الدار وقد أقمت معه في داره ستا وعشرين سنة تلميذا وأميناً لسره وقلما يخلو مجلس من

مجالسه من الجد . أتم الثانية والسبعين من عمره المبارك وجمته حمة الشباب وقلما يضيع وقتا من أوقاته بدون عمل أو تفكير مهيب للعمل الطيب .

كان السيد رشيد رضا يستيقظ مبكرا قبل الفجر ويتوضأ ويتنفل بالصلاة ويتلو القرآن ثم يؤذن أذانت الفجر من شرفة الدار ، ويوقف أهله للصلاة وكان يغلبه البكاء حينها بحجر بالقرآن ، ثم إن كان عنده ما تدعو الضرورة لإنجازه من كتابته انصرف إليه أو يخرج للرياضة ، شيئا على الاقدام يسير بقوة ونشاط ويعود إلى الدار بعد طلوع الشمس فان كان صائما أخذ بعمله الكتابي ويتقيل غالبا وينام مبكرا . وهو على كثرة تفكيره وكثرة سمنه فان نومه كان خفيفا وقلما يصيبه الارق .

بلغ مران السيد على التأليف والتصحيح أن يكتب في أثناء محادثته مع الناس ولا تقطع المحادثة عند سائلة فكره . وقد زاره مرة هندی من المتعلمين في جامعة كبردج وقدم اليه عشرة أسئلة مكتوبة وسأله عن موعد العودة إلى دار المنار لأخذ الجواب عنها . فقال له السيد أذكر أسئلتك سؤالاً سؤالاً وكان العالم الهندي يذكر السؤال والسيد يجيبه حتى أتى على آخرها . والسيد لم يترك عمله تركا كان السيد لا يرجع ما يكتب في التفسير الا من بعد أن يكتب فهمه في الآية حفرا من تأثير أقوال المفسرين في نفسه .

وكان يكتب أصول المنار في أثناء أسفاره إلى الشام والاساتنة والهند والجزيرة العربية وأوروبة من تفسير وغيره ويرسلها إلى المطبعة في مصر . وليس لديه مرجع من الكتب غالبا الا «المفردات» في غريب القرآن للراغب . وإذا أتاه الله فهما في القرآن لم يسبق إليه أو لم يطلع عليه الا بعد كتابته من عنده فانه يتحدث به إلى اخوانه حامدا شاكرا . وقد يقعه على أهل بيته متعبا مملورا .

كان السيد يدرك من أمرار السياسة وغوامضها ما يعر عنه كثير ومن

المتفطين بها . وآراؤه المنشورة في عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين وفي أيام غيرهم مؤيدة لذلك . وقد تحمل الأذى في سبيل نصحه إياهم وضمن فيه رجال من أخوانه . ثم تبين لهم بعد سنين أن رأيه هو الصواب وكتبوا منتقدين الذين كانوا يدافعون عنهم . فالسيد لفلبة الصدق ولاخلاص والمراحة عليه كان يصلح أن يستشار في السياسة

إن انصراف السيد كل الانصراف الى التفكير والعمل فياينفع الناس صرفه عن استيفاء أصاليب المجاهد في التحية والتسليم عند المتعجبين المتشوقين فالذين لايقدررون حياة الاختصاصيين الدائمين على التفكير فيما انصرفوا اليه كانوا يرمون السيد بما هو براء منه . ولوأن السيد جرى على سنتهم واتبع أهواءهم لما وفق أن يخرج للناس تلك المؤلفات الممتازة بما افرده به من التحقيق والتحرير وقد غبطه عليها أناس وحده آخرون وجمعوا جوعهم مرات لتقدها وكان السيد يقول حينما يلفه اجتماع العلماء لقد المنار أرجوا أن يكون هذا تسخيرا من الله عز وجل لجر به المنار كما عسى أن يكون فيه من خطاء

فان اصاب النقد نثرت لهم تقدم وشكرت لهم منيعهم ؟
وللسيد قاعدة دما اليها وجرى عليها وهي : أن تتعاون على ما تنفق عليه ويمدح بعضها بعضا فيها تختلف فيه ، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية
هذا ما رقت لتسطيره ونشره من سيرة السيد الامام بمناسبة مرور أربعة أهوام على وفاته رحمه الله ورضي عنه — لعلها تشعذ أذهان الخاملين وتنبه أفكار الغافلين وتهدى الى الاخلاص أولئك الماملين وما التوفيق إلا بالله رب الماملين
عبد الرحمن عاصم القلمون

